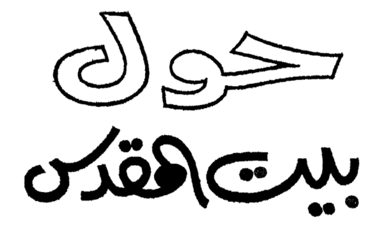

الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
حول
بيت المقدس
لجنة
التعريف بالإسلام

ا.د. محمـــود ديـــــاب
جراح بالمستشفى الملكي المصري

لجنة التعريف بالإسلام
يصـــدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية



الكتاب
الخامس والخمسون
١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م

يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة

نص رسالة
السيد الرئيس جمال عبد الناصر
الى القوات المسلحة
١٩٦٩/٨/٢٣

فى يوم الحزن العميق والغضب الجارف لحريق المسجد الأقصى وجه الرئيس جمال عبد الناصر رسالة الى الفريق اول محمد فوزى وزير الحربية يخاطب فيها الضباط والجنود فى القوات المسلحة للجمهورية العربية ومن ورائها القوات المسلحة للامة العربية .. قال الرئيس فى رسالته :

مع كل مشاعر الغضب الجارف والحزن العميق والالام الروحية والمادية التى تعصف فى قلب امتنا بأسرها من المحيط الى الخليج فاننى لم أجد من أتوجه اليه هذه اللحظة بخواطرى غير القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة ومن ورائها القوات المسلحة لشعوب امتنا العربية وكل قوى المقاومة الشريفة التى فجرتها التجربة القاسية التى أراد الله بها عز وجل أن يمتحن صبرنا وأن يختبر صلابتنا .

لقد انتظرت وفكرت كثيرا فى الجريمة المروعة التى ارتكبت فى حق قدس الاقداس من ديننا وتاريخنا وحضارتنا . وفى النهاية فاننى لم أجد غير تأكيد جديد للمعانى التى كانت واضحة امامنا جميعا منذ اليوم الاول لتجربتنا القاسية ، وذلك أنه لا بديل ولا أمل ولا طريق الا القوة العربية بكل ما

● سوف نحارب من أجل المسجد الأقصى ... ولن نلقى السلاح حتى ينصر الله جنده ويعلى حقه ويعز بيته ويعود السلام الحقيقى إلى مدينة السلام

تستطيع حشده وبكل ما نملك توجيهه وبكل ماتستطيع الضغط به حتى يتم نصر الله حقا وعزيزا ٠

لقد فتحنا للسلم كل باب ولكن عدو الله وعدونا اغلق دون السلم كل الابواب ، ولم نترك وسيلة الا وجربناها ، ولكن عدو الله وعدونا عرقل الوسائل وسد مسالكها واظهر للدنيا كلها ما كان خافيا من أمر طبيعتـه ونواياه ٠

وحين وقعت هذه الجريمة ضد المسجد الأقصى فى القدس فاننا لم نتسرع وانتظرنا لا نتصور أن يكون التدبير قصدا مقصودا ، ولكن الدلائل القاطعة أمام عيوننا الآن لا تترك لاحد أن يتصور شيئا آخر غير الحقيقة وحدها مهما كانت بشعة ومروعة ٠

ولسنا نجد أن هناك فائدة فى اللوم والاستنكار وليس يجدى أن نقول بان اسرائيل بعدما حدث للمسجد الأقصى قد اثبتت عجزها عن حماية الاماكن المقدسة كما أنه لا نفع من الالتجاء الى أى جهة طلبا للتحقيق أو طلبـا للعـدل ٠

ان هناك نتيجة واحدة يجب أن نستخلصها لانفسنا ويتحتم أن نفرض احترامها مهما كلفنا ذلك ، الا وهى أن العدو لا ينبغى له ولا يحق له أن يبقى حيث هو الآن ٠

● ليسوا جند أمتهم فقط ... ولكنهم جند الله ...

ان العدو لن يتأثر باللوم أو الاستنكار ولن يتزحزح قيد انملة عن المواقع التى هو فيها لمجرد قولنا بانه اعجز من مسئولياتها ، ولن يتوقف دقيقة لكى يستمع الى صوت أى جهة تطلب التحقيق أو العدل ..

اننا أمام عدو لم يكتف بتحدى الانسان ولكنه تجاوز ذلك غرورا وجنونا ومد تحديه الى مقدسات أرادها الله بيوتا له وبارك من حولها .

اننى أريد أن يتدبر رجالنا من ضباط وجنود القوات المسلحة مشاعر اليومين الاخيرين وأن يتمثلوا معانيها وأن يحسلوا وجدانهم وضمائرهم بوجدان امتهم وضميرها وأن يعرفوا الى اعماق الاعماق انهم يحملون مسئولية وامانة لم يحملها جند منذ نزلت رسالات السماء هديا للارض ورحمة .

انهم فى معركتهم القادمة ليسوا جند امتهم فقط ولكنهم جند الله ، حماة اديانه ، وحماة بيوته ، وحماة كتبه المقدسة .

ان معركتهم القادمة لن تكون معركة التحرير فحسب ولكنه أصبح ضروريا أن تكون معركة التطهير أيضا .

ان انظارنا تتطلع الان الى المسجد الاقصى فى القدس وهو يعانى من قوة الشر والظلام ما يعانى .

ومهما كان ما نشعر به فى هذه اللحظات فان دعاءنا الى الله عز وجل مؤمنا وخاشعا هو أن يمنحنا الصبر والمعرفة والشجاعة والمقدرة لكى نزيح الشر والظلام .

- العدو لا ينبغى له ولا يجوز له أن يبقى حيث هو الآن
- سوف نعود إلى القدس ... وسوف تعود القدس إلينا

ولسوف تعود جيوشنا الى رحاب المسجد الاقصى ، ولسوف تعود القدس كما كانت قبل عصر الاستعمار الذى حاول بسط سيطرته عليها منذ قرون حتى اسلمها لهؤلاء اللاعبين بالنار .

سوف نعود الى القدس وسوف تعود القدس الينا . وسوف نحارب من أجل ذلك ولن نلقى السلاح حتى ينصر الله جنده ، ويعلى حقه ويعز بيته ويعود السلام الحقيقى الى مدينة السلام ..

مقدمة

اليس من العجيب أن يحتاج الحق الأبلج الى توضيح له ، وتدليل عليه ؟
واعجب من هذا ان يعوزه الرد على بهتان صارخ ينكره ؟
واشد عجبا أن يفتقر هذا الحق الواضح الى الدفاع عنه أو استرداده بقوة السلاح ؟

ولكن تاريخ الأمم يقص علينا هذه الأنباء فيما يقص من قديمها وحديثها .
وقد كتب علينا كما كتب على كثير من الأمم — لحكمة يريدها الله — أن نمارس هذا كله فى تاريخنا الطويل ، فنوضح حقنا حينا ، ونرد على انكاره آنا ، ونجاهد تارة دونه بالسلاح .

فليست محنة اليوم الا حلقة من حلقات الماضى القريب والبعيد ، وليس صمودنا اليوم الا امتدادا لصمودنا الأشم فى مجاهدة الغزو التترى والصليبى والاستعمارى الحديث .

واذا كنا — نحن العرب والمسلمين — قد استرخصنا ارواحنا ، وبذلنا اموالنا فى الذود عن وطننا ، وكتب لنا النصر ، فاننا فى محنة اليوم أعظم شجاعة ، وأمضى عزيمة ، وأجود بذلا ، لأننا لا نذود عن وطننا الحبيب فحسب ، بل لأننا نذود عنه ، ونحمى عقيدتنا — وهى أعز من الروح — ونصون ديننا — وهو اغلى من الحياة والمال — ونستنقذ اولى القبلتين ، وثالث الحرمين .

وبعد ، فانه يسرنى أن أقدم هذه الدراسات الموجزة حول بيت المقدس ، التى كتبها بعض السادة من اعضاء لجنة التعريف بالاسلام احدى لجان المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، تجلية للحق ، وتبصرة لذويه ، وتذكرة بالواجب ، وحفزا للعزائم ، وكشفا عن اباطيل اليهود وأكاذيبهم على التاريخ وعلى الله .

وادعو الله تعالى أن يجعلها بشرى بنصر قريب ، فانه سبحانه نعم المولى ونعم النصير .

الدكتور أحمد الحوفى

رئيس لجنة التعريف بالاسلام

أحرقوا المسجد الأقصى فوجب الجهاد ...!

الدكتور أحمد الحوفي

ماذا ينتظر المسلمون بعد أن اعتدى اليهود على ديارهم ، وطمعوا فى مقدساتهم ، وشردوا الأهلين من وطنهم ، وقتلوا الرجال والنساء والاطفال، واغتصبوا الأموال ، وانتهكوا الحرمات ؟

ماذا يرتقب المسلمون بعد أن اقترف اليهود جريمتهم الدنيئة ، فحرقوا المسجد الأقصى أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ومسرى خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ؟

أم يتوقعون أن يرتحل اليهود وهم يقيمون اقامة من لا يريد الرواح ؟

أم ينتظرون أن يقنع اليهود ومطامعهم تتوالد كما يتوالد الذباب فى المستنقع والبراح ؟

وهل من سبيل أمام المسلمين غير الجهاد ؟

وهل من أمل فى غير التهافت على الاستشهاد ؟

ان الذين يريدون تنحية محاربتنا لليهود عن معانى الجهاد واهمون ، لأن اليهود — وهم المعتدون — يندفعون الى العدوان بنداء من دين مزعوم مكذوب على الله ، فأولى بنا نحن المدافعين أن نسارع الى الدفاع بهتاف من الدين الصحيح الذى ارتضاه الله .

وليس أجدى علينا فى هذه المحنة التى نصطلى بلظاها من أن نفىء الى ديننا نعتصم بقواه ، وننهض بما يوجبه علينا من علم وعمل وانتصار بالله ونصر لله .

فلنرجع الى الاسلام لنتعرف حقيقة الجهاد ومعناه ، ولندرك حكمه فى هذا الوقت العصيب الذى نحيا فيه .

فمـــا معنى الجهـــاد ؟

انه الحرب التى تقاوم الحرب الباغية وتصدها ، لتحمى العقيـــــدة الصحيحة والدين القويم والوطن والعرض والمال والحياة .

ومعنى هذا أن الجهاد والحرب كلمتان تلتقيان وتفترقان ، فالحرب أعم من الجهاد ، لأنها قد تكون جهادا ، وقد تكون بغيا وعدوانا .

ولهذا عرف ابن عابدين [1] الجهاد بأنه بذل الوسع فى القتال فى سبيل الله بالاشتراك العملى بالحرب ، أو الاشتراك فيها بالمال أو الرأى أو مداواة الجرحى أو اعداد الطعام والشراب ، وماشاكل هذا .

ومثله المرابطة : وهى الاقامة فى مكان على الحـــدود بين المســلمين وأعدائهم ، لا يتحقق الدفاع عن وطن المسلمين الا به ، لاعزاز الدين ، ودفع شر المشركين .

ويتضح من هذا التعريف أن الجهاد حرب فى سبيل الله ، فهى اذن حرب محتومة مشروعة للذود عن الدين ومقدساته ، أو للدفاع عن الوطـــن وحرماته ، وما يتصـــــل بالدين والوطن من أموال وأرواح وأعـــراض وأخلاق .

ولهـــذا كان الجهـــاد حربا شريفة البواعث ، نبيلة الأغراض ، سامية الأهـــداف .

فالغزوات النبوية جهاد .

ومحاربة أبى بكر للمرتدين جهاد .

ومقاتلة عمر للروم والفرس جهاد .

---

(١) حاشية ابن عابدين ٢٣٨/٣ .

ومناضلة المسلمين للتتار جهاد .

ومكافحة مصر للحملات الصليبية جهاد .

وثورات مصر على الاحتلال الفرنسى والبريطانى جهاد .

ومنازلة ليبيا لايطاليا ، والجزائر لفرنسا ، جهاد .

والحرب التى ينهض بها العرب اليوم لتخليص وطنهم من أوضار العدوان الاسرائيلى جهاد ، أى جهاد .

فما حكم الجهاد اليوم ؟

ان الشريعة الاسلامية تجعله فرض عين فى عدة حالات :

١ ـ اذا هجم العدو على بلد من بلاد المسلمين وجب على أهل هذا البلد أن يخرجوا الى العدو ، ليقوم كل منهم بما يستطيع القيام به ، ولا يتخلف منهم أحد ، سواء أكان من المقاتلين أم من غيرهم .

وهذا هو النفير العام الذى يشترك فيه الجميع ، المرأة والعبد والغلام والشخص الذى له أب أو أبوان ؛ سواء أذنا له بالخروج أم لم يأذنا [١] .

٢ ـ فان عجز أهل هذا البلد عن صد عدوهم ، أو تكاسلوا عن النهوض له ، وجب الجهاد على من يليهم ، وهكذا حتى يصير فرضا بالتدريج على المسلمين جميعا .

فلو سبيت امرأة مسلمة بالمشرق لوجب على أهل المغرب تخليصها من الأسر .

قال تعالى : « انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » [٢] .

---

(١) المحلى لابن حزم ٢٩٠/٧ .
(٢) سورة التوبة ٤١ .

وقال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ؟ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل .

الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ، ويستبدل قوما غـيركم ، ولا تضروه شيئا ، والله على كل شىء قدير » (١) .

٣ ــ وهو واجب على كل من علم بضعف المسلمين عن محاربة عدوهم وهزيمته ، وهو يستطيع أن يغيثهـم ، لأن المسلمين كلهم يـد على من سواهم .

ولهذا اذا استطاع أهل البلد المعتدى عليه أن يردوا عدوهم سـقط الجهاد عن الآخرين .

٤ ــ كذلك يجب على المسلمين اذا ما قارب العدو دار الاسلام ولم يدخلها، حتى يظهر دين الله ، ويصان الوطن ، ويهزم العدو ، وليس فى هـذا خلاف (٢) .

ومعنى هذا أن العدو اذا أراد الهجوم على المسلمين صار الجهاد فرضا على المقصودين كلهم ، ثم على غيرهم ، لاغاثتهم سواء أكان الرجل من الجنود المخصصين للقتال أم لم يكن . فعلى كل مسلم أن يجاهد فى هذه الحالة بنفسه وبماله وبلسانه ، كما فعل المسلمون حينما قصدهم العدو عام الخندق ، فان الله لم يأذن لأحد فى تركه ، لأنه دفاع عن الدين والنفـس والحرمة ، فهو قتال اضطرار ، مفروض على كل من يصـلح للدفـاع وللحرب (٣) .

٥ ــ ولكنه مع هذا واجب على الجنود المعدين له الذين يتقاضون رواتبهم من مال الأمة ، بل ان وجوبه عليهم أوكد .

---

(١) سورة التوبة ٣٨ ــ ٣٩ .
(٢) حاشية ابن عابدين ٢٤٢/٣ ، وتفسير القرطبى ١٥١/٨ .
(٣) ابن عابدين ٢٣٩/٣ ومجموع فتاوى ابن تيمية ٣٥٩/٢٨ .

وهذا الوجوب على الجنود قائم على الشرع ، وقائم على العقد الذى أبرموه مع الولاة على الطاعة والجهاد ، ومستند الى العوض المالى كما يجب العمل على الأجير الذى قبض الأجر ، وكما يجب تسليم المبيع على البائع الذى قبض الثمن .

وهذا هو السبب فى أن الناس يستنكرون جبن الجندى ، ويزدرون فشله أو تخلفه عن الجهاد ، ويستقبحون معاونته للعدو أكثر مما يزدرون ذلك من غيره ، كما يستنكرون المعصية من العالم أشد مما يستنكرونها من سواه (١) .

فما حكم الجهاد اليوم ؟

ما حكمه واسرائيل تبغى فسادا فى فلسطين ، وتعيث شرا فى بيت المقدس ، وتنزل بالمسلمين أبشع ما سمع به التاريخ من وحشية وتنكيل وانتهاك للحرمات ، وتستلب الثروات ، وتحشد فى السجون والمعتقلات عشرات الألوف من الأبرياء ، وتبيد المسلمين والمسلمات فى حنق مسعور ؟

ما حكمه واسرائيل تطغى على قطع عزيزة من الوطن العربى الاسلامى فى مصر وسورية والأردن ؟

ما حكمه واسرائيل تعلن فى وقاحة وتبجح أن وطنها المنشود يمتد من الفرات الى النيل ؟

ما حكمه واسرائيل تراوح المسلمين وتغاديهم بعدوان مسلح تؤازره دول معادية للعرب وللاسلام ؟

ما حكمه وقد اقترفت اسرائيل جريمة ضج منها المسلمون جميعا اذ أحرقت المسجد الأقصى ، فكشفت عن خبث طويتها ، ودنس نيتها ، وشرها الذى تبيته للاسلام والمسلمين ؟

ما حكمه واسرائيل تتطلع فى جشع الى أن تستولى على مناطق تمتد الى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٨٤/٢٨ .

أهو فرض عين على أهل فلسطين ؟

نعم انه فرض عين عليهم جميعا .

ولكنهم عجزوا عن صد اسرائيل ، فصار فرض عين على جيرانهم فى الاردن وسورية ولبنان والعراق ومصر .

فاذا كان هؤلاء قد ضعفت قوتهم أن تهزم القوى الدولية التى تمد اسرائيل وتساندها فقد صار الجهاد فرض عين على المسلمين جميعا من الباكستان شرقا الى المغرب غربا ، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا الى جنوبى السودان .

يقول ابن عابدين : « اياك أن تتوهم أن فرضيته تسقط عن أهل الهند بقيام أهل الروم به مثلا ، بل يفرض على الأقرب فالأقرب من العدو ، الى أن تقع الكفاية ، فلو لم تقع الا بكل الناس فهو فرض عين كالصلاة والصوم .

ولهذا لا ينبغى للامام أن يخلى ثغرا من الثغور من جماعة من المسلمين فيهم غناء وكفاية لقتال العدو .

فان قاموا به سقط عن الباقين ، وان ضعف أهل ثغر عن مقاومة الأعداء ، وخيف عليهم منهم ، فعلى من وراءهم من المسلمين الأقرب فالأقرب أن ينفروا اليهم ، وأن يمدوهم بالسلاح والمال ، لأن الجهاد فرض على المسلمين جميعا ، ولكنه يسقط عن بعضهم لأن بعضهم الآخر قام به » [1] .

الجهاد اليوم فرض عين .

فرض عين على الدول الاسلامية .

وفرض عين على الجيوش الاسلامية .

وفرض عين على كل فرد يستطيع أن يساهم فيه بجهد يساعد على النصر ، ويمحو وصمة الهزيمة ، ويرد الحقوق الى ذويها ، ويصون الاسلام ومقدساته ، ويعلى كلمة الله ، سواء أكان الذى ينهض به نائيا عن فلسطين أم دانيا من نواحيها .

(1) حاشية ابن عابدين ٣/ ٢٤٠ .

فلسطين واليهود

الدكتور أحمد شلبي

من الاقوال الذائعة أن بيت المقدس مدينة مقدسة لدى اليهود والمسيحيين والمسلمين وقد أوشك هذا الرأى أن يسود وأن يصل الى مكانة الحقائق المسلم بها ، ويعتقد أن الصهيونية هى التى دفعت بهذا الرأى الى الفكر العالمى وجعلت اليهود يوضعون على قدم المساواة مع المسيحيين والمسلمين بالنسبة لبيت المقدس ، وقد كشفت بروتوكولات حكماء صهيون عن هذه الخدعة حينما قررت أن هدف الصهيونية هو السيطرة على العالم أجمع ، وأن السيطرة على فلسطين تعتبر مرحلة أولى فى هذا الشأن وأن الادعاء بالارتباط الروحى ببيت المقدس سيساعد على السير نحو هذه الغاية ..

وسنرى من الدراسة العلمية التى نقدمها مدى بطلان هذا الادعاء ، ونشاهد الجذور العميقة للعرب وللمسيحيين والاسلام فى فلسطين وبيت المقدس . وندرك أن العلاقة بين اليهود وبين القدس ليس الا خيطا ضئيلا جعل منه اليهود دعوى عريضة ، ويقرر التاريخ أن بيت المقدس مدينةقديمة يرجع تاريخ تأسيسها الى القرن الخامس عشر ق٠م ، أى قبل أن تطأ أرجل اليهود هذه البلاد بمدة طويلة ، وكانت عاصمة فلسطين لمدة قرون ، استولى عليها داود من اليبوسيين فى القرن العاشر ق٠م وبنى عليها سليمان هيكله بعد ذلك ، وهذا الهيكل هو الذى يتخذه اليهود ذريعة لدعواهم .

وقد وقعت ببيت المقدس أحداث عظام بسبب موقع فلسطين بين العراق ومصر ، ثم بسبب انشقاق المملكة اليهودية الى قسمين ، وفى هذا الصراع دمر نبوخذ نصر ملك بابل مدينة القدس ، كما دمر المعبد ، وكان ذلك سنة ٥٨٦ ق٠ م ..

وأعيد بناؤها بعد ذلك بواسطة عزرا ونحميا بعد عودتهما من سبى بابل وفى سنة ٢٠ ق٠م بنى هيرودوس هيكلا جديدا ظل حتى جلس به المسيح

يعلم ويرشد قومه ، وهناك على جبل الجلجلة يعتقد المسيحيون أن عيسى صلب ، ثم دفن وقام وهم لذلك يقدسون هذا المكان المسمى كنيسة القيامة أو كنيسة القبر المقدس .

وفى سنة ٧٠ م دمر الامبراطور تيطس الرومانى المدينة والهيكل ، وكل الآثار اليهودية والمسيحية تدميرا تاما ..

وفى سنة ١٣٥ م فى عهد الامبراطور الرومانى آدريانوس جعلها هـذا الامبراطور مزارا وثنيا وأقام بها تمثالا للاله جوبتير ..

وفى أوائل القرن الرابع الميلادى دخل الامبراطور قسطنطين المسيحية هو وأمه القديسة هيلانة ، فأعادا بناء الامكنة المقدسة المسيحية بها ، ودمر المسيحيون الهيكل الوثنى ..

ثم بنيت بها على مر العصور مجموعة كبيرة من الكنائس والاديرة التى تتبع مختلف الطوائف المسيحية ، وتعد القدس لذلك المدينة المقدسة الأولى لدى المسيحيين ..

وقبل الهجرة بعام تمت هذه المناسبة العظيمة وهى « الاسراء والمعراج » فأسرى برسولنا محمد صلوات الله عليه وسلامه من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى من الحرم الى بيت المقدس ، وبعد ذلك بعام هاجر الرسول الى المدينة واختار الله للمسلمين بيت المقدس ليتجهوا له فى صلاتهم ، فكان بذلك أولى القبلتين مدة سبعة عشر شهرا وأصبح بيت المقدس بذلك حرما مقدسا عند المسلمين يأتى فى المكانة بعد حرم مكة وحرم المدينة ، وقد بنى المسلمون المسجد الاقصى ببيت المقدس ، كما انتشرت بفلسطين المســاجد التى يطلق على كثير منها « مساجد عمر » ، وعلى هذا يعد بيت المقدس مكانا مقدسا لدى اليهود والمسيحيين والمسلمين ..

ويقرر المؤرخ Cherles Foster Kent. [1] أن العرب كانوا أسبق الشعوب التى عاشت بفلسطين فقد بدأت هجرات العرب من قلب الجزيرة العربية فى الألف الثالث قبل الميلاد ، وكان الفينيقيون أسبق هذه الجماعات وقد وجدوا على شاطىء البحر الابيض المتوسط مستقرا فأقاموا به ، وكان

(1) A history of the hebrew people p. 29

مقرهم شريطا ساحليا ضيقا يحده البحر من الغرب وتعزله السلاسل الجبلية بالشرق عن باقى المنطقة ، ومن هنا اتجه هؤلاء الى البحر فركبوه واتصلوا عن طريقه بدول كثيرة عن طريق التجارة وسرعان ما أصبح هؤلاء جنسا شهيرا فى سيادته التجارية عبر البحار ، ثم امتد نشاطهم فاصبحوا حملة الحضارة بين دول العالم القديم .

والى الجنوب من الفينيقيين نزلت قبائل عربية أخرى أشهرها قبائل الكنعانيين حوالى ٢٥٠٠ ق .م واستقرت على ضفة الاردن الغربية منسابة نحو البحر الابيض المتوسط وسميت هذه المنطقة باسمهم فاصبحت تدعى «ارض كنعان» ، وهو الاسم الذى يكثر وروده فى التوراة . وحوالى سنة ١٢٠٠ ق.م نزلت بالساحل المطل على البحر الابيض جماعات من جزيرة كريت « اقريطش » وكانت هذه الجماعات أو القبائل تسمى قبائل فلسطين ، وقد نزلت بين يافا وغزة ، واختلط الكنعانيون بالقبائل الوافدة من كريت ، وتم بين هؤلاء وأولئك مزيج غلب عليه الدم العربى واللغة السامية من جانب والاسم الوافد من كريت من جانب آخر ، فاصبحت هذه البلاد تعرف بفلسطين (١) ..

وفى الشمال الشرقى لنهر الاردن كانت تعيش قبائل الآراميين الوافدة من حوض الفرات بعد أن ازدحمت سهول دجلة والفرات بالوافدين من الجزيرة العربية خلال العصور المتتالية . وهذه القبائل هى المعروفة فى الكتب المقدسة بالسوريين ، وكانت دمشق عاصمتها ، وكانت هذه القبائل تعمل فى الزراعة . ولكن موقعها دفعها للعمل فى التجارة البرية ، فاذا كان الفينيقيون قد اشتهروا بركوب البحر متاجرين . فان السوريين ركبوا البر منافسين لهم فى النشاط التجارى، والآراميون كانوا قريبين جدا من الكنعانيين فى لغتهم وديانتهم وعنصرهم ..

والى الشرق من نهر الاردن ثم الى جنوب البحر الميت تقع الممالك الثلاثة عمون ومؤاب وادوم . وسكانها ينحدرون كالآراميين من سهل الفرات وتربطهم بهم روابط نسب كما أن روابط جمة تشمل اللغة والعادات والافكار

(١) غوستاف لوبون : اليهود فى تاريخ الحضارات الاولى ص ٢٦ .

الدينية كانت تربط هذه الممالك بعضها ببعض وكانت لغتها لهجة من الكنعانية.
وهذه الجماعات العربية عاشت سيدة فى أرضها عدة قرون ، ولكنها تعرضت لصور من الغزو بسبب أهمية موقعها وارتباط هذا الموقع بالبحر الابيض والبحر الاحمر ، وكان من الغزاة الذين جاءوا لها اليهود والفرس والرومان . ولما جاء الاسلام هب المسلمون العرب ليحرروا العرب فى فلسطين من غزوات الاجانب ، وكان السلطان على فلسطين آنذاك فى يد الرومان ففتح المسلمون فلسطين سنة ٦٣٦ م وتحرر سكانها العرب الذين يقـــرر التاريخ أنهم ساعدوا الفاتحين المسلمين ضد المستعمرين الرومان ، ووقفوا موقفا ايجابيا لصالح أبناء عمومتهم العرب فى المعارك الدائرة فى بلادهم ، وكان بيت المقدس عند دخول المسلمين به خاليا تماما من اليهود ، وقد عقد عمر بن الخطاب معاهدة تسلم بها بيت المقدس مع البطريرك صفرنيوس ، ونص فى هذه المعاهدة على اهم الشروط التى يتمسك بها النصارى وهى الا يسكن المدينة المقدسة أحد من اليهود [1] وأصبحت فلسطين بذلك عربية اسلامية .

الحروب الصليبية ودور اليهود فيها :

جاءت الحروب الصليبية ، وفى الجولة الاولى منها استطاع الصليبيون أن يستولوا على بيت المقدس وعلى شريط ساحلى ضيق ، ويتضح من دراسة هذه الحروب أن اليهود كانوا من وراء الصليبيين وكانوا من الاسباب الخفية التى دفعت بالصليبيين لغزو البلاد المقدسة ، فقد رأى اليهود أنهم عجزوا عن العودة للبلاد المقدسة بانفسهم فحاولوا العودة خلف المسيحيين ، وقد اتخذ اليهود المال وسيلة لهم ، فاخفوا مشاعرهم الدينية والوطنية خلف المال . اذ كانوا يمثلون أغنى مراكز التجـــارة على الساحل الشـــمالى للبحر الأبيض المتوسط ، فساعدوا الصليبيين ليقوموا بهذه المغامرة باسم الصليب لفتح الطريق التجارى الى الشرق عبرفلســطين ولكن الشـــعار اليهودى كان فى الحقيقة أقوى من الصليب وأقوى من المال ، وعلى كل حال فان صلاح الدين الايوبى سرعان ما استعاد بيت المقدس بعد موقعة حطين سنة ١١٨٧ م .. وتساقطت البلدان الأخرى فى يده وأيدى من جاءوا

(١) تاريخ الطبرى حـ ع ص ١٥٩ .

بعده [1] وبقيت فلسطين عربية اسلامية حتى قيام دولة اسرائيل ••

ومن الواضح أن الحروب الصليبية كانت حروبا استعمارية وان اتخذت الصليب شعارا لها وأوضح دليل على ذلك عدوان الصليبيين على مسيحيى الشرق ، وقد جاء الصليبيون ليحاربوا أهل سوريا ومصر ، ولكن سرعان ما وجدوا أنفسهم أمام مقاومة اسلامية شاملة أسهمت فيها كل الأقطار الاسلامية بالرجال والعتاد ، ويروى التاريخ أنه بمجرد دخول الصليبيين الارض المقدسة هب العلماء يطلبون تدخل الخلافة العباسية لانقاذ هــذه الأرض المقدســة ، وعلى الرغم من الصراع الذى كان قائما آنذاك بين الفاطميين والعباسيين حول هذه الارض فان الخلافة العباسية تناست هذه الخلافات واشتركت فى النضال لتحرير فلسطين ، وكلفت امير الموصل بأن يقود حركة الصراع ضد الغزاة الاجانب ، ولم يقتصر العون على العباسيين بل ان وفود المسلمين جاءت من الهند ومن الشرق الأقصى ومن المغرب ودول الشمال الافريقى وفوجىء الصليبيون بأنهم فى حرب لا ضد مصر وسوريا فقط بل ضد العالم الاسلامى كله ، وكان ذلك مما فت فى عضدهم وقضى عليهم ••

ولنتحرك الى نقطة أخرى عن فلسطين لندرسها من الوجهة العلميــة التاريخية فهناك دعوى يروجها اليهود بأن لهم حقا تاريخيا فى هذه البلاد ، فهل هذا صحيح •• ؟

والاجابة تكون بابراز حقائق لا تحتمل التأويل وهى :

أولا : دخل بنو اسرائيل بقيادة يوشع أرض فلسطين غزاة من الخارج دون أن يكون لهم بها جذور أو تاريخ ، واستعملوا القوة والوحشية ليحصلوا على الانتصار على السكان الأصليين ••

ثانيا — لم يستطع اليهود أن يمدوا سلطانهم الى كل فلسطين ووقفوا عند منطقة التلال الداخلية ، اما منطقة الساحل فقد ظلت فى أيدى السكان الأصليين ومساحة فلسطين ضئيلة فى حد ذاتها (٢٧ر٠٠٠ كم) وهى أقل

(١) دكتور احمد شلبى : الحروب الصليبية : دوافعها : أهدافهــا : نتائجهــا .

من ثلث مساحة سيناء ولم يكن لليهود فى فلسطين أكثر من نصفها وهـو مقدار ضئيل للغاية ..

ثالثا ــ لم يعرف بنو اسرائيل بفلسطين حياة الاستقرار على الاطلاق ، وظل السكان الأصليون يناضلون ضدهم حتى أخرجوهم .

رابعا ــ كانت مدة بنى اسرائيل بفلسطين قصيرة جدا بالنسبة لعمر الدول وهى فترة استعمارية كالفترة التى قضتها هولندا باندونيسيا وبريطـانيا بالهند ، والعجيب أن هناك تشابها من نوع آخر فقد اطلقت هولندا على اندونيسيا اسم جزر الهند الهولندية اشارة الى التملك الذى تدعى اسرائيل مثله بفلسطين ، ولكن الصراع الوطنى اعاد الحق الى نصابه ..

خامسا : أحس المجاورون لفلسطين من الشمال ومن الجنوب بالعنصر الغريب الذى دخل المنطقة ، فاشترك هؤلاء المجاورون فى الصراع حتى قضى على هذا العنصر الغريب ..

ويقول Weech (١) واصفا حياة اليهود فى فلسطين ان اليهود لم يكن لهم منفذ يذكر على البحر ، فالموانىء الشمالية كانت تحت سلطان الفينيقيين وموانىء الجنوب كانت تابعة للفلسطينيين ، ومن ناحية الزمن فان اليهود لم تكن لهم قوة الا خلال نصف قرن فقط ، وحتى فى تلك الاثناء كانوا محاطين بممالك أكثر قوة وأرقى مدنية وحضارة ..

ويقول Wells (٢) معلقا على عهد بنى اسرائيل بفلسطين : لقد كانت حياة اليهود بفلسطين وبخاصة خلال القرون الثلاثة الأخيرة ، اشبه بحياة رجل اصر على الوقوف وسط ميدان صـاخب فكان مصيره أن دهمتـه السيارات ، وهكذا انتهت القرون التى عاشتها الملكية العبرانية ، وكانت من بدايتها الى نهايتها مجرد حديث صغير على هامش احداث تاريخ مصر وسوريا وآشور وفينيقيا ..

الاستعمار والصهيونيـة :

انقسـمت مملكة اسرائيـل قصـيرة العمر بعـد وفاة سـليمان الى مملكتين . جنـوبية وعاصـمتها اورشليم واسـمها مملكة يهـوذا ،

---

(١) E. H. weech civilization of the near east. p. 82.

(٢) The outline of History p. 288

وشمالية وعاصمتها شكيم واسمها اسرائيل ، ودار صراع عنيف اشتركت فيه بابل وآشور من الشمال ومصر من الجنوب كما قام صراع داخلى بين الدولتين ، ولذلك سرعان ما سقطت الدولتان اليهوديتان وكان سقوط مملكة اسرائيل سنة ٧٢١ ق٠م وسقوط مملكة يهوذا سنة ٥٨٦ ق٠ م وطرد اليهود من فلسطين ولم يبق من اليهود الا قلة ضئيلة ، ولكن كانت سنة ١٣٥ م نهاية حياة اليهود بفلسطين اذ أدركوا الا مقام لهم بهذه البلاد فساحوا فى الارض هنا وهناك وبدأ لهم عصر تشرد طويل وعاش اليهود بين الامم تلاحقهم العزلة التى كانت ابرز خصائصهم ، كما كانوا لاولاء لهم للأوطان التى نزلوا بها اذ تركز ولاؤهم لصالحهم لا للوطن الذى يعيشون به ، وكانوا فى الوقت نفسه يحقدون على كل من له وطن اذ كانوا لا وطن لهم ولهذا قاموا بالوان من الخيانات والمؤامرات ضد الاوطان التى نزلوا بها ولاقت ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا منهم شر ما يلاقى بلد من النزلاء به ، ومن خياناتهم بهما كما جاء فى الوثائق الرسمية استنزاف أموال الشعب بالربا الفاضح ، وافساد التعليم ، والسيطرة لصالحهم على المصارف والبورصة والشركات والتجارة ، والسيطرة على دور النشر ، والتدخل فى سياسة الدولة لغير مصلحة الدولة ، وفى القمة من خيانتهم التجسس الذى احترفه عدد كبير منهم ، وماذا كانت نتيجة هذه الخيانات ٠٠ ؟

كانت النتيجة أن انزل بهم العالم فى المانيا وغيرها ضربات رادعةوعقوبات صارمةشملت التنكيل والطرد والسجن ومصادرةالاموال ويقرر Hosmer (١) أن كل الامم المسيحية اشتركت فى اضطهاد اليهود وانزال مختلف العنت بهم، وكانت القسوة مع اليهود تعد مأثرة يمتدح المسيحيون بعضهم بعضا عليها ، ولكن ذلك ضاعف حقدهم ، فارتفعت أصواتهم بالشكوى مما سموه ظلما واضطهادا ولم يكن ذلك فى الواقع الا نتيجة لانحرافهم وخياناتهم ٠٠

وتكررت هذه الدورة فى كل مكان عاش به اليهود ، حقد ومؤامرات وخيانات من اليهود فانتقام منهم وتأديب لهم ، فصراخ وشكوى وأنين ، وقد نجح صراخ اليهود فى أن يبرز للعالم ما نزل بهم من ضيم ، وربما

(١) James Hosmer: The (dews) p. 138.

استطاعوا أن يصوروا انفسهم فى صورة المظلوم المعتدى عليه .. وان يستدروا بذلك احيانا عطف الناس الذين خدعهم الانين .

وفى الوقت الذى لاقى فيه اليهود الوان العنت من البلاد المسيحية كما يقول hosmer كان اليهود المقيمون بالبلاد الاسلامية ينعمون بما كفله الاسلام لغير المسلمين من حقوق . فلم يلاقوا بالعالم الاسلامى أى اضهاد ، بل عاشوا فى امن ودعة ، ونالوا مراكز اجتماعية مرموقة ، وشغلوا وظائف كبرى وصلت مناصب الوزارة عدة مرات ، وتجمع لديهم الثراء والترف ؛ والعجيب أن تحل مأساتهم ان كانت لهم مأساة على حساب من اكرموهم ..

ونعود الى الحديث عما لاقاه اليهود من عنت باوربا لنقرر أن بعضهم كان يتمنى أن يكون لهم وطن يحميهم من عدوان اصحاب الاوطان ، ولكن البعض الآخر منهم انصرف عن التفكير فى وطن خاص لهم ، اذ اتيح لهؤلاء ثراء عريض بسبب تعاونهم مع بعضهم البعض وانتهازهم الفرص وبراعتهم فى الشئون الاقتصادية والتخلص من الضرائب حتى سماهم René Sedillot (١) ملوك المال وسادة البنوك فى العالم ، الذين لم يخضعوا قط للقانون فى شئون الربا وشئون التجارة ..

وبينما هم فى هذا التردد اذ ظهر الاستعمار فرجح كفة القائلين بالعودة الى فلسطين بعد أن وعدهم الاستعمار بالمال والسلاح والتأييد ، وقصة ذلك انه فى سنة ١٩٠٧ تولى « كامبل بيزمان » ، رئاسة الوزارة البريطانية وقد قام رئيس الوزارة بتشكيل لجنة من بعض علماء التاريخ ورجال القانون والسياسة ، ليس من بريطانيا وحدها وانما من عدة دول أخرى ووجه « بيزمان » خطابا الى تلك اللجنة حدد فيها مهمتها وجاء فيه :

« ان الامبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ، ثم تستقر الى حد ما ، ثم تنحل رويدا رويدا .. وتزول ، والتاريخ ملىء بمثل هذه الأمثلة ، وهى لاتتغير بالنسبة لكل نهضة ، ولكل امة ، فهناك امبراطوريات روما واثينا والهند والصين ، وقبلها بابل وآشور والفراعنة وغيرها . فهل يمكن الحصول على اسباب أو وسائل تحول دون سقوط الاستعمار الاوربى وانهياره أو تؤخر

---

(١) The History of The world p. 175.

مصيره المظلم بعد أن بلغ الآن الذروة ، وبعد أن اصبحت اوروبا قارة قديمة استنفدت مواردها ، وشاخت معاملها ، بينما العالم الآخر لا يزال فى شبابه يتطلع الى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية » ..

وقد ظل هؤلاء العلماء يبحثون ويتدارسون طيلة سبعة شهور ، ثم قدموا نتيجة ابحاثهم فى هيئة تقرير سرى خاص الى وزارة الخارجية البريطانية التى رأت تحويله ــ لأهميته ــ الى وزارة المستعمرات وفيما يلى مقتطفات منه (١) :

« ان الخطر ضد الاستعمار فى آسيا وافريقيا ضئيل ، ولكن الخطر الضخم يكمن فى البحر المتوسط ، وهذا البحر همزة الوصل بين الغــرب والشرق .. وحوضه مهد الاديان والحضارات ، ويعيش فى شـــواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللسان ، وكل مقومات التجمع والترابط . هذا فضلا عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية ..

فماذا تكون النتيجة لو نقلت هذه المنطقة الوسائل الحديثة وامكانيات الثورة الصناعية الاوروبية ، وانتشر التعليم بها ، وارتقت الثقافة .. ؟ اذا حدث ما سلف فستحل الضربة القاضية حتما بالاستعمار الغربى وبناء على ذلك فانه يمكن معالجة الموقف على النحو التالى :

١ ــ على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزؤ هذه المنطقة وتأخرها ، وابقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتأخر وجهل ..

٢ ــ ضرورة العمل على فصل الجزء الافريقى فى هذه المنطقة عن الجــزء الآسيوى وتقترح اللجنة لذلك اقامة حاجز بشرى قوى ، وغريب يحتل الجسر البرى الذى يربط آسيا وافريقيا ، وبحيث يشكل فى هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار ، عدوة لسكان المنطقة ..

وبدأ خبراء السياسة الغربيون ومعهم خبراء علم النفس وعلم الاجتماع يبحثون عن الوسيلة لذلك وسرعان ما اهتدى هؤلاء الخبراء الى استغلال

(١) دكتور احمد شلبى : كتاب اليهودية من سلسلة مقارنة الاديان ص ٨٣ ــ ٨٦

الدين لتحقيق هذا الغرض ، ولعل المسيحية خطرت على بالهم ففى فلسطين ولد المسيح وتربى ودعا قومه ،وبيت المقدس مزار المسيحيين منذ ذلك العهد ، ولكن هذه الفكرة لم تكن طويلة العمر اذ رئى أن الاخذ بها سيكون عودة الى الحروب الصليبية ، وسيحمل فى طياته أسباب الفشل ، واتجهت الانظار الى اليهود ، وفلسطين بالنسبة لهم مكان مقدس أيضا ، ثم هم يعانون الوانا من الاضطهادات والتعذيب والتشرد ، وهم باحثون عن المال ، والشرق الاوسط فيه غنى ، وفيه تخلف صناعى مما يهىء سوقا رابحة لأية دولة صناعيـــة تجارية تقوم به ، ولليهود بفلســـطين الصلة التاريخية التى ألمنا بها ، والتى انقضت منذ عشرين أو خمسة وعشرين قرنا ولكن الخبراء اتخذوهم وسيلتهم على كل حال ، على أن يغلفوا اتجاههم باسم الانسانية والرحمة لهؤلاء المعذبين المشردين ، ويصرح الفردمونت فى كتابه « الجار » بقوله :

« اننى انتطلع بلهفة الى ذلك اليوم الذى تصبح فيه فلسطين وشرق الاردن وحدة ضمن الامبراطورية البريطانية وتشغل مركزا مهما فى جسم تلك الامبراطورية ، وتدافع عن هذه الوحدة عدة ملايين من اليهود الذين تربطنا بهم رابطة الود والاخلاص والمدنية ..

وصدر وعد بلفور تبعا لذلك ويقرر وايزمان زعيم اليهود أنه هو الذى كتب نص هذا الوعد بيده ، وأسند الانتداب على فلسطين بعد الحرب العالمية الاولى الى بريطانيا لتنفذ هذا الوعد ، وعقب الانتداب اختارت بريطانيا السير / هيربرت صموئيل اليهودى ليكون أول مندوب سام لها فى فلسطين ليستخدم أبناء دينه ، وتكاتفت كل القوى الاستعمارية على تحقيق هذه الغاية ..

أيها المسلمون من كل قطر وفى كل بلد وفى كل مكان :

ان العالم الاسلامى فى نظر الاسلام عالم واحد ، والأمة الاسلامية أمة واحدة قال تعالى : « ان هذه امتكم امة واحدة » (الأنبياء ٩٢) ، ولا يجوز أن ينزل بقوم من المسلمين الضيم والعدوان ، ويهنأ آخرون براحة البال ونعيم الحياة ، وكيف يطيب لمسلم أن يهنأ بعيش وهناك اخوته المسلمون

يعانون من كل أنواع المرارة والقسوة من اليهود الذين يعبثون بالكرامات والاعراض والقيم ••

ايهــا المســلم :

لقد صرخ اليهــود للعــالم ضد ماأنزلــه بهم النــازيون من بــلاء، ولكن اليهود ينزلون بالمسلمين أضعاف ما أنزله النازيون بهم دون سبب أو جريرة ، واليهود يعدون دفاع المسلمين عن أرضهم رذيلة ينتقمون لها شر انتقــام ••

ايهــا المســلم :

ان عدوان الصهاينة والاستعمار على بلد اسلامى سيمتد من بلد الى آخر، فهدف الصهاينة والاستعمار القضاء على الاسلام واضعاف جانبه ، واننا نصرخ فى المسلمين ــ لنذكرهم بما قاله الحكيم العربى معبرا عن شخص لم يعاون صديقا له ضد عدوهما فانتصر العدو على احد الصديقين ، ثم انقلب على الثانى وانقض عليه وهزمه بسهولة قال هذا الحكيم : « انما أكلت يوم أكل الثور الأبيض » فهو يعنى بهذا أن هزيمته تقررت يوم توانى عن مساعدة صديقه ويوم تركه وحده فى الميدان ثم جاء دوره وقد هاض جناحه وضعف، بعد ما انهار ركن من الأركان التى كان يمكن أن يعتمد عليها فلنتذكر هذا ولنقاوم معا الشر قبل أن يستفحل وقبل أن ينقض على العالم الاسلامى بلدا اثر بلد ••

ايهــا المســلم :

ان جميع فقهاء المسلمين يقررون وجوب الجهاد على المسلمين جميعا اذا نزل العدو محلة اسلامية وعجز أصحابها عن مقاومته وأن هذا الواجب يشمل الرجل والمرأة والسيد والخادم ، وقد ضرب اسلافنا خير المثل حينما اشترك كل المسلمين فى مقاومة الصليبيين فليسر جيلنا على نمط اسلافه حتى يتم النصر للاسلام •

ايهــا المســلمون :

ان الواجب يناديكم •• والاسلام يهيب بكم أن تنقذوا الأرض المقدسة وأولى القبلتين من أعداء الله •• والأمل كبير انكم ستفعلون ، ولنكن مع الله يكن الله معنا « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » ••

تاريخ مدينة القدس

الأستاذ محمود كمال

الواقع أن تاريخ مدينة القدس هو تاريخ فلسطين نفسها واذن فلا مناص من استقراء هذا التاريخ ، فى مناسبة هذا البحث ، ولو فى أضيق الحدود ، ولكن بالقدر الذى يسمح بالالمام به الماما كافيا لامكان استيعابه ، وتتبع تطوراته منذ القدم .

والتاريخ يروى أن قبائل عربية نزحت من شبه الجزيرة العربية فيما بين سنتى ٤٠٠٠ و ١٥٠٠ قبل الميلاد ، متجهة شمالا الى سورياالقديمة ، والى العراق .

ولقد كانت سوريا القديمة تشمل المناطق التى تعمرها الآن سوريا الحديثة والاردن وفلسطين .

ومن القبائل المشار اليها ، التى نزحت الى تلك البقاع فى تك الازمان السحيقة : قبائل العموريين ، والفينيقيين ، والاراميين ، والكنعانيين .

واستوطنت كل قبيلة من هذه القبائل منطقة أو مناطق معينة فى تلك البلاد ، وأسست دولا لها ماض احتل مكانا فى بطون التاريخ القديم .

وتتركز عنايتنا ، فى مجال هذا البحث ، على اليبوسيين دون غيرهم من القبائل الأخرى ، اذ أنهم هم الذين استوطنوا أواسط فلسطين ، وأسسوا لأنفسهم مملكة فيها ، وسميت الأرض التىاستوطنوها باسم أرض «كنعان» نسبة الى قبائل الكنعانيين — واليبوسيون قبيلة كنعانية .

وفى حوالى سنة ١٢١٣ قبل الميلاد ، على الراجح بين الأقوال ، خرج يهود مصر بزعامة موسى وهارون ، عليهما السلام ، هاربين من فرعون متجهين الى صحراء سيناء ، وتعقبهم فرعون بغية أن يردهم الى بلاده ، لأنه خشى أن هم أفلتوا منه أن يتفقوا مع الأشوريين أعدائه فى الشمال .

ولكن فرعون لم يدركهم ، الا عند بحر « سوف » [1] الذى شاء الله له أن ينفلق أمامهم فعبروه ، والذى أطبق ، فى ذات الوقت ، على فرعون وجنوده فكانوا من المغرقين •

وبحر « سوف » هو خليج السويس ، كما يقول مؤرخون •

وقضى اليهود فى التيه بصحراء سيناء سنوات متطاولة قدرها الله سبحانه وتعالى ، عليهم ، ثم دخلوا فلسطين من الأردن ، وعبروا النهر المسمى بهذا الاسم ، الى أرض كنعان ، واستولوا فى مسيرتهم على مدينة (أريحا) • ثم أخذوا يغيرون على بلاد اليبوسيين فاستعان هؤلاء بتحوتمس الأول — فرعون مصر — سنة ١٥٥٠ ق•م فأتى اليهم ونصرهم كما تثبت ذلك ألواح تل العمارنة •

وخضعت «يبوس» للفراعنة ، وفرضوا على أهلها الجزية ، ثم ظلت المدينة فى حوزتهم الى أن تمرد اليبوسيون عليهم ، وامتنعوا عن دفع الجزية ، واستغل اليهود الموقف ، فأغاروا على البلاد واستولوا على « يبوس » سنة ١٠٤٩ ق•م فى عهد داود • ولما كانت هذه البلاد ملكا للكنعانيين فان فترة اقامة اليهود فيها كانت فترة مضطربة لم ينعموا خلالها بالاستقرار ثم غزاها الاشوريون وسيطروا عليها ثم غزاها بعدهم البابليون ونهبوها واستولوا على كل ما عثروا عليه فيها ، ودمروا الهيكل ونهبوا ما فيه من ذخائر وكنوز ، وأمر « نبوخذ نصر » فهدمت المدينة وجعل عاليها سافلها ، ونفى أهلها الى بابل ، وهكذا انقرضت مملكة يهوذا ، ولم تقم لها ، بعد ذلك ، قائمة ، « ولم يتمكن اليهود من استعادة كيانهم السياسى ، بل لقد راحوا يعيشون •• كطائفة دينية يرأسها كاهن » •

— وفى سنة ٥٣٦ غزا « قورش » ملك الفرس المدينة — أورشليم — ولكنه أمر فأعيد بناؤها ، وجدد هيكلها ، وأعيد اليه ما كان قد نهب منه من ذخائر وكنوز •

ثم غزا « الاسكندر الأكبر » اليونانى المدينة سنة ٣٣٢ ق•م ، وكانت تسمى « يوروشاليم » و « هيروسليما » •

---

(١) فلسطين والضمير الانسانى — محمد على علوبه باشا .

ولما مات « الاسكندر الأكبر » اقتسم قواده مملكته ، فكانت المدينة من نصيب « البطالسة » ، ثم انتقلت الى « السلوقيين » أيام « أنطيوخس استيفانس » سنة ١٦٨ ق٠م ٠ وقد هدم هذا الملك أسـوارها ، ودق حصونها ، ونهب هيكلها ، ونصب فوقه تماثيل ، وقتل ثمانين ألفا من اليهود٠

ومن بعد هؤلاء جاء « المكابيون » وفى عهدهم أقيمت القلعة الواقعة فى الزاوية الشمالية الغربية من منطقة الهيكل ٠

وقد حدث نزاع ، واشتد ، بين أخوين من ملوك « المكابيين » واستنجد احدهما « بروما » فجاءه الامبراطور « بومبيوس » واستولى على المدينة سنة ٦٣ ق٠م ، وكانت تسمى ، وقتئذ « هيروسليما » أو « هيروساليما » ٠

و قد قتل هذا الامبراطور كثيرا من سكانها واستباح حمى هيكل سليمان٠

ولما جاء الامبراطور « يوليوس قيصر » أمر بترميم الهيكل ، وبناء قلعة، فبنيت عند باب الخليل ، وشيد الحصن المعروف باسم « أنطونيا » ٠ وأجرى الماء فى القناة الكائنة بين برك سليمان وهيروساليما ، وكان ذلك سنة ٣٠ ق ٠م ٠

ثم حكم المدينة « أرشيلاوس » وكانت المدينة فى عهده « فى حالة غير مرضية : شوارعها ضيقة ، وطرقها مرصوفة رصفا رديئا ، وموارد المياه فيها رديئة ، وعدد سكانها نحو ٥٠٫٠٠٠ » ٠

ولما جاء الامبراطور « طيطوس بن نيرون » هدمت المدينة فى عهـده سنة ٧٠ ميلادية ، وأحرق الهيكل ، وطرد اليهود منها ، وكانت تسمى ، وقتئذ ، باسم « سوليموس » ٠

وجاء الامبراطور « أدريانوس « فجعل المدينة مستعمرة رومانية وسماها « ايلياء » ، ومنع اليهود من سكناها ، وجعل المسيحية هى الديانة الرسمية، وبنى فيها « كنيسة القيامة » سنة ١٣٨ م ، وكان يسكنها كثيرمن اليونانيين، وقد قاموا ببناء برج على الهيكل ، ووضعوا فوقه لوحة كبيرة كتبوا عليها اسم « ايلياء » ـ وقد عين هذا الامبراطور على المدينة حاكما أمر بتدميرها،

وانشاء مدينة أخرى فى مكانها سماها « ايليا كابيتوليا » ، ونكل باليهود تنكيلا ، وقتلهم تقتيلا ، واضطهد المسيحيين أيضا .

ولما جاء الامبراطور « جوليان » ، وانقسمت الامبراطورية الرومانية فى عهده الى شرقية وغربية صارت المدينة تابعة للمملكة الغربية .

وجاء الامبراطور « جوستنيان » وبنى فى المدينة عددا من الكنائس ، منها « كنيسة العذراء » .

واستمر حكم الرومان قائما الى أن فتح العرب فلسطين سنة ـــ ١٥ هـ ـــ ٦٣٦ م ، وكان العرب يسمون المدينة ، ومازالوا يسمونها ، باسم «القدس» و « بيت المقدس » .

المدينة تحت الحكم العربى :

ـــ عندما دخل العرب فلسطين حاصروا مدينة « ايلياء » كما كانت تسمى فى ذلك الحين ، واستمر الحصار شهورا ، ثم اضطرت المدينة الى التسليم ، ولكن البطريرك ، « صفرونيوس » اشترط حضور الخليفة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، بنفسه ليتسلمها منه .

وجاء الخليفة استجابة لهذا الشرط ، وتسلم المدينة ، وكتب للبطريرك عهدا معروفا ومشهورا فى التاريخ ، وبموجبه أطلقت لسكانها الحرية كاملة فى مزاولة دياناتهم ، والتصرف فى أموالهم ، وأمنوا على أنفسهم ، وعلى كنائسهم ، وصلبانهم ، وفرضت عليهم ، فى نظير قيام العرب بهذه التكاليف التى تضمنها العهد المذكور ، جزية يؤدونها ، مثلهم مثل سكان المدائن الأخرى بفلسطين .

وامتدحكم العرب لهذه البلاد ، وبالتالى للمدينة نفسها ثلاثة عشر قرنـــا متواصلة (عدا فترة حكم الصليبيين) لم تتعرض خلالها لسوء ، فلم تهدم ، ولم تنهب ، ولم تقلب رأسا على عقب ، ولم تصب مقدساتها بضرر ، سواء ما كان منها من مقدسات النصارى واليهود ، بل لقد أحسن العرب الى سكان المدينة ، جميعا ، فى المعاملة دون تمييز بينهم ، حتى لقد أحسوا بطمأنينة وأمن واستقرار فى ظل الحكم العربى ، فلا اضطهاد ولا تنكيل ولا تقتيل .

ولقد صارت المدينة عربية لغة ، وحضارة ، ومشاعر « فالحضارة التى عرفتها المدينة ترجع الى الحكم العربى دون سواه » [1] .

ولقد أمر عمر ، رضوان الله عليه ، بتنظيم المدينة اداريا وقضائيا ، ثم دون الدواوين ، وقسم البلاد الى مناطق لكل منطقة « أمير » ، ورتب البريد لكى يؤمن الاتصال بين هذه المناطق بعضها وبعض ، وأقام نظام الحسبة الذى يتلخص فى « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » وراقب الأسواق والمكاييل والموازين ، ومنع الغش فى المعاملات ، وأجرى غير هذا وذاك من أعمال مما ليس هنا محل بيانه وتفصيله .

ــ ولقد كان لمدينة القدس ، قديما ، سور كان يهدمه الغزاة أحيانا ولكن هذا السور أقيم فى عهد الدولة الأموية ، وأقيم عليه أربعة وثمانون برجا ، وجعلت له ستة أبواب .

وفى خلافة عبد الملك بن مروان أنشئت طرق جديدة ، وعبدت ومنها ، طريق القدس ــ الشام ، وطريق القدس ــ الرملة .

وقيل ان « الوليد بن عبد الملك » كان يحب المدينة ، وانه « تقبل مبايعة الناس وهو على سطح الصخرة » .

وفى خلافة العباسيين ، فى عهد ابى جعفر المنصور ، أصيب المسجد الأقصى بأضرار شديدة عقب زلزال وقع سنة ٧٤٧ ميلادية ، فأمر الخليفة بتعميره ، وتم ذلك عام ٧٧١ م .

وفى سنة ٧٧٤ م ، فى خلافة المهدى ، حدث زلزال آخر أصاب المسجد نفسه بأضرار بالغة ، فأمر الخليفة بتعميره .

وعامل هارون الرشيد أثناء خلافته النصارى أحسن معاملة ، حتى لقد سمح للامبراطور « شارلمان » بترميم الكنائس وبناء « كنيسة العذراء » . وتعهد بحماية الحجاج المسيحيين الذين يفدون لزيارة « بيت المقدس » .

وفى السنوات الأخيرة من حكم الدولة العباسية زار المدينة العالم

(١) اسحق موسى الحسينى .

« برنارد الحكيم » وقال عنها « ان المسلمين فيها على تفـاهم تام مع المسيحيين ، وان الأمن سائد ومستتب » •

وكان المعتصم أول الخلفاء العباسيين الذين استعانوا بالاتراك ،وأسندوا اليهم مناصب الدولة ، مما أدى الى اضعاف سلطة الخلفاء ، فيما بعد ، ثم الى زوال الخلافة ، فى نهاية المطاف •

وكان الخلفاء يعينون منهم ولاة على الاقاليم • فكان هؤلاء ينيبون عنهم آخرين يحكمون البلاد التى يولون عليها باسمهم •

وحدث أن أسندت ولاية مصر ، فى عهد الخليفة المعتز ، الى «باكسباك» فأناب هذا عنه « ابن طولون » وآل أمر هذا الأخير الى أن أسس « الدولة الطولونية » سنة ٨٣٥ ميلادية[١] ، وكانت هذه‌الدولة تضم الشام، فدخلت « القدس » فى حوزتها •

ــ وتأسست الدولة الأخشيدية سنة ٩٣٥ميلادية،فى خلافة القاهربالله، اذ كان الخليفة المقتدر (السابق على القاهر بالله) قد ولى « تكين » على مصر فأناب هذا عنه الاخشيد ، الذى آل أمره الى تأسيس الدولة المذكورة، ودخلت الشام ، وبالتالى المدينة نفسها ، فى حوزته •

وخلف الاخشيد ابنه « أنوجور » [٢] ، وفى أيامه زار السائح الفارسى « ناصرى خسرو » مدينة القدس ووصفها بقوله « انه كان فى القدس •• عشرون ألف نسمة ، وفيها أسواق جميلة •• وأرضها مرصوفة بالحجارة، ويوجد على حافة سهل معروف بالساهرة قرافة عظيمة فيها مقابر كثير من الصالحين » • وكان فى القدس فى تلك الأيام مسجد ليس فى الاسـلام أكبر منه ، ولم يكن فيها ماء جار سوى عيون لا تتسع للزروع ، ويزرع فى جبالها وسهولها أشجار الزيتون ، والتين ، والجميز ، والعنب ، وسـائر الفواكه •

وبعد أنوجور جاء « كافور » ، ودفن الأخشيد ، وابنه ، وكافور ، بعد موتهم ، فى مدينة القدس •

---

(١) تاريخ الاسلام ــ جزء ٣ ــ « العصر العباسى » ــ للدكتور حسن ابراهيم حسن •
(٢) المرجع السـابق •

ــ وفى سنة ٩٦٦ ميلادية استولى الفاطميون على مصر وكانت القدس فى يد السلجوقيين ، وأخيرا استولى الصليبيون على المدينة ــ سنة ١٠٩٩ ميلادية ــ

وحدث ، فى عهد الدولة الفاطمية ، زلزال كبير فى مدينة القدس كاد يودى بقبة المسجد الاقصى ، ولكن الخليفة أمر بتعميرها فجاءت أحسن مما كانت .

وشرع الفاطميون فى بناء سور المدينة ، ومن مؤسساتهم فيها « البيمارستان » وهو أول مستشفى أسس فيها ، كما أسسوا « دار العلم » وهى فرع من دار الحكمة التى أنشئت فى مصر فى عهد الحاكم بأمر الله الفاطمى .

ووصف « المقدسى » المدينة فى عهد تلك الدولة (أى الفاطمية) قال : « بيت المقدس ليس فى مدائن الكور أكبر منها ، ليست شديدة البرد ، وليس بها حر ، وقلما يقع بها ثلج ... بنيانها حجر لا ترى أحسن منه ، ولا أتقن ... ولا أنظف من أسواقها .. ولا أكبر من مسجدها .. ولا أكثر من مشاهدها ... وفيها كل حاذق وطبيب ... واليها قلب كل لبيب ... ولا تخلو كل يوم من غريب ...

وهناك وصف آخر للمدينة فى العهد نفسه نجده فى كتاب « سفرنامه » للسائح الفارسى « ناصرى خسرو » ، وهو وصف مسهب نكتفى منه بالعبارات الآتية :

« يزرو السوريون وسكان البلاد المجاورة القدس ، ويشبعون فيها رغباتهم الدينية فيضحون فيها الضحايا ، ويصلون ويتقربون الى الله بجميع أنواع الصلاة والعبادة ، ويصل عددهم فى بعض الأعوام عشرين ألفا ، وكثيرا ما يأتون معهم بأطفالهم ليختنوهم بين جدرانها ، بالقرب من مساجدها ، وهى مزروعة زرعا جيدا ، ينبت فيها القمح ، والتين والزيتون ، كما تنبت فيها أنواع كثيرة من الأشجار ... أسعارها معتدلة ، زيتها كثير .... يحفظ الزيت فى الآبار والأحواض ، ويصدر الى خارج البلاد ، ويستعملون القار المجموع من مياه البحر الميت فى طلاء الأجزاء السفلى من الأشجار

لحفظها من الديدان ••• ويستعمله الصيادلة من أجل صيانة العقاقير من الحشرات ••• يحيط بالمدينة سور مبنى بالحجارة ، وللسور أبواب من حديد يقطن فيها عشرون ألفا من السكان بينهم صناع كثيرون ، ولكل صنعة سوق خاص بها » •

ـ وفى سنة ١٠٩٩ م سقطت المدينة فى أيدى الصليبيين ، بعد أن سلمت لهم حاميتها الفاطمية ، على آمان لم يطبقه الصليبيون على السكان من المسلمين (١) •

وأنشأ الصليبيون دولة فى « بيت المقدس » وكان أول حاكم لها هو « جودفرى دى بويون » ، وخلفه أخوه « بلدوين » الذى أعلن نفسه ملكا متوجا ، وأخذت حدود هذه المملكة تقترب تدريجيا من حدود البلاد المصرية ، ثم أصبحت منذ سنة ١١١٥ مسيطرة على فلسطين ، والساحل من بيروت الى قرب العريش •

وامتد حكم الصليبيين فى « القدس » الى ما بعد موقعة « حطين » التى استولى صلاح الدين بعدها على المدينة ، ثم نقل الى المسجد الأقصى المنبر الخشبى الذى كان « نور الدين محمود » قد صنعه من قبل وأعده للمسجد المذكور •

وكثير من المسلمين يزورون المسجد الأقصى ، بعد زيارة قبر الرسول ، صلوات الله عليه ، وهذه الزيارة بسيطة تؤدى فى أى وقت (٢) ، ولكن صلاح الدين رتب الأعياد والمواسم ، وجعل هذه الزيارة متفقة فى وقت أدائها مع الوقت الذى يقام فيه عيد الفصح عند الفرنجة ، حيث يفد على القدس كثيرون منهم لأداء الحج ، وأما الحكمة التى توخاها صلاح الدين من هذا الترتيب فهى أنه كان يخشى أن ينقلب هؤلاء الوافدون من الفرنجة، فجأة ، جنودا يحتلون المدينة ، فاذا ما حدث ذلك انقضت عليهم جموع الزوار من المسلمين فقضت على تدبيراتهم وردتهم على أعقابهم خاسرين •

(١) كتاب حملة لويس التاسع على مصر .
(٢) الرحلة الحجازية .

وبعد زوال الدولة الأيوبية جاء عصر المماليك ، وكانت القــدس تحت حكمهم ، وقد أقيمت فى عهدهم منشآت وآثار عديدة سوف تذكر فى موضعها من هذا البحث •

وفى عام ١٥١٧ ميلادية استولى « السلطان سليم العثمانى » على مصر، ثم اســتولى على « القـــدس » فى السنة التاليـــة ، وفى أيامه أتيح للنصارى الحج الى « بيت المقدس » على أن يؤدوا الرســم الذى كانوا يؤدونه فى زمن المماليك •

وفى عهد خلفه « السلطان سليمان القانونى » أقيمت بالقدس منشـــآت نذكرها فى موضعها ، مع المنشآت الأخرى التى أقيمت فى العهود التاليــة من الحكم العثمانى •

وفى عهد « السلطان عبد المجيد » ــ سنة ١٨٤١ ميلادية ــ كان سكان القدس ٢٠٫٠٠٠ منهم ١٠٠٠ من المسيحيين •

وأمر السلطان بتعمير الحرم القدسى سنة ١٨٦٠ م ، وكان الوالى المعين من قبله على المدينة واسمه « كامل باشا » قد آجاز أن ترفع بعض الدول الأجنبية أعلامها على قنصلياتها فيها ، لأنها كانت قد حاربت فى جانب تركيا ضد روسيا فثار الأهالى ضده •

وجاء « السلطان عبد العزيز » فجعل القدس متصرفية مستقلة بعــد أن كانت تابعة لولاية سوريا ، وفى أيامه أنشىء الطريق بين يافا والقدس ، وطريق نابلس ــ القدس ، ورصفت الشوارع والأسواق ــ وكان عدد سكان المدينة ٦٨٠٠٠ نسمة •

وأصدر « السلطان عبد الحميد الثانى » ، قانونا يحرم هجرة اليهود الى فلسطين (والقدس ، بطبيعة الحال) ويحرم عليهم شراء أراضى فيهــا ، ولكنه عاد فسمح لهم بدخولها بقصد العبادة وبشرط أن لا تمتد اقامتهم الى أكثر من ثلاثة شهور •

وفى أيامه أنشئت السكة الحديدية بين القـــدس ويافا سنة ١٨٩٢ م ، وأنشئت مستشفى البلدية •

وفى العهد العثمانى كانت شئون المدينة الادارية والمــالية تدار بواسطة نائب عن السلطان مرجعه الى الحكومة فى القسطنطينية ، وكان للمدينـــة

« مجلس شورى » أنشىء سنة ١٨٤٠ م كما أنشىء لها « مجلس عمومى » سنة ١٩١١ ، وكانت ممثلة فى البرلمـان العثمانى سنة ١٩٠٨ •

كذلك كانت للمدينة « بلدية » •

واشتهرت المدينة فى العصر التركى بصناعة العلب والأدوات المدرسية والبضائع المصـنوعة من خشب الزيتون ، ومن الصـوف ، وبصـناعة الشموع المختلفة ، وبالسمسم ، والصابون ، وزيت الزيتون •

وكانت هناك ضرائب مختلفة ، وجزية تجبى من أهل الذمة •

ولـما قامت الحرب بين الأتراك ، ومحمد على باشا الذى كان واليـا على مصر ، استولى ابراهيم باشا على القدس سنة ١٨١٣ م ، ثم عقد صلح أصبحت القدس ، بموجبه فى حوزة محمد على باشا •

وقامت ثورة ضد ابراهيم باشا كانت القدس أهم مراكزها ، وانه وان يكن ابراهيم باشـا قد تغلب على هذه الثورة فانه انسحب أخيرا عائدا الى مصر •

وعلى عهـد ابراهيم باشا أنشىء جانب من القشلاق الكائن عنـد باب الخليـل ، وأنشئت طاحونة الهواء سنة ١٨٣٩ م ، وكانت أول طاحونة فى المدينـة •

وعلى عهد السلطان « محمد رشاد الخامس » أعلنت الحرب العالميـة الأولى ، وفى خلالها ثار العرب ضد الدولة العثمانية ، وخاضـوا غمـار الحرب الى جانب الانجليز وضد الأتراك ، وانتهت الحرب بدخول الانجليز الى فلسطين سنة ١٩١٧ ميلادية ، واحتلوا مدينة القدس فى ٩ ديسمبر من السنة نفسها •

تسلسل التواريخ فى حياة المدينة

١ — القرن الخامس عشر قبل الميلاد — بنيت المدينة •
٢ — استولى عليها فراعنة مصر •
٣ — ١٠٤٩ ق•م استولى عليها الملك داوود •
٤ — ٦٧٨ ق•م استولى عليها الاشوريون •

٥ — ٥٨٨ ق م استولى عليها البابليون •
٦ — ٥٣٦ « استولى عليها الفرس •
٧ — ٣٣٢ « استولى عليها اليونانيون •
٨ — « صارت تابعة للبطالسة •
٩ — ١٦٨ « صارت تابعة للسلوقيين •
١٠— « صارت تابعة للمكابيين •
١١— ٦٣ « استولى عليها الرومان •
١٢— ٦٣٦ ميلادية استولى عليها العرب •
١٣— ١٠٩٩ « استولى عليها الصليبيون •
١٤— ١١٨٧ « استولى عليها صلاح الدين •
١٥— ١٥١٧ « استولى عليها الأتراك •
١٦— ١٩١٧ « استولى عليها الانجليز انتدابا
١٧— ١٩٤٨ « اعلن انهاء الانتداب ، وصدر قرار تقسيم فلسطين ، ودخلت الدول العربية محاربة ضد اليهود •

ملاحظة — لم تذكر بعض التواريخ فى هذا التسلسل لعدم الأهمية الكبرى •

المقدسات والاثار الاسلامية

١ — المسجد الأقصى ، أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، ونزلت فى شأنه الآية الكريمة « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير » •

٢ — مسجد قبة الصخرة — وتقع وسط الحرم الشريف ، وهى « اروع العمائر الاسلامية » •

٣ — والصخرة — يروى أن الرسول الأكرم وضع قدمه عليها لما صعد الى السماء •

٤ — جامع عمر — وهو الذى بناه الخليفة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، عندما تسلم المدينة سنة ٦٣٦ م •

٥ ــ المساجد ومجموعها ٣٦ مسجدا .

(أ) منها مساجد فى المدينة القديمة داخل السور ، وعددها ٢٩ مسجدا منها على سبيل المثال :

١ ــ مسجد الخانقاه : الى الشمال الغربى من كنيسة القيامة .

٢ ــ الجامع العمرى : قبلى كنيسة القيامة .

٣ ــ مسجد طريق النبى داوود : على طريق النبى داوود

٤ ــ مسجد البراق : ملاصق لحائط البراق .

٥ ــ جامع قبة موسى : فى ساحة الحرم .

٦ ــ جامع باب الغوانمة : وفيه الآن المتحف الاسلامى ، ودار الكتب .

(ب) ومنها سبعة فى المدينة الجديدة خارج السور .

٦ ــ وفى المدينة ١٥ مئذنة ، أربعة منها داخل الحرم ، والباقى خارج الحرم .

ومن الآثار الاسلامية الاخرى :

(أ) من آثار صلاح الدين الأيوبى :

١ ــ أزال الآثار التى أحدثها الصليبيون ، وكان الصليبيون قد اتخذوا من المسجد الأقصى مساكن لجنودهم ، وأماكن للذخيرة ، وغير ذلك .

٢ ــ ونقل الى المسجد الاقصى المنبر الذى كان نور الدين محمود قد صنعه وأعده لاقامته فى المسجد المذكور .

٣ ــ وأقام « مستشفى البيمارستان » ويقال انه المستشفى الذى كان الفاطميون قد أقاموه قبلا .

٤ ــ وأنشأ « مدرسة الخانقاه » سنة ١١٩٢ قــرب منزل البطريرك الملاصق لكنيسة القيامة .

٥ ــ وقد عمر ما تهدم من سور المدينة ــ وأقام جامع الجبل على جبــل صهيون ، وبنى مقبرة المجاهدين ــ وقبة يوسف فى فناء الصخرة .

(ب) عهد أبناء صلاح الدين :

١ ــ انشأ الأفضل المدرسة الأفضلية ، والمسجد العمرى قرب « كنيسة القيامة » .

٢ ــ وأنشأ الملك العادل المدرسة الجراحية حوالى سنة ١٢٠٢ ميلادية

(جـ) وأنشأ الملك شرف الدين عيسى

١ ـ المدرسة المعظمية سنة ١٢١٣ م

٢ ـ والمدرسة البدرية

٣ ـ وسبيل شعلان ١٢١٦ م .

٤ ـ والرواق الشمالى بمدخل المسجد الأقصى . ١٢١٧ م .

(د) وجاء عصر المماليك ومنهم قطز . وقد أقام المدرسة الناصرية سنة ١٢٦٧ م والظاهر بيبرس ، وقد بنى على « قبر موسى » قبة ومسجدا .

ثم الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، وقد أقام « رباط قلاوون » عام ١٢٨٢ ووقفه على الفقراء من زوار القدس وأنشأ بعض المساجد .

(هـ) الملك الناصر ابن الملك منصور سيف الدين .

وقد أنشأ نحو ٢٠ مدرسة منها .

١ ـ المدرسة الدوادارية عام ١٢٩٥ .

٢ ـ والمدرسة الأرغولية عام ١٣٥٧ ـ وقد دفن فيها الملك حسين بن على الذى أوقد نار الثورة ضد تركيا سنة ١٩١٥ .

٣ ـ المدرسة الخاتونية ـ وقد دفن فيها أحد أمراء الهند سنة ١٩٢٠ .

٤ ـ المدرسة الاسعردية ـ وجدد المجلس الاسلامى الأعلى عمارتها وجعلها « دارا للكتب » .

(و) عهد المماليك الشراكسة :

وقد أنشأوا بعض المدارس وأقاموا سبيل شعلان فى ساحة المسجد ـ عام ١٢١٦ ، « وسبيل قايتباى » داخل الحرم .

(ز) الأتراك

وقد أنشأ السلطان سليم الأول « التكية المعروفة » بتكية خاصكى سلطان عام ١٥٥٢ م .

ومسجد الطور عام ١٥٣٧ .

وغير ذلك من المنشآت .

(ح) وفى القدس كثير من الزوايا يؤمها الحجاج من مختلف البلاد الاسلامية ومنها :

١ ـ الزاوية النقشبندية للحجاج الوافدين من أزبكستان .

٢ ـ زاوية الهنود للحجاج القادمين من الهند .

٥ ــ المساجد ومجموعها ٣٦ مسجدا .

(أ) منها مساجد فى المدينة القديمة داخل السور ، وعددها ٢٩ مسجدا منها على سبيل المثال :

١ ــ مسجد الخانقاه : الى الشمال الغربى من كنيسة القيامة .

٢ ــ الجامع العمرى : قبلى كنيسة القيامة .

٣ ــ مسجد طريق النبى داوود : على طريق النبى داوود

٤ ــ مسجد البراق : ملاصق لحائط البراق .

٥ ــ جامع قبة موسى : فى ساحة الحرم .

٦ ــ جامع باب الغوانمة : وفيه الآن المتحف الاسلامى ، ودار الكتب .

(ب) ومنها سبعة فى المدينة الجديدة خارج السور .

٦ ــ وفى المدينة ١٥ مئذنة ، أربعة منها داخل الحرم ، والباقى خارج الحرم .

ومن الآثار الاسلامية الاخرى :

(أ) من آثار صلاح الدين الأيوبى :

١ ــ أزال الآثار التى أحدثها الصليبيون ، وكان الصليبيون قد اتخذوا من المسجد الأقصى مساكن لجنودهم ، وأماكن للذخيرة ، وغير ذلك .

٢ ــ ونقل الى المسجد الاقصى المنبر الذى كان نور الدين محمود قد صنعه وأعده لاقامته فى المسجد المذكور .

٣ ــ وأقام « مستشفى البيمارستان » ويقال انه المستشفى الذى كان الفاطميون قد أقاموه قبلا .

٤ ــ وأنشأ « مدرسة الخانقاه » سنة ١١٩٢ قـــرب منزل البطريرك الملاصق لكنيسة القيامة .

٥ ــ وقد عمر ما تهدم من سور المدينة ــ وأقام جامع الجبل على جبـــل صهيون ، وبنى مقبرة المجاهدين ــ وقبة يوسف فى فناء الصخرة .

(ب) عهد أبناء صلاح الدين :

١ ــ انشأ الأفضل المدرسة الأفضلية ، والمسجد العمرى قرب « كنيسة القيامة » .

٢ ــ وأنشأ الملك العادل المدرسة الجراحية حوالى سنة ١٢٠٢ ميلادية

ج) وأنشأ الملك شرف الدين عيسى

٣ ــ الزاوية القادرية للحجاج الوافدين من الأفغان •

(ط) وفى المــدينة كثير من مقابر الصحابة ، والتــابعين والعلماء ، والمجاهدين : مثل مقبرة عبادة بن الصامت ، وشداد بن أوس ، وفــيروز الديلمى ، وغيرهم •

وعلى الجملة فان هذه المقدسات والآثار القديمة تجعل من هذه المدينة مدينة مقدسة فى نظر المسلمين ، وهى أعظم شأنا ، من هذه الوجهة ، من أى بلد اسلامى آخر ، عدا مكة والمدينة •

المقدسات والاثار المسيحية

منهــا :

١ ــ « كنيسة القيامة » بنتها الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين سنة ٣٣٥ ميلادية ، وأحرقت سنة ٦١٤ ميلادية ، وأحرقت معها جميع الكنــائس والأديرة التى كانت فى القدس ، وأعاد أحد الرهبان بناءها ســنة ٦٣٦ ميلادية ، وفى وسطها بناء « القبر المقدس » •

٢ ــ كنيسة القبر المقدس •

٣ ــ كنيسة نصف الدنيا،وشيد فيها برج للأجراس ــ «وفى عهدصلاح الدين سلمت مفاتيحها الى عائلتين مسلمتين هما « نسيبه » و « جوده » •

٤ ــ كنيسة العذراء ــ على جبل صهيون •

٥ ــ كنيسة ماريعقوب للارسالية الانجليزية أنشئت عام ١٨١١ م •

٦ ــ « كنيسة الصعود » على جبل الزيتون •

٧ ــ كنيسة القديسة « مريم المجدلية » •

٨ ــ وللجالية الأمريكية كنيسة فى شارع الانبياء ، ومدرسة للبحث عن الآثار الشرقية •

٩ ــ عدد من الأديرة منها :

(أ) دير مار مرقس وفيــه كنيسة بيزنطية باسم « العــذراء » ودار للأسقفية •

(ب) دير القدس •

(ج) دير توما •

(د) دير مبارك •

(هـ) دير القديس شارل بروسيوس •

مدينة الخليل

الدكتور يوسف عبيد

القدس وما حولها تشغل اليوم بال المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها لأن لهم بها تراثا خالدا ومقدسات لها مكانتها العظمى فى القلوب ، كل هذا مهدد بالخطر لأن عصابة الصهاينة قد دبروا ومكروا مكرا كبارا . وادعو ملكا وأرادوا أن يؤسسوا لهم دولة ولكن هذه المحنة وما نمر فيه من نكسة يجب آلا توهن من عزائمنا ولا تفت فى عضدنا . لأن دولة الباطل ساعة ودولة الحق حتى قيام الساعة . فلقد مر على هذه البلاد احداث جسام وشهدت حروبا طاحنة منها الحروب الصليبية التى غزا فيها ملوك الفرنج البــلاد وعاثوا فى الأرض فسادا وداسوا مقدساتها .

فانظر كيف كان عاقبة هذا الاعتداء على الحقوق آن دمر الله ملكهم وأزال دولتهم ونصر الحق وآعاد البلاد لأصحابها الحقيقيين . اذن فليس يطلب منا فى هذه الأوقات الحرجة التى تمر بنا وبالأمة العربية جميعا الا الاستمساك بحقوقنا والتأهب الدائم لاسترداد ما اغتصب من أراضينا . فلن يضيع حق ورأءه مطالب (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) صدق الله العظيم .

ومدينة الخليل التى تخصنا فى هذا البحث بلدة طيبة مباركة تقوم فى وادى الخليل بين مرتفعات جبل نصره ونهر أبو الرمان ويشتهر بوفرة فاكهته وبخاصة العنب الخليلى وهى تابعة للمملكة الأردنية الهاشمية وعدد سكانها عام ١٩٢١ (١٧٠٠٠) نسمة منهم ١٥٠٠ من اليهود [١] . والآن يبلغ عدد سكانها ٣٣ ألف نسمة وهى على بعد ٤٤ ك٠م من بيت المقدس وقد استولى عليها الصليبيون عام ١١٠٠ م والمغول ١٢١٠ م . واعادها الظاهر بيبرس ١٢٦٧ [٢] .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ص ٤٣٢ م ٢٠

(٢) الموسوعة العربية الميسرة طبعة ١٩٦٥ .

وقد كان اسم البقعة المقدسة المعروفة الآن ببيت المقدس وما حولها (أرض كنعان أو بلاد الكنعانيين) التى كانت تمثل جزءا من بلاد الشام وهى الأرض المقدسة أو فلسطين التى هاجر اليها الخليل عليه السلام •

ولمدينة الخليل طابع معروف فهى مدينة اسلامية لن تجد فيها مشرب خمر أو محلا واحدا للميسر وانك لتذرعها شرقا لغرب وشمالا لجنوب فلا تعثر فيها على معصية لله [1] •

وهناك علاقة تاريخية بين الخليل وبين بعض امراء المسلمين والفرنج • ونبدأ بناصر خسرو الذى زار هذه المدينة قبل نشوب الحرب الصليبية بنصف قرن ١٠٤٧ وكانت فى ذلك الوقت على الجانب الشمالى من الحرم فحسب •

ومما يذكر أيضا أن الخليفة المهدى الفاطمى ٩١٨ م شيد أول الأمر بابا فى منتصف السور الشمالى الشرقى للضريح ولم يكن من الميسور قبل ذلك الوصول الى الحرم •

ولما استولى الصليبيون على الخليل أعطاها كودثرى بوبون عام ١١٠٠ م الى جيرار دافن المتوفى سنة ١١٠٢ ثم وليها آخرون الذين كانوا ولاة على حبرون فحسب وكانوا من قبل تابعين لملك بيت المقدس ثم أصبحوا من عام ١١٥٥ تابعين لصاحب الكرك •

وجعلت مدينة حبرون اسقفية عام ١١٦٨ وقد ذكر على الهروى الذى زار بيت المقدس أو الخليل عام ٥٦٧ هـ (١١٧١ م — ١١٧٢) أنه تعرف على فارس نصرانى ذكر أن المغاور التى دفن فيها البطارقة قد جددت بأمر من الملك بردويل سلدرون الثانى الذى يحتمل أنه الداعى لاقامة المبانى حول الحرم • ثم انتقلت الخليل الى حوزة العرب بعد وقعة حطين •

وفى مجير الدين[2] (طبعة بولاق) أن المنبر الذى يقوم الى جانب المحراب بالحرم كان فى الأصل هبة قدمها الخليفة الفاطمى المستنصر عام ٤٨٤ هـ (١٠٩١ — ٩٢) لمشهد الحسين بن على بعسقلان وأن صلاح الدين

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية م ٢٠ ص ٤٣١ .
(٢) دائرة المعارف الاسلامية م ٢٠ ص ٤٣٢ .

هو الذى أمر بنقله الى الخليل ليوضع فى الحرم وبعد وفاة صـــلاح الدين انتقلت الخليل الى يدى الناصر داود صاحب الكرك ولكن جيوش الصالح أيوب انتزعتها عام ١٢٤٤ م من الناصر ولكنه استعادها فى العام التالى بمساعدة الخوارزمية •

واستولى المغول على مدينة الخليل عام ١٢٦٠ ولكن بيبرس أخرجهم منها فى العام نفسه وزارها عام ١٢٦٦ عندما ولى السلطنة المصرية وفى هذا الوقت كان محرما على اليهود والنصارى دخول الحرم •

وبيبرس هو الذى أمر باعادة بناء المسجد عام ١٢٦٧ والمدينة فى ١٢٦٨ (المقريزى) •

والسلطان قلاوون (١٢٧٩ ــ ١٢٩٠) أمر بطلاء الأسوار فى أجزاء مختلفة من الحرم •

وأحدث السلطان برقوق أيضا تغيرات كبيرة فى الحرم بايحاء شهاب الدين أحمد اليغمورى والى بيت المقــدس والخليل وحارس الضريحـــين ففى عام ٧٩٦ هـ (١٣٩٤ م) لم يكتف برقوق باقامة محراب جديد للمالكية فى مسجد النساء بل أقام أيضا بابا جديدا فى الجانب الغربى للكنيسة الرومية القديمة خلف قبر ابراهيم مباشرة كما شيد بابا آخر فى السور الغربى للحرم فيما يعرف بحائط سليمان وهذا الباب قريب من مقام يوسف عليه السلام •

وفى سنة (١٣٤٧ ــ ١٣٦١ م) قام السلطان الناصر حسن ببناء هذا المقام علاوة على القلعة التى أقيمت فى العصور الوسطى وأصبحت فيما بعد مدرسة وأمر اليغمورى ببناء قبة فوق المقام •

وفى عهد السلطان محمد الناصر (١٢٩٣ ــ ١٣٤١) شيد الأمير سنجر الجاولى فى الجوانب الصخرية من الجبل الذى يقوم قباله السور الشمالى الشرقى للحرم مسجدا يسمى باسم الجاولية نسبة اليه •

وكان للسلطان الملك الأشرف والسلطان انبال والسلطان الظاهر خشقدم وكلهم من سلاطين المماليك أياد بيضاء على الحرم ومسجد الجاولية .

وفى العهـد التركى ومدته اربعمائة عام (ما بين ١٥١٧ ـ ١٩١٧) م لا توجد الا اشارات ذكرها الرحالة الغربيون . ولم يسجل لهم التاريخ أى أعمال انشائية أو أى تحسينات معمارية داخل مدينة الخليل رغم طول المدة التى قضوها فى الحكم . لهذا يعتبر أمرا غريبا اغفالهم هـذه البقعة المباركة رغم ما عرف عنهم قديما من الحرص على مظاهر الاسلام وتكريم الصالحين وتتكون مدينة الخليل الحديثة من سبعة أحياء ونستنتج من ذكر عدد هذه الأحياء أن مساحة الأرض التى تقوم عليها المدينة محدودة ولهذا نرى أن النمو الكافى غير مضطرد .

ولمسجد الخليل عليه الصلاة والسلام ما لكل المسـاجد من حق صلاة الجماعة فيه وجواز الاعتكاف وتحريم المكث على الحائض وتحريم دخول الجنب . بل انه لمن أعمـر بيوت الله وأكثرها بركة وجاء فى وصف المقام الكريم نقلا عن قاضى القضاة أبو اليمن القاضى الحنبلى[١] .

يشتمل المسجد على بناء معقود من داخل السور على نحو النصف منجهة القبلة الى جهة الشمال والبناء من عهد الروم وهو ثلاثـة أكوار الأوسط منها مرتفع عن الكورين الملاصقين له من جهة الشرق والغرب .

ويرتفع السقف على أربعة أسوار محكمة البناء وفى صدر هذا البناء المعقود تحت الكور الأعلى يوجد المحراب والى جانبه المنبر وهو مصنوع من الخشب الفاخر ويعد آية من آيات الصناعة المتقنة وقد وضع فى زمن المستنصر بالله أبى تميم معـد الفاطمى خليفة مصر . بأمر بدر الجمـالى مدير دولته .

وتوجد تجاه المنبر أريكة المؤذنين قائمة على عمد رخامية تعتبر نموذجا الصنع الباهر الجميل .

---

(١) أبو الانبياء ص ١٧٣ ، ص ١٧٤ .

وتقع قبور الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه تحت بناء المسجد على النظام الآتى •

الى جانب السارية التى عند المنبر قبر اسحق عليه السلام وأما قبر زوجته رفقة أو ربقة رضى الله عنهـا الى جانب السـارية الشرقية ويمكن اعتباره بناء قائما بذاته •

ولهذا البناء ثلاثة أبواب تنتهى الى صحن المسجد أحدهما وهو الأوسط ينتهى الى الحضرة الخليلية الجليلة وهو مكان معقود على جدرانه رخام مستدير وبه الى جهة الغـرب الحجرة الشريفة التى بداخلها قبر الخليل صلى الله عليه وسلم وتجاهه شرقا قبر زوجته السيدة سارة رضى الله عنها•

وفى آخر الساحة شمالا ضريح يعقوب عليه السلام وأمامه شرقا قبر زوجته لائقة رضى الله عنها •

وبداخل السـور أيضا مقام ليوسف الصديق عليه السلام وقد قيل انه مدفون خارج المغارة والأرضية التى بداخل السور مفروشة كلها بالبلاط السليمانى البديع •

ويوجد بظاهر السور السليمانى شرقا مسجد جميل عمره أبو سعيد سنجر الجاولى ناظر الحرمين ويسمى مسجد الجاولية الذى سبق ذكره وهو من العجائب لأنه قائم فى الجبل •

قصة مسجد الصخرة

الأستاذ محمد دياب

بعد نكسة يونيو عام ١٩٦٧ ، وقف « شلومو غورين » حاخام الجيش الاسرائيلى يؤدى الصلاة فى ساحة مسجد الصخرة المشرفة !

وكانت صلاة الحاخام اليهودى فى ساحة هذا المسجد ، هى الترجمة العملية لكل الأحلام التى راودت خيال اليهود عبر السنين فى الاستيلاء على الحرم القدسى ، وهدم المسجد الأقصى ومسجد الصخرة وكل مساجد الحرم ومقدساته الاسلامية ، ليقيموا على أنقاضه هيكل سليمان القديم !

ان الفكرة الدينية هى الركيزة الأولى فى قيام اسرائيل .. والخيال الدينى هو الذى يحرك أطماع الصهيونية فى التوسع .. ولا يمكن أن نقدم الى العالم دليلا على ذلك أقوى من أقوال ومواقف زعماء الصهاينة أنفسهم :

* فى دائرة المعارف اليهودية « جويش انسلكوبيديا » المطبوعة باللغة الانجليزية عام ١٩٢٦ ، وتحت كلمة « الصهيونية » هذا التعريف : « ان اليهود يبغون أن يجمعوا أمرهم وأن يأخذوا القدس ، وأن يعيدوا العبادة الى الهيكل ويقيموا ملكهم هناك » .

* وفى بداية هذا القرن قال وايزمان : ان القدس هى الجوهر الروحى لفكرة العودة الى فلسطين !

* وقال بن جوريون : انه لا معنى لاسرائيل بدون القدس ، ولا معنى للقدس بدون قدس الأقداس ! . (وقدس الأقداس الذى يعنيه بن جوريون هنا هو المسجد الأقصى) .

* وفى يوليو عام ١٩٢٠ — أثناء الاحتلال البريطانى لفلسطين — طلب ابراهام اسحق كوك حاخام اليهود فى فلسطين ومجلس الربانيين اليهود وأوسيشكن نائب رئيس الوكالة اليهودية ، من الحكومة البريطانية تسليمهم الحرم القدسى !

* وعندما بدأت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، شنت العصابات الصهيونية

هجمات متتالية بالقنابل على القدس القديمة ، هدفها الاستيلاء على الحرم القدسى !

* وبعد عدوان يونيـــو عام ١٩٦٧ قال اشكول وديان : ان اكتمال القدس بكل مقدساتها فى أيدى اسرائيل هو حلم اليهودية القديم الذى تحقق !

هكذا وقف الحاخام اليهودى « شلومو غورين » يصلى فى ساحة مسجد الصـــخرة ، ليعبر بهـــذه « الصـــلاة » عن تحقيق حلم اليهودية الدينى فى الاستيلاء على الحرم القدسى واعادة بناء الهيكل على أنقاضه !

فما هى الصخرة المشرفة ؟ وما هى قصة مسجد الصخرة الذى يتخذه حاخامات اليهود اليوم كنيسة صلاة ؟ !

الصخرة المشرفة تقع الآن تحت قبة المســـجد مباشرة •• وطولها من الشمال الى الجنوب نحو ثمانية عشر مترا ، وعرضها من الشرق الى الغرب نحو أربعة عشر مترا ، وارتفاعها عن الأرض يقرب من مترين ••

والمسلمون يقدسون الصخرة المشرفة ومسجدها داخل الحرم القدسى الشريف ، لمـــا لهما من علاقة وثيقة بقصة الاسراء والمعراج •

فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن أبى سعيد قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صليت ليلة أسرى بى الى بيت المقدس عن يمين الصخرة » •• ولم يختلف اثنان فى أنه عليه الصلاة والسلام قد عرج به عند القبة التى من داخل الباب الشامى من أبواب الصخرة ، ويعرف هذا الباب بباب الجنة ••

أما مسجد الصخرة المشرفة •• فقد تم بناؤه بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بثلاثة وسبعين عاما ، وذلك فى عام ٦٩١ ميلادية ، بداية العهد الأموى الذى مر على القدس ••

وقد ذهب عبد الملك بن مروان فى السنة الثانيـــة من خلافته الى بيت المقدس ، حيث قرر بناء قبة الصخرة الشريفة ومسجد الصـــخرة وعمارة المســـجد الأقصى ••

ويروى كتاب « الأنس الجليل فى أخبار القدس والخليل » قصـــة هذا البناء الاسلامى الرائع الذى استغرق حوالى سبع سنوات ، فيقول :

« ان عبد الملك بن مروان حين حضر الى بيت المقدس وأمر ببناء القبة على الصخرة الشريفة ، بعث الكتب الى جميع عماله والى سائر الأمصار ، أن عبد الملك قد أراد أن يبنى قبة على صخرة بيت المقدس تقى المسلمين من الحر والبرد ، وأن يبنى المسجد ، وكره أن يفعل ذلك دون رأى رعيته ، فلتكتب الرعية اليه برأيهم وما هم عليه ، فوردت الكتب عليـــه من سائر عمال الأمصار ترى رأى أمير المؤمنين موفقا رشيدا ، وان شاء الله يتم له ما نوى من بناء بيته وصخرته ومسجده ، ويجرى ذلك على يديه ويجسله تذكرة له ولمن مضى من سلفه ، فجمع الصناع لعمله وأرصد للعمارة مالا كثيرا يقال انه خراج مصر سبع سنين ، ووضعه بالقبة الكائنة أمام الصخرة من جهة الشرق بعـــد أن أمر ببنائها ، وهى من جهة الزيتون ، وجعلها حاصلا ، وشحنها بالأموال ووكل على صرف المـــال فى عمارة المسجد والقبة أبا المقدام رجاء بن حيوة بن جود الكندى ، وكان من العلماء الأعلام ومن جلساء عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وضم اليه رجلا يدعى يزيد بن سلام مولى عبد الملك بن مروان من أهل بيت المقدس وولديه .

ويقال ان عبد الملك وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للصناع فصنعوا له وهو ببيت المقدس القبة الصغيرة التى هى شرقى قبة الصخرة ، التى يقال لها السلسلة ، فأعجبه تكوينها وأمر ببنائها كهيئتها وأمر رجاء ويزيد بالنفقة عليها والقيام بأمرها وأن يفرغا المـــال عليها افراغا دون أن ينفقاه انفاقا .

وأخذوا فى البناء والعمارة عند القبة من شرقى المسجد الى غربيه حتى أكملوا العمل وفرغ البناء ، فكتب رجاء ويزيد الى عبد الملك بدمشق أن قد أتم الله ما أمر به أمير المؤمنين من بناء قبة صخرة بيت المقدس والمسجد الأقصى ولم يبق لمتكلم فيه كلام ، وقد بقى مما أمر به أمير المؤمنين من النفقة عليه بعد أن فرغ البناء وأحكم ، مائة ألف دينـــار فيصرفها أمير المؤمنين فيما أحب .

فكتب اليهما أمير المؤمنين أن قد أمرت بهـــا لكمـــا جائزة لمـــا وليتما من عمارة البيت الشريف المبارك ، فكتبا اليه : نحن أولى أن نزيده من حلى نسائنا فضلا عن أموالنا ، فاصرفها فى أحب الأشياء اليك ، فكتب اليهما بأن

تسبك وتفرغ على القبة فسبكت وأفرغت عليها ، فما كان أحد يقدر أن يتأملها مما عليها من الذهب .

« ثم بعد انتقال الخلافة الى الوليد بن عبد الملك انهدم شرقى المسجد ، ولم يكن فى بيت المـــال حاصل ، فأمر بضرب السبائك وانفاقها على ما انهدم منه ، وكان الفراغ من عمارة قبة الصـــخرة والمسجد الأقصى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة الشريفة » .

وقد أجمع المهندسون العالميون ، على أن مسجد الصـــخرة من أجمل الأبنية فى العالم ، ومن أجمل الآثار وأروع المقدسات .. ويعده المسلمون من أقدس الأماكن الاسلامية خارج الجزيرة العربية ..

وعندما زحف الصليبيون على القدس عام ١٠٩٩ ميلادية ، حولوا مسجد الصـــخرة المشرفة الى كنيسة ، وظل كذلك حتى استطاع صلاح الدين الأيوبى أن يطرد الصليبيين الغزاة من بيت المقدس ، ثم جاء الى مسجد الصخرة وأزال منه كل المعالم الصليبية ، وعاد المسجد يستقبل المسلمين مرة أخـــرى ..

وهنا يروى التاريخ هذه القصة .. لقد طلب بعض المسلمين من صلاح الدين أن يقوم بهدم كنيسة القيامة ، ردا على تحويل مسجد الصخرة المشرفة الى كنيسة ، وحتى لا يصبح للصليبيين أى أثر يبررون به غزو البـــلاد مرة أخرى .. ولكن صلاح الدين رفض بشدة أن يهدم كنيسة القيامة .

وبعد صلاح الدين ، عنى بمسجد الصخرة ملوك بنى أيوب وسلاطين المماليك وخلفاء بنى عثمان .. فكانوا يجددون فيه ويصلحون حتى يظل دائما على رونقه الجميل .. وكان آخر ترميم فى مسجد الصخرة عام ١٩٥٨ حيث أسهمت جميع الدول الاسلامية فى ترميم قبته ، واشترك فى هذا العمل الهندسى مهندسون مصريون ، وانتهى العمل به عام ١٩٦٤ ، وظل مسجد الصخرة آية من آيات الوجـــدان الاسلامى والذوق العـــربى والجمال الهندسى .. حتى كان احتلال اليهود القدس والحـــرم القدسى الشريف عام ١٩٦٧ .

ولكن أحـــلام صليبية اليوم لن تكون أســـعد حظا من أحلام صليبية الأمس .. وان غدا لناظره قريب .

الصلات بين القدس ومصر

الدكتور على حسنى الخربوطلى

عروبة فلسطين :

كان اسم (فلسطين) لا يطلق الا على القطر المعروف بهذا الاسم الآن ، بل كان قاصرا على شعب قديم ، ولم يطلق على هذا القطر الا قبل القرن العشرين الميلادى . اذ كان القطر المعروف الآن بهذا الاسم ، أى فلسطين ، يؤلف قسما من الامبراطورية العثمانية التى قسمت الوطن العربى الى ولايات ومتصرفيات دون أن يكون بينها اسم ولاية فلسطين ، بل كانت هناك متصرفية القدس ، وهى تابعة لولاية دمشق ، فلما وقعت الحرب العالمية الأولى وتقرر فى نهايتها وضع الأقطار العربيـــة تحت الانتداب البريطانى واستولت بريطانيا على القسم الجنوبى من سوريا ، وأطلقت على نصفه الغربى اسم فلسطين ، وعلى نصفه الشرقى اسم (شرق الأردن) .

أما معنى كلمة فلسطين فانها مشتقة من اسم شعب كان يقيم فى تلك البقعة قبل أربعة آلاف سنة ، وهناك ما يدل على أن هذا الشعب من أصل عربى ، بينما يعتقد بعض المؤرخين أنه جاء من جزيرة كريت أو من مكان آخر فى حوض البحر المتوسط .

ويذكر التاريخ أن قبائل عربية بدأت تنزح من شبه جزيرة العرب منذ عشرة آلاف سنة وأن هذه القبائل كانت تغزو سوريا والعراق ومصر ، وتستقر فيها وأن معظم الشعوب والدول التى ظهرت فى الأقطار المذكورة كانت نتيجة هذه الغزوات العربية وأن الكنعانيين والفينيقيين والبابليين والكلدانيين والحيثيين والآراميين والآشوريين والهكسوس وغيرهم كانوا جميعا من القبائل العربية العاربة التى استقرت مع مرور الزمن ، ولا شك أيضا فى أن تدمر وغسان ولخم والأنباط ومؤاب وآدوم وغيرها كانت الأخرى عربية .

وكان شعب فلسطين يقيم فى جنوب البلاد ، وكانت له مدنية وحضارة امتدت حتى كريت وليبيا وآسيا الصغرى واليونان ، وقبل أن تقوم سفن

الفينيقيين بجوب البحار كانت سفن الفلسطينيين تمخر عباب البحار الى المناطق الواقعة فى الحوض الشرقى من البحر المتوسط ، وكانت أشهر مدن الفلسطينيين يافا وغزة ومجدل وعسقلان وبيت داجون وبيت جبرين وغيرها ، وكان هذا الشعب يعبد الاله داجون وقد رسموه على شكل سمكة كبيرة مما يدل على أن هذا الشعب كان يميل الى أعمال البحر ، وكان هذا الشعب يعيش حياة القبائل العربية ، ولكل قبيلة ملك ، وكانت أسماء هؤلاء الملوك تدل دلالة واضحة على أنهم عرب .

وقبل أن يأتى الفلسطينيون ويستقرون فى الرقعة الجنوبية من أرض فلسطين كانت هناك قبائل عربية أخرى قد استقرت فى البلاد وأقامت فيها . ومنها العمالقة الذين كانون يستوطنون القدس وما حولها ، والكنعانيون الذين كانوا يستولون على جبال السامرة والكرمل الى لبنان ، كما كانت هناك قبائل أخرى مستقرة فى البلاد .

من العسير الفصل بين تاريخ فلسطين ، وتاريخ سوريا ، وتاريخ مصر ، عبر القرون الطويلة ، الا فى بعض الأزمنة والعصور القصيرة التى خضعت فيها أقسام من سوريا لغزوات جاءت عليها أحيانا من بابل أو مقدونيا ، أو روما ، أو فارس . وكثيرا ما اشتركت سوريا كلها فى الدفاع عن وحدتها أمام غزوات الفاتحين ومطامع الطامعين ، وكثيرا ما خاض أبناء سوريا المعارك جنبا الى جنب مع اخوانهم سكان الجنوب فى رد العدوان الأجنبى .

وهكذا رأينا فلسطين قطرا عربيا أصيلا ، ولا تشوب عروبته شائبة ، بل وضحت هذه العروبة بعد الهجرات العربية قبل الاسلام ، ثم خلدت العروبة بالموجة الاسلامية الكبرى التى خرجت فى عهدى أبى بكر وعمر بن الخطاب تنشر الاسلام فى الشام ، وتحرره من الطغيان الرومانى . ومما زاد فى قدسية بيت المقدس ما كان من الاسراء والمعراج .

ورحب سكان الشام العرب بالجيوش العربية الاسلامية ، فقد كانوا على استعداد للاستظلال بظل الراية الاسلامية التى وحدت بينهم دون أن نرغم أحدا منهم على اعتناق الدين الاسلامى ، وكان معظم هؤلاء السكان من العرب الذين حررتهم الراية الاسلامية من الاستعمار الرومانى ، فأصبح الجميع شعبا واحدا . وانخرط رجال الشام فى الجيوش العربية التى نشرت

راياتها فى الشرق والغرب ، فكان معظم أفراد الجيوش وقوادها من أهالى الشـــام •

أصبحت أرض فلسطين تابعة للدولة الأموية ، (دون أن تكون هناك حدود بينهما) • وكان الخلفاء الأمويون يملكون الضياع والقصور فيها ، ويقضون فصل الشتاء فى مناطقها الدافئة ، فكان الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان يقيم أحيانا فى مدينة الرملة البيضاء ، وكان الخليفة هشام بن عبدالملك يقيم فى أريحا • والمعروف أن الخلفاء الأمويين هم الذين أقاموا المســجد الأقصى وبنوا قبة الصخرة ، وأنشأوا المدن والقصور وعمروا القــرى والدساكر •

ظلت فلسطين تشارك أمها سوريا الأحداث والتطورات ، فى عهــود العباسيين ، ثم الأيوبيين ، ثم المماليك ، ثم العثمانيين ، دون أن يحاول أحد من الفاتحين التفريق بينهما أو شطرهما ، أو ايجاد حدود أو أسماء لكل منطقة من مناطق سوريا ، بل على العكس كان المعروف أنها جميعا تؤلف قطرا واحدا أطلق عليه اسم (بر الشام) •

أصبح لفلسطين دور عظيم فى سجل تاريخ النزاع بين الشرق والغرب استمر مائتى عام • ودفن فى تربتـــه كذلك عشرات الألوف من الشهداء العـــرب والمستعربين المسلمين • وانتهى بتخليـــد صـــفته العربيـــة الاسلامية ومدته القبائل العربية بعد ذلك بموجاتها التى خلدت أسماءها فى مختلف بقاعه ، مثل ديار بنى حسن وبنى مرة وغسانة والحوارث والحارثية وبنى عامر وغيرها • فضلا عن الموجات التى مازالت تحتفظ بصفتها وطابعها القبلى البدوى والمتوطنة فى أرجاء عديدة فى الجنوب والشرق والشمال •

الصلات بين مصر والقدس قبل العصر الفاطمى :

انتصر العرب المسلمون على الجيوش الرومانية انتصارا حاسما فى موقعة اليرموك ، وكان الامبراطور هرقل خلال المعركة معسكرا ببيت المقـــدس ، فرأى بعد هزيمة جيوشه أمام المسلمين أن بقاءه ببيت المقدس خطر عليه ، فآثر الانسحاب الى حمص واتخذها مركزا للعمليات العسكرية •

وكانت الشام حينئذ مقسمة الى أربع مقاطعات حربية ، هى دمشق ،

وحمص ، والاردن وتشمل الجليل الى صحراء الشام ، ثم فلسطين وهى الأراضى الواقعة الى الجنوب من سهل مرج ابن عامر •

استولى العرب المسلمون على دمشق بعد أن حاصروها سبعين يوما • ثم استولوا على فحل ، وحمص ، وحماة ، وقنسرين ، واللاذقية ، وحلب • وزحف القائدان العربيان شرحبيل وعمرو بن العاص الى (بيسان) ، فطلبت الصلح والأمان • ثم فتح العرب يافا ونابلس وعسقلان وغزة والرملة وعكا وبيروت • وقد استولى العرب على هذه المدن كلها بدون قتال ، وصمدت بيت المقدس •

كان يتولى الدفاع عن بيت المقدس قائد رومانى يدعى (أرطبون) ، أصر على عدم تسليمها للعرب ، فحاصروها أربعة شهور لم ينقطع فيها القتال ، واعتبر العرب المسلمون فتح بيت المقدس مسألة دينية أكثر منها مسألة سياسية ، فقد كانوا يعظمون بيت المقدس بعد مكة والمدينة •

لم يستطع أهل بيت المقدس الاستمرار فى تحمل الحصار الطويل ، وأدركوا أن العرب يستولون على مدينتهم آجلا أو عاجلا ، وأرادوا الاحتفاظ بكنيستهم العظمى ، ورأوا أن يحضر الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه ليمنحهم ما يشاءون من أمان ومواثيق ، ووافق الخليفة على القدوم الى بيت المقدس سنة ١٨ هـ (٦٣٩ م) •

وخلال وجود الخليفة عمر بن الخطاب فى بيت المقدس كان مشروع فتح مصر ، فقد انتهز عمرو بن العاص فرصة وجود الخليفة ليعرض عليه القيام بفتح مصر ، فقال للخليفة :

« انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم » • وأبدى عمر تردده وعدم موافقته على غزو مصر ، فكان يرى أن الوقت لم يحن بعد للقيام بهذا المشروع الكبير ، فقد كانت الجيوش الاسلامية منتشرة فى فارس والشام تقاتل فلول الفرس والرومان ، فلم يكن يتوفر للعرب أن يعدوا جيشا كثيفا لفتح مصر • كما أن الجيوش العربية كانت فى حاجة الى فترة هدوء وسلام • تثبت فيها أقدامها فى البلاد المفتوحة قبل أن تقدم على غزو جديد •

ولكن عمرو بن العاص ألح على الخليفة عمر بن الخطاب ، وأخذ يبين له سهولة فتح مصر ، ودلل على رأيه أنه كان يقصدها للتجارة قبل ظهور

الاسلام ، ووصف عمرو خصب أرض مصر ، ووفرة ثروتها ، وأكد أن فتح مصر يؤمن فتوح العرب فى الشام •

والواقع أن فتح مصر أصبح ضرورة بعد فتح الشام وفلسطين ، لتأمين الفتوحات الاسلامية فى الشام • وقد ارتبطت مصر منذ أقدم العصور ببلاد الشام بمصالح سياسية وحربية وتجارية واحدة • وغالبا ما خضعت مصر والشام فى العصور المختلفة لدولة واحدة •

وبعد تمام فتح مصر ، ازدادت الصلات بين بيت المقدس والقطر المصرى ، اذ أصبحت مصر والشام ولايتين من ولايات الدولة العربية الاسلامية • وتمتع أهالى الاقليمين بما اشتهر به العرب المسلمون من تسامح وعطف على أهل الكتاب • واستراح الأهالى مما كانوا يعانون منه تحت الحكم الرومانى البيزنطى من اضطهاد دينى ، نتيجة الخلاف المذهبى بين الدولة الرومانية ورعاياها من أهالى مصر والشام •

واستمر المصريون طوال العصرين الأموى والعباسى ، يتوافدون على بيت المقدس • فكان المسيحيون منهم يحجون الى كنيسة القيامة ، بينما حرص المسلمون على زيارة المسجد الأقصى بالقدس ، حيث كان الاسراء والمعراج •

استمرت بلاد الشام ومصر ولايتين منفصلتين فى عهود الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين ، حتى قامت الدول المستقلة فى مصر ، وكان أولها الدولة الطولونية ، وقد حرصت هذه الدول جميعا على أن تمد نفـوذها الى بلاد الشام ، وأصبحت القدس تابعة لهذه الدول من النواحى السياسية والادارية ، مما وثق الصلات بين مصر وبيت المقدس فقـد مدت كل من الدولتين الطولونية والاخشيدية نفوذها الى بلاد الشام •

وفى عصر الدولة الاخشيدية ، هدد القرامطة بلاد الشام ، وخاصـة فلسطين • وكان القرامطة جماعة من الشيعة الاسماعيلية ، وقد نادوا بكثير من الآراء المتطرفة ، وهاجموا المدن والقرى وأسرفوا فى سفك الدماء وأثاروا الرعب والخوف فى القلوب • ونجح القرامطة فى العصر الاخشيدى فى فتح مدينة الرملة ، ودافع الاخشيديون عن بيت المقدس ، فاتفق الاخشيديون مع

القرامطة على أن يدفعوا للقرامطة ثلاثمائة ألف دينار سنويا ، على أن يكفوا أيديهم عن الشام •

الصلات بين مصر وبيت المقدس فى العصر الفاطمى :

قامت الدولة الفاطمية فى أول أمرها فى بلاد المغرب • وهذه الدولة علوية شيعية أنشأها أحفاد لعلى بن أبى طالب وزوجته السيدة فاطمـــة بنت الرسول ، وانتسبوا اليها • وأصبحت هناك خلافتان ، خلافة سنية فى بغداد بالعراق وهى الخلافة العباسية ، وخلافة شيعية فى القيروان بالمغرب وهى الخلافة الفاطمية •

كان الخلفاء الفاطميون يفضلون أن تقوم الدولة الفاطمية فى مصر بدلا من المغرب ، لتوسط مصر العالم الاسلامى ، وحتى يبسط الفاطميون نفوذهم على بلاد الشام والحجاز ، ولكن قرب مصر من بلاد العراق موطن الخلافة العباسية ، جعل الفاطميين يفضلون أن تقوم دولتهم فى بلاد المغـــرب • وقد بدأت محاولات فتح مصر منذ عهد الخليفة الفاطمى الأول عبيد الله المهدى ، واستمرت المحاولات الفاطمية ، حتى نجح الخليفة الفاطمى الرابع المعز لدين الله فى فتح مصر • فبدأت الصلات بين مصر وبيت المقدس تدخل فى دور جديد •

تولى أمر فتح مصر القائد الفاطمى المشهور جوهر الصقلى ، الذى أسس مدينة القاهرة فى نفس الليلة التى دخل فيها الفسطاط • وبعد استقرار جوهر فى مصر ، بعث حملة عسكرية الى فلسطين فى أوائل سنة ٣٥٩ هـ بقيادة جعفر ابن فلاح الكتامى • ونجح جعفر فى فتح مدن فلسطين وفى مقدمتها بيت المقدس ، وأعلن أنه يريد انقاذ فلسطين والشام من خطر القرامطة • ولكن القرامطة نجحوا فى فتح فلسطين واجلاء الفاطميين عنها ، بل تقدم جيش القرامطة زاحفا نحو القاهرة ، ولكن الفاطميين نجحوا فى صد القرامطة ، واستعادوا فلسطين مرة أخرى •

وفى أواخر القرن الخامس الهجرى ، بدأ ضعف الدولة الفاطمية ، فبدأت الدولة العباسية تطمع فى استرداد نفوذها فى فلسطين ، وخاصة فى بيت المقدس وكان السلاجقة حينئذ أصحاب النفوذ الحقيقى فى بلاد العراق ،

ولذلك نجح السلاجقة فى استعادة بيت المقدس من الفاطميين سنة ٤٦٥ هـ ٠
وفى سنة ٤٨٩ هـ كان الضعف قد بدأ يدب بين صفوف السلاجقة والعباسيين ، فرأى الفاطميون استعادة بيت المقدس ، فتقدم الوزير الأفضل بن بدر الجمالى على رأس حملة عسكرية واسترد بيت المقدس ٠ ولكن هذا الصراع بين الفاطميين والسلاجقة ، حول النفوذ السياسى فى بلاد الشام ، أدى الى تفتيت الجبهة الاسلامية ، مما شجع الحملات الصليبية على القدوم الى بلاد الشام ٠

الخطر الصليبى يهدد القدس ومصر فى وقت واحد :

بدأت الحملات الصليبية فى العصر الفاطمى سنة ٤٩٨ هـ (١٠٩٦ م) ، وانتهت فى عهد المماليك سنة ٦٩٢ هـ (١٢٩٢ م) ٠ ويعرف المؤرخون الحروب الصليبية بأنها حركة أوروبية اعتدائية توسعية استمدت جذورها من قديم التنافس العميق بين الشرق والغرب ، ومن توغل الفتوح العربية الاسلامية الأولى فى أطراف الامبراطورية البيزنطية ، وفى أجواف الممالك المسيحية الغربية فى اسبانيا وفرنسا وايطاليا وجزر البحر المتوسط ٠ وتضاف الى هذه العوامل العالمية الكبرى ، عوامل أوروبية محلية ٠

كان من جراء الفتوحات الاسلامية لقسم غير قليل من المقاطعات الأوروبية أن تفتحت أذهان شعوبها الى وجوب نبذ الاختلافات والحروب الدينية القائمة فيما بينهم وطرحها جانبا للعمل على جمع صفوفهم لمقاومة تيار الخطر الاسلامى الذى داهمهم بفتوحاته وهم فى غفلة من ذلك ، وقد انشغلوا بنزاعاتهم الداخلية ٠

وراح القوم ينادون تحت زعامة البابا (أورين الثانى) سنة ١٠٩٦ م ، الى اعلان حرب صليبية لا هوادة فيها على العرب المسلمين وتخليص بيت المقدس من أيديهم٠ومن عوامل الحروب الصليبية أيضا رغبة البابوات فى توجيه الفرسان لقتال المسلمين بدلا من الانصراف الى الحروب الداخلية ، ومحاولة الاستيلاء على ما بيد المسلمين من الممتلكات ٠ ومن هذه العوامل ، مطامع الأمراء والنبلاء الذين اشتركوا فى هذه الحروب ، والحرص على انشاء امارات مستقلة فى الشرق ٠ ولم يدفع المدن الايطالية الى الاشتراك

فى هذه الحروب الصليبية الا الرغبة فى الحصول على منتجات الشرق ومتاجره • ومن العوامل التى اجتذبت الناس للاشـــتراك فى الحروب الصليبية ، ما انتشر فى غرب أوروبا حينئذ من الأوبئة والمجاعات ، فتدفقت جموع المهاجرين ، وأقبلت على الانضمام الى المشتركين فى هذه الحروب ، ولاشك أن هذا السيل من المهاجرين الى الشرق حمل فى طياته عددا كبيرا من المغامرين والدهماء والرهبان الهاربين من الأديرة ، والعبيد الهاربين من سادتهم •

هذه هى العوامل الحقيقية التى أتت بالحملات الصليبية الى الشـــام ومصر ، حتى نتبين أن هذه الحملات لم تكن حربا دينية ، بل كانت حربا استعمارية ، وأنها حلقات فى سلسلة الصراع بين الشرق والغرب • واذا فلا جدوى من مزاعم الصليبيين حينما نادوا بتحرير الأماكن المقدسة فى بيت المقدس ، وزعموا أن الحجاج المسيحيين يلقون الاضطهاد من المسلمين • والأبحاث التاريخية الجديدة فى أوروبا تبرز العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية للحروب الصليبية ، وتشيد بتسامح السلطات الحاكمة الاسلامية فى بيت المقدس ، وتعدد مظاهر تسامح المسلمين نحو المسيحيين •

وفى أواخر القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ، غزت شواطىء الشام حملة أوروبية ، اشترك فيها البابا وانجلترا وفرنسا وألمانيا، وتمكنت تلك الحملة من تأسيس أربع امارات صليبية فى الشام ، هى : بيت المقدس ، وأنطاكية ، والرها ، وطرابلس •

ومما ساعد تلك الحمـــلات على تثبيت قدمها فى تلك الامارات ، ذلك النزاع الذى كان قائما بين الســـلاجقة السنيين فى العراق ، والفاطميين الشـــيعيين فى مصر ، أضف الى ذلك حدوث التنافر بين الامارات الاسلامية فى حلب ودمشق وغيرها ، مما أضعف الجبهة الاسلامية عن أن تدرأ خطر الغزو الصليبى الداهم •

بدأ الصليبيون زحفهم بالاستيلاء على أنطاكية • وأراد الفاطميون أن يحموا بيت المقدس ، فأرسل الوزير الفاطمى الأفضل بن بدر الجمالى سنة ٤٩٢ هـ سفارة الى الصليبيين للتفاوض فى عقد اتفاق معهم ، على أن يقنع الصليبيون بأنطاكية ، ويحتفظ الفاطميون ببيت المقدس على أن يسمح

للصليبيين بزيارة الأماكن المقدسة بفلسطين وتكون لهم الحـرية فى أداء شعائرهم الدينية على ألا تزيد مدة اقامتهم بها عن شهر واحد ، وألا يدخلوها بسـيوفهم •

ولكن هذه السفارة الفاطمية أخفقت فى اقناع الصليبيين بالعدول عن غزو بيت المقدس • ودافع المسلمون عن القدس دفاعا مجيدا مستميتا ، ولكن قائد الحملة الصليبية عثر على منفذ للمدينة لم يهتم المسلمون بتحصينه ، فدخل منه الى المدينة • واعتصم المسـلمون بالمسجد الأقصى ، فتعقبهم الصليبيون وقتلوا الآلاف منهم •

مفتاح بيت المقدس يوجد فى القاهرة :

يستخدم المؤرخون دائما هذه العبارة ، فقد آمن الصليبيون بعد نجاحهم فى الاستيلاء على بيت المقدس وغيرها من مدن الشام ، أنه لا بقاء لهم بها ، الا اذا أمنوا جانب مصر أولا•وبات الصليبيون ينتظرون فرصةتسنح لهم لوضع أقدامهم فى مصر باعتبارها قلب العالم العربى الاسلامى ، وقد واتتهم هذه الفرصة فى أواخر العصر الفاطمى ، خلال نزاع الوزيرين الفاطميين (شاور) و (ضرغام) ، فى عهد آخر الخلفاء الفاطميين العاضد •

فقد طلب شاور النجدة من قوة اسلامية بالشام ، فاستنجد بنور الدين زنكى ، بينما استنجد منافسـه بالصليبيين فى بيت المقـدس ، ورحب الصليبيون بهذه الفرصة المواتية • ولكن نور الدين كان أكثر نشاطا ، فقدم جيشه الى مصر قبل قدوم الجيش الصليبى ونجح شيركوه قائد نور الدين فى هزيمة جيش ضرغام وقتله •

ثم بعث نور الدين حملة عسكرية ثانية بقيادة شيركوه وابن أخيه صلاح الدين ، فى نفس الوقت الذى قدمت فيه حملة صليبية بقيادة عمورى ملك بيت المقدس • وتسابق الجيشان فى الزحف الى القاهرة ، فوصلا فى وقت واحد تقريبا ، وانضم الى الصليبيين الوزير الفاطمى شاور وبعض أنصاره ونصبوا معسكرهم عند الفسطاط ، بينما عسكر شيركوه ومن انضم اليه من المصريين عند الجيزة • وبـدأ قتال عنيف بين الفريقين انتهى بفوز شيركوه ، ولكن المعركة أنهكت قوى جيشه ، فرأى ألا يزحف الى القاهرة

الا بعد أن ينال جنده فترة من الراحة ، فزحف الى الاسكندرية واستولى عليها بدون قتال ، وعين ابن أخيه صلاح الدين حاكما عليها •

اتخذ شيركوه من الاسكندرية نقطة ارتكاز يرتكز عليها فى صراعه مع الصليبيين ، وأدرك الصليبيون هدف شيركوه ، فزحفوا الى الاسكندرية وحاصروا شيركوه ، وانتهى الحصار بميل الفريقين الى السلام ، فتصالحا على أن يعود شيركوه الى الشام بعد أن يدفع خمسين ألف دينار للصليبيين، وأن ينسحب الصليبيون أيضا من الأراضى المصرية •

نقض الصليبيون شروط الصلح ، وتقدموا نحو مصر ، فاضطر نور الدين الى انفاذ حملة ثالثة ، وانضم شاور والمصريون الى شيركوه ، فقد أدركوا خطورة الصليبيين وخاصة أنهم عاثوا فسادا فى مدينة بلبيس بالشرقية وارتكبوا كثيرا من الفظائع • واستمر الصليبيون فى زحفهم نحو الفسطاط، وأراد شاور أن يحول دون تقدمهم فأشعل النيران فى الفسطاط ، فظلت النيران مشتعلة أكثر من خمسين يوما ، واستطاع شيركوه بمعاونة شاور والمصريين أن يوقع هزيمة منكرة بالصليبيين ، ودخل شيركوه مدينة القاهرة حيث استقبله المصريون استقبالا حافلا ورحب به الخليفة العاضد الفاطمى وخلع عليه وأكرمه • وخشى شيركوه أن يفكر شاور فى الاستنجاد مستقبلا بالصليبيين فتخلص منه بالقتل •

أصبح شيركوه وزيرا للخليفة الفاطمى الأخير العاضد ، ولكن مدة وزارته لم تطل أكثر من شهر ، فعهد الخليفة بالوزارة لابن أخيه صلاح الدين الأيوبى • وألح نور الدين زنكى على صلاح الدين فى القضاء على الدولة الفاطمية المتداعية ، واستجاب صلاح الدين ، بعد تردد ، لنداء نورالدين ، فقطع الخطبة للخليفة الفاطمى العاضد وخطب للخليفة العباسى ، وكان الخليفة العاضد فى فراش مرضه الأخير ، وما لبث أن مات • وبذلك أسدل الستار على الدولة الفاطمية ، ليبدأ تاريخ الدولة الأيوبية •

سلطان مصر صلاح الدين يحرر القدس :

أصبحت مصر واقعة تحت الخطر الصليبى منذ نجح الصليبيون فى اقامة مملكة بيت المقدس وتحول الصليبيون عن أغراضهم الأولى التى قدموا الى

الشرق من أجلها ، فانشغلت قواتهم بالسلب والنهب وايذاء المسلمين والعرب المسالمين •

اضطرت القوات الصليبية الى الجلاء عن مصر بعد هزيمة شيركوه لها بمعاونة شاور والمصريين • ونجح صلاح الدين فى القضاء على الدولة الفاطمية وتولى الوزارة • ولكن بدأت متاعب صلاح الدين ، فقد قامت فى وجهه عدة ثورات فى مصر ، وخاصة ثورة الجند السودانيين ، وانتهـز الصليبيون هذه الفرصة ، وبدأت القوات الصليبية تزحف نحو حدود مصر ، فخرجت من عسقلان الى الفرما ومنها الى دمياط • وفى نفس الوقت توجه أسطول صليبى بيزنطى مشترك نحو دمياط • وأخفق الصليبيون اخفـاقا ذريعا واضطروا الى الجلاء عن دمياط •

كشفت هزيمة الصليبيين فى دمياط عن مواطن الضعف فى قواهم ، ورأى صلاح الدين أن يتحول عن سياسته الدفاعية الى سياسة هجومية ، فيغزو الصليبيين فى عقر دارهم ، ويحرر بيت المقدس • فقام بهجوم عنيف على الرملة وعسـقلان وغزة وآيله وغيرها من المـدن التى وقعت فى أيدى الصليبيين •

وساعدت المقادير صلاح الدين فقد توفى عمورى ملك بيت القدس سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) ففقد الصليبيون أعظم رجالهم وخلفه ابنه بلدوين الرابع وكان طفلا مريضا بالبرص ، ولذا تولى الوصاية عليه ريموند الثالث ، وانقسم الصليبيون على أنفسهم ، الى أن ظهر من بينهم زعيم جديد تمكن من جمع شملهم وهو (رينالد دى شانيون) الذى يسميه العرب (أرناط) ، ولكن ظلت عوامل الاختلاف كامنة تهدد وحدة الصليبيين ، فقد انقسموا الى حزبين : حزب يدعو الى الاستمرار فى شن الحرب على المسلمين ، وحزب آخر يرى عقد هدنة معهم ، وتزعم الحزب الأخير ريموند الثالث •

أعد صلاح الدين جميع وسائل تحرير بيت المقدس من أيدى الصليبيين • فجعل من مصر والشام ومواردهما الاقتصادية الوفيرة قاعدة ومصـدرا لعملياته الحربية والدبلوماسية التى تطلبها هدفه الكبير ، سواء ضد مملكة

بيت المقدس ، أو ضد الأمراء المسلمين المعادين له بالشـــام والجزيرة ، فضلا عن العمليات الداخلية ذات الطابع الحربى فى مصر نفسها ، وهى اعادة تحصين القاهرة ، وتكميل تســـويرها مع الفســـطاط ، وتحصين الاسكندرية ودمياط وتنيس .

بدأ صلاح الدين يعمل على تحقيق الوحدة العربية الاسلامية ، وأصبح الرجل الأول فى مصر والشام . واستمر فى كفاحه ضد الصليبيين ، فاشتبك معهم فى عدة مواقع ، فهزمهم عند الرملة وحماه وحمص ، ثم هزمهم سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨ م) فى موقعة مرج العيون ، ثم موقعة مخاضة الأحزان سنة ٥٧٥ هـ (١١٧٩ م) ، ووقع فى قبضة صلاح الدين (بلدوين) ملك بيت المقدس وريموند ملك طرابلس ، واضطر بلدوين وريموند الى عقد هدنة لمدة عامين سنة ٥٧٩ هـ .

ولكن (رينالد شايتون) المعروف باسم أرناط ، استمر على عـــدائه للمسلمين ، ووجه ضربة حمقاء الى كافة العالم الاسلامى ، اذ قام بمغامرة بحرية لغزو الأماكن المقدسة عند المسلمين فى مكة والمدينة ، ولكن الحملة الصليبية اكتفت بالسلب والنهب من الموانى الاسلامية الواقعة عند البحر الأحمر وعادت الى قواعدها خائبة . وبعث نائب صلاح الدين فى مصر ، وهو أخوه العادل ، حملة بحرية مصرية لحقت بالسفن الصليبية عند (أيلة) وأوقعت بها الهزيمة ، وتحطمت معظم سفن الصليبيين ، وأسرع الصليبيون الى الساحل هربا بأرواحهم ، فلحق بهم البدو فأبادوهم عن آخرهم .

سخط المسلمون على أرناط ومحاولته الحمقاء لتحطيم أماكنهم المقدسة ، وأقسم صلاح الدين على أن ينتقم من أرناط أشد انتقام ، وبدأ يســـتعد لقتال الصليبيين استعدادا واسع النطاق ، وتخلل هذا الاستعداد انفـــاذ حملات تأديبية كانت تغير فى سرعة ومفاجأة على الأراضى الصليبية وتنزل بالصليبيين أفدح الخسائر . وعلم الصليبيون باستعدادات صلاح الدين ، فتشاوروا فيما يفعلون ، وانقسموا الى رأيين : رأى يحبذ الخطة الهجومية ، ورأى آخر يرى الوقوف موقف الدفاع ، وانتصر الرأى الأخير .

انتصار حطين يمهد لتحرير القدس :

ازداد أرناط عتوا واستهتارا ، برغم ما بين صلاح الدين ومملكة بيت المقدس وسائر الامارات الصليبية من هدنة أملت عليه بعض مشـــاغله ببقايا مقاومة الموصل حينئذ واختار أرناط لاظهار عتوه واستهتاره قافلة تجارية من القاهرة ، وهى مارة قرب حصنه بالكرك فى طريقها الى دمشق سنة ١١٨٦ م . فاعترضـها واستولى على جميع متاعها ، وبذلك نقــض أرناط الهدنة العامة ، وجعل الحرب قاب قوسين بين صلاح الدين ومملكة بيت المقدس ، وهى أدنى من ذلك بكثير .

بدأت مقدمات موقعة حطين الشهيرة فى التاريخ العربى الاسلامى ، فقد حشد صلاح الدين جيوشه من كل مكان فى دولته الكبرى ، وأصبح صلاح الدين بعد نقض أرناط الهدنة فى حل من الهدنة التى كان قد عقدها مع الصليبيين .

وفى ٢٥ ربيع الثانى سنة ٥٨٣ هـ (٤ يوليو ١١٨٧ م) بدأت معركة حطين ، وانتهت بهزيمة الصليبيين هزيمة ساحقة ، لقى كثير منهم فيها حتفه ووقع ملوكهم فى الأسر ، وقتل صلاح الدين (أرناط) بيده كما أقسم .

كان انتصار صلاح الدين فى حطين الحلقة الأولى فى سلسلة انتصارات باهرة ، فقد استسلمت قلعة طبرية ، ومدينة عكا ، وسائر مدن الساحل مثل نابلس والرملة ويافا وبيروت . وبدأ حصار معقل الصليبيين بيت المقدس ، فاضطرت الى التسليم ، وأبدى صلاح الدين تسامحا مع أهلها ، بل أطلق سراح زوجة عدوه اللدود أرناط ، وأصلح المبانى التى تأثرت بالحصار . واستنجد الصليبيون بملوك أوروبا ، فقدمت الحملة الصليبية الثالثة ، وفى مقدمتها فردريك باربارو سا امبراطور ألمانيا وفيليب أوغسطس ملك فرنسا ، وريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا .

زحف باربا روسا بجيش ألمانيا بالطريق البرى ، وغرق فى أحد أنهاره ، وتفرق معظم جنده وعادوا الى وطنهم أما ملكا انجلترا وفرنسا فقد اتخذ الطريق البحرى ، ومكثا عاما كاملا فى جزيرة صقلية ، ثم نجحا فى استرداد عكا منتهزين فرصة انشغال صلاح الدين بمرضه ثم عاد فيليب الى فرنسا ،

واستمر رينشارد يقاتل المسلمين عاما كاملا ، ثم رأى أن يركز جهوده لاسترداد بيت المقدس • ورأى صلاح الدين أن يترك المدن الساحلية للصليبيين وتركيز جهوده للاحتفاظ بالداخل ، وخاصة ببيت المقـــدس • واستولى الصليبيون فعلا على مدن الساحل ، ولكن الصليبيين شـــعروا بالملل والضعف وعدم جدوى القتال فرأوا أن يهادنوا صلاح الدين بل برز مشروع زواج العادل أخى صلاح الدين من (جوانا) أخت رينشارد ، وانتهت المفاوضات بين الفريقين بعقد صلح الرملة فى سبتمبر ١١٩٢ م •

ينص هذا الصلح على : (١) تخريب عسقلان باعتبارها مفتـــاح بيت المقدس فتصبح منطقة حراما (٢) يسيطر الصليبيون على المدن الساحلية الممتدة بين صور ويافا ، على أن يسيطر المسلمون على جنوبى ذلك الساحل وعلى بيت المقدس أيضا (٣) السماح للحجاج المسيحيين بالحج الى بيت المقدس بشرط أن يقدموا اليها من عكا من ناحية البحر •

ونفذ المسلمون شروط صلح الرملة ، وأبدوا تسامحا واضحا ، فقدم الى بيت المقدس آلاف الحجاج ، وظل القساوسة يؤدون واجبهم الدينى فى حرية تامة •

الصليبيون يغزون مصر بدلا من استرداد القدس :

مات صلاح الدين بعد أن أنهكه طول جهاده للصليبيين ، وأدرك العرب والمسلمون مدى الخسارة الفادحة التى لحقت بهم • وفى عهد العزيز الذى خلف صـــلاح الدين ، توقف الصراع العنيف بين الصليبيين والمسلمين ؛ عدا مناورات محدودة ، فقد انشغل كل من الفريقين فى مشاكله وانقساماته الداخليـــة •

ثم تولى الحكم الملك العادل ، وكان توليه بمثابة احياء لأمجاد صلاح الدين ، فقد نجح فى تحقيق ما كان قد حققه صلاح الدين من وحدة العرب والمسلمين ، وأدرك الصليبيون أنهم أمام خصم قوى •

وضح للزعماء الصليبيين أصحاب التجارب السابقة فى الحروب السابقة بالشرق ، أن اجتماع القوى الأيوبية فى يد السلطان العادل سوف يعود بهم

الى أيام صلاح الدين ، وأن مصر سوف تصبح مركز التموين المادى والروحى ، كما كانت فى عهد صلاح الدين ولذا أضحى الاستيلاء على مصر قضية منطقية ، وضرورة حربية ، لضمان استرداد بيت المقدس ، ونهض البابا أنوسنت الثالث للدعوة لحملة صليبية جديدة بكون هدفها القطر المصرى ، واتفق زعماء تلك الحملة مع جمهورية البندقية على نقل جنودهم وعتادهم على سفن البندقية مقابل ايجار مالى معين ، فضلا عن نصف الأراضى التى سوف تستولى عليها الحملة .

لم تقدم الحملة الصليبية الى مصر ، كما كان مرسوما لها ، بل توجهت الى القسطنطينية ، فقد كانت البندقية مهتمة بانهاء مشكلة العرش البيزنطى وما دار حولها من نزاع ، ونسوا الهدف الأصيل وهو غزو مصر ، وانصرفوا الى غزو الدولة البيزنطية ، واكتفى الصليبيون بانفاذ بعض سفنهم الى مصر ، ونزل الجند الصليبيون فى رشيد ، ومنها الى فوه ، وعقد العادل صلحا ، كما عقد البنادقة تحالفا مع العادل ، فقد فضلوا حماية مصالحهم التجارية على مساعدة الصليبيين .

وفى عصر العادل ، قدمت حملة صليبية عجيبة فى تكوينها ، فكانت تتألف من آلاف الأطفال جمعوهم من دول أوروبا ، تحقيقا لنبوءة ذاعت وتزعم أن استرداد بيت المقدس لا يكون الا على أيدى صبيان أطهار أبرار حيث عجز الرجال . وانتهت هذه الحملة بالاخفاق الذريع ، ووقع هؤلاء الصبيان فى أيدى المسلمين .

أراد الصليبيون أن يستردوا كرامتهم الضائعة حيث اعتمدوا على أطفال أبرياء وعرضوهم للقتل والأسر . فقدمت حملة صليبية جديدة الى عكا ، ونجح الصليبيون فى فتحها ، ثم استولوا على صيدا ، وزحف القائد الصليبى (جان دى برين) نحو دمياط ففتحها بعد حصار دام أربعة أشهر أبدى المصريون فيها ضروبا من الشجاعة ، وحزن العادل لسقوط دمياط ومات كمدا وحزنا .

تولى الكامل السلطة بعد العادل ، فبدأ يستعد لطرد الصليبيين من دمياط ، وأغرق بعض سفنه فى نهر النيل ليمنع تقدم الصليبيين برا وبحرا ، وتحالفت الطبيعة مع الكامل ، فهبت رياح عاصفة فى البحر المتوسط واشتدت برودة الشتاء ، وانتشر الوباء بين الجند الصليبيين • ولكن ما لبث أن انشغل الكامل بثورات داخلية وانخفاض النيل مما شغله عن التفرغ لقتال الصليبيين ، وعرض على الصليبيين أن يجلوا عن دمياط مقابل تنازله عن بيت المقدس لهم ولكنهم رفضوا عرضه •

أضاع الصليبيون فرصة سنحت لهم لاسترداد بيت المقدس ، مما يدل على تحولهم عن الغرض الرئيسى الذى قامت من أجله الحملات الصليبية ، وهو استرداد بيت المقدس ثم بدأوا يزحفون نحو القاهرة ،ولكنهم أخطأوا مرتين : أولاهما حين أضاعوا وقتا كبيرا فى مناقشة موقفهم وانتظار الأمداد التى تصلهم من أوروبا ، ولم يبدأوا فى الزحف الا فى يوليو سنة ١٢٢١ م أى بعد مرور عام ونصف ، فكان المسلمون قد استعدوا تماما لقتالهم • وثانيهما حين اتخذوا طريقا خاطئا من أجل الوصول الى القاهرة ، اذ أن الطريق الصليبى فى الوصول اليها هو طريق الفرما وبلبيس ، وهو الطريق الذى اتبعه كبار الفاتحين أمثال قمبيز والاسكندر وعمرو بن العاص ،ولكن الصليبيين تركوا هذا الطريق واخترقوا الدلتا حيث تجرى شبكة معقدة من القنوات وفروع النيل ، وفى وقت الفيضان ، مما جعل الدلتا خير مكان للدفاع والايقاع بالصليبيين ، كما نجح المصريون فى توحيد صفوفهم ضد الصليبيين •

أدت هذه الظروف الى تفوق المصريين على الصليبيين تفوقا ملحوظا ، فقطعوا جسور النيل ، وتحولت أراضى الدلتا الى بحيرات وبرك أحاطت بالصليبيين ، فاضطروا الى طلب الأمان ، وعرضوا التنازل عن دمياط دون قيد أو شرط ، واتفق الطرفان على اطلاق سراح الأسرى وعقد هدنة لمدة ثمانى سنوات ، وندم الصليبيون حيث رفضوا ما عرضه الكامل بالأمس عليهم من تنازل لهم عن بيت المقدس •

وتسامع الشرق والغرب بأخبار الحملة الصليبية التى هدفت الى الاستيلاء على مصر ، وهال المعاصرين أن استولت هذه الحملة فعلا على ثغر دمياط لمدة غير قصيرة ، كما هالهم أن رفض الصليبيون مرتين عروض السلطان الكامل ، للجلاء عن مدينة واحدة بالغة الأهمية ، مقابل تسليمهم معظم مملكة بيت المقدس • ثم تسامع الشرق والغرب بما رضيت به هذه الحملة من تسليم دمياط ، ومن جلاء سريع عن الشواطىء المصرية دون قيد أو شرط •

قدمت حملة صليبية جـديدة بقيادة فردريك الثانى امبراطور الدولة الألمـانية سنة ١٢١٥ م • ووصل فردريك الى عكا ، وأعلن أنه ينوى الاستيلاء على بيت المقدس ، ولكنه اضطر الى الميل الى المرونة نتيجة قلة فرسانه ، وعداء ملك بيت المقـدس (دى برين) له ، الى جانب طباع فردريك التى كانت تجنح الى السـلام •

اتفق فردريك والكامل على أن يستولى فردريك على بيت المقدس ، عدا الحرم الشريف حيث المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وألا يقوم بتحصين بيت المقدس ، وأن يستولى أيضا على بيت لحم والناصرة وبعض مدن الساحل ، وأن يكف فردريك عن مساعدة أعـداء المسلمين ، وأن يطلق الفريقان سراح أسرى كل منهما ، وتستمر الهدنة عشر سنوات • ولم يرض كل من المسلمين والصليبيين عن شروط هذا الصلح ، ولكن هذه الهدنة أعطت الكامل الفرصة لتحقيق وحدة الدولة الأيوبية ومواجهة اعتداءات الدولة الخوارزمية •

وفى عهد الملك الصالح أيوب عاد الصدام بين المسلمين والصليبيين ، ففى عهده قدمت حملة لويس التاسع ملك فرنسا الى مصر سنة ١٢٤٩ م وكانت الحملة تضم ٢٨٣ سفينة رست فى دميـاط واستولت عليها • وكان الملك الصالح أيوب يعانى من آلام المرض ، حتى اذا استرد صحته تقدم لصد الصليبيين وعسكر شرق فرع دمياط • وانتظر الصليبيون حتى ينخفض النيل ليواصلوا زحفهم ، ولكن قلت الأقوات عندهم وانتشرت الأمراض بينهم ، وتقدم الصالح الى المنصورة وانضم اليه العربان والمتطوعون ،

وشنوا غارات على الصليبيين ، وتقدم الصليبيون نحو المنصورة ، واشتد المرض على الصالح أيوب ومات فى نوفمبر ١٢٤٩ م •

أخفت شجرة الدر نبأ موت زوجها الصالح أيوب ، وبعثت فى استدعاء ابنه توران شاه ، حتى اذا قدم الى مصر نجح فى تشديد الحصار على الصليبيين ومنع عنهم الامـدادات ، ودارت معـركة رهيبة فى شوارع المنصورة ، واتبع المصريون طريقة حرب العصابات ، فحاربوا الصليبيين فى الحارات والأزقة ، وسقط معظم الصليبيين قتلى أو غرقى ، وأصيبت خيول الصليبيين بوباء أهلكها ، وطلب لويس الصلح وعرض تسليمه دمياط مقابل بيت المقدس ، ورفض توران شاه هذه الشروط ، وطارد الصليبيين الذين أسرعوا بالفرار من المنصورة •

أوقع توران شاه بالصليبيين هزيمة ساحقة عند فارسكور ، ووقع الملك لويس فى الأسر وسجنوه فى المنصورة فى دار قاضيها ابن لقمان وافتدى لويس نفسه بنصف مليون دينار •

وهكذا بدأت الدولة الأيوبية عهدها بانتصارها على الصليبيين ، وانتهى عهدها بانتصارها عليهم أيضا ، وبقيت مدينة بيت المقدس ، وهى محور النزاع ، فى يد الأيوبيين حتى النهاية • وانتقل مسرح الأحداث الصليبية ـــ جغرافيا وتاريخيا ـــ من مصر الى فلسطين ، أو بعبارة أخرى من دمياط ومشارفها ، الى عكا وما يجاورها من مدن فلسطين •

سلاطين مصر المماليك يصدون المغول والصليبيين عن القدس :

كان أول ظهور المغول فى وسط آسيا ، وكانوا فى أول تاريخهم قبائل بدوية رعوية ، تمارس الهجوم على المدن والقرى فتسرف فى القتل والسلب والنهب • ونجح جنكيزخان فى توحيد قبائل المغول وانشاء دولة تضمهم ، ووضع دستورا سماه (الياساق) ينظر الى الجنس المغولى على أنه أرقى الأجناس ، وأنه الجنس الذى يجب أن يسود سائر الأجناس •

بدأت دولة المغول توسعها شرقا نحو الصين ، ثم تحولت نحو الغرب ، واجتاحت جحافل المغول الدول الاسلامية ، ونجحت فى القضاء على الدولة العباسية وقتل آخر الخلفاء العباسيين ببغداد • ثم بدأ هولاكو ، قائد الجيش المغولى ، يستعد للهجوم على بلاد الشام •

وكان الصليبيون ، كما رأينا ، قد استقروا فى بعض مناطق فلسطين ، وأصبح الصدام بين القوتين الطامعتين ، المغول والصليبيين ، وشيكا ، وأدرك الصليبيون أن المغول بعد أن يفرغوا من الشرق العربى سيجتاحوا القارة الأوروبية • ولذا رأى الصليبيون التحالف مع المغول لاقتسام الشرق العربى الاسلامى • وقصد سفراء هولاكو الى جزيرة صقلية حيث كان يوجد بها الملك لويس التاسع ملك فرنسا ، واتفق الطرفان على أن يوجه الصليبيون ضربتهم الى مصر ، باعتبارها أكبر قوة اسلامية ، بينما يجتاح المغول بلاد الشام • ونزل الصليبيون فى دمياط ، ولكن الملك لويس التاسع لقى — كما رأينـــا — هزيمة ساحقة فى فارســـكور ، ووقع فى الأسر ، وأخفقت هذه الحملة الصليبية على مصر •

بدأ اجتياح المغول لبلاد الشام ، وسقطت مدنه ، مدينة بعد مدينة ، واتبع المغول وسائل العنف والارهاب وسفك الدماء ، وزعم المغول أنهم لا يهزمون حتى يثيروا الرعب فى القلوب • واقترب المغول من فلسطين ، ومن بيت المقدس •

ويرى المؤرخون المحدثون أن غزو المغول لبلاد الشـــام اتخذ طابعا صليبيا ، فقد كانت زوجة هولاكو وأمه مسيحيتين على المذهب النسطورى، مما جعل هولاكو يبدى عطفه على المسيحيين ، وينزل سخطه على المسلمين • ورأى الصليبيون الاستفادة من المغول ، بتحويلهم الى المسيحية ، ولقيام تحالف بين الصليبيين والمغول ضد القوى الاسلامية •

وتذكر المصادر الأوروبية المعاصرة ، أن ملك أرمينية الصغرى المسيحى اتصل بهولاكو ورسم معه خطة غزو بلاد الشام ، وانتزاع بيت المقدس من المسلمين ليتسلمها المسيحيون •

وكان يحكم مصر حينئذ سلاطين المماليك ، وكان هؤلاء المماليك يقدمون الى مصر غلمانا صغارا ، فينشأون فى بيئة مصرية ، ويرتبطون بمصر . وتولى الحكم فى مصر حينئذ السلطان قطز الذى يمتدح المؤرخون حزمه وتدينه وحسن تدبيره . وبعث هولاكو برسله الى قطز ينصحه بالاستسلام، فلم ينصت قطز الى تهديد هولاكو بل قتل الرسل الأربعة وعلق جثتهم فى أرجاء متفرقة من القاهرة .

وبدأ السلطان قطز والمماليك والمصريون جميعا يستعدون لصد المغول الذين أصبحوا خطرا يهدد الاسلام والعروبة . وأسرع المصريون يتطوعون فى الجيش ، ودفعوا طوعا الضرائب المتأخرة عليهم ، وأدى كل منهم دينارا كضريبة دفاع ، ونجح السلطان قطز فى اعداد جيش كثيف كامل الاستعداد .

خرج السلطان قطز على رأس الجيش الاسلامى القاء جيش المغول . وساعدت المقادير السلطان قطز ، فقد مات (منكوخان) خاقان المغول ، وثار نزاع بين اخوته حول السلطة ، فرأى أخوه القائد هولاكو العودة الى (قراقورم)عاصمة المغول لحسم النزاع .

تقدم قطز الجيش وهو يصيح صيحته المشهورة (وا اسلاماه) ، فهو يدافع عن الاسلام وأراضيه وحضارته وأهله ، فكانت هذه الصيحة تثير الحماسة والاقدام ونجح قطز فى فتح غزة وطارد المغول حتى نهر العاصى . وكان لهذا الانتصار المصرى فى غزة أثره فى سائر مدن الشام ، فقد بدأ أهلها يقاومون الحاميات المغولية .

وكان الصليبيون حينئذ مستقرين فى بعض مدن فلسطين ، ورأى السلطان قطز أنه من السياسة ألا يحارب خصمين قويين فى وقت واحد ، ورأى التفرغ تماما للمغول ، فبعث الى الصليبيين فى عكا يطلب منهم السماح بمرور الجيش المصرى لقتال المغول ، ووافق الصليبيون بل ان بعض عقلاء الصليبيين أدركوا خطورة هؤلاء المغول الوثنيين ، فأمدوا الجيش الاسلامى بحاجته من المؤن والأقوات .

اتجه الجيش الاسلامى شرقا عبر الجليل الى الأردن عن طريق الناصرة ، ورسم السلطان قطز خطة حربية حكيمة ، فقد أخفى معظم جنـــده بين الأحراش والأشجار المحيطة بعين جالوت ، بين بيسان ونابلس • وصاح قطز صيحته المشهورة (وا اسلاماه) ، وبدأت معركة عين جالوت ، وهى احدى المعارك التاريخية الحاسمة ، فقد أوقفت تماما الزحف المغولى ، وبدأ المماليك يطاردون المغول ويجلوهم عن مدن الشام ، وبذلك أنقذ المماليك والمصريون العالم العربى الاسلامى من الخطر المغولى الداهم • ومن أبرز نتائج موقعة عين جالوت اعادة الوحدة بين مصر والشام •

ولكن ما لبث أن ظهر خطر جـــديد ، فقد كان أبغا بن هولاكو مسيحيا نسطوريا ، فتزوج من ابنة الامبراطور البيزنطى ، وحرص على أن يدعم علاقاته بالقوى المسيحية فى الشرق والغرب للانتقام من المسلمين فى بلاد الشام ومصر • ولكن اضطراب الأحوال الداخلية فى دولة المغول أدى الى اخفاق هذا المشروع ، والتمس المغول من السلطان الظاهر بيبرس الصلح ، ولكنه رفض مصالحتهم • ثم تغير الموقف بعد وفاة (أبغا) فقد اعتنق أخوه (تكودار) الاسلام فكف المغول عن عدائهم القديم للعالم الاسلامى •

وكما نجح المماليك فى صد المغول وانقاذ العالم الاسلامى ، فقد نجحوا أيضا فى مواجهة الخطر الصليبى • وفى الحقيقة ، كان الخلاص من خطر المغول يضعف القوة الصليبية ، وكان قد قام تحالف بين الطرفين ، لاتفاقهما فى عداء العالم العربى الاسلامى • وكانت مملكة أرمينية هى الوسيلة فى ذلك التحالف بين الفريقين •

وكان لتولى سلاطين أقوياء فى دولة المماليك أثره فى مواجهة الخطر الصليبى فى الشام • ومن أشهر هؤلاء السلاطين الظاهر بيبرس الذى يشبهه المؤرخون بصلاح الدين الأيوبى فقد استولى بيبرس على كثير من مدن فلسطين،وبعث جيشا لتأديب مملكة أرمينية التى كانت تحرض المغول ضد المسلمين • وتوج بيبرس انتصاراته بفتح أنطاكية سنة ١٢٦٨ م ، واضطر الصليبيون الى عقد هدنة مع بيبرس لمدة عشر سنوات •

أصبح الصليبيون فى بلاد الشام فى دور الاحتضـــار ، نتيجة توقف مساعدات أوروبا ، ووقوع الخلافات الداخلية بين الصليبيين ، فنجح المماليك فى القضاء التام على القوى الصليبية ، وقام السلطان قلاوون بدور كبير فى ذلك الجهاد المقدس .

أخفقت الحملات الصليبية اخفاقا ذريعا ، نتيجة انعدام روح الوفاق بين عناصر دعاتها ، وتفكك عرى وحدة الصفوف ، والخلاف الشديد حول الزعامة والقيادة والسيادة . وكان الجنـــود الطيبيون خليط عجيب من عناصر متباينة فى ميولها وأهدافها ولغاتها وعناصرها ومذاهبها ، فقد بلغ عدد الأجناس فى الحملة الصليبية السادسة أكثر من عشرين جنسا يتحدثون ١٧ لغـــة .

كما أن هذه الحملات الصليبية لم يكن لها هدف يستند الى نتائج ذات فائدة سياسية أو مدنية أو تجارية ، بل كانت لمحض ارضـــاء الشهوات الدينية التى تقوم على التعصب ، وكان رجال الدين أصحاب السلطة فى أوروبا فى ذلك الحين ، بينما تمتع العرب والمسلمون بحضارة زاهرة ، وكانت لهم نظم سياسية واجتماعية وعسكرية راقية .

مصر ومطامع اليهود فى القدس :

وقد قام اليهود بدور بارز خلال الحروب الصليبية ، أشار اليه المؤرخ (جيمس هوسنر James Hosner فى كتابه عن (اليهود) ، فقد حرض اليهود الصليبيين على غزو فلسطين ، وكانت آموال اليهود وراء تحركات الصليبيين وحملاتهم ، فقد طمع اليهود فى ثروات الشرق وتجارتها ، ورأوا أن الحروب الصليبية تمكن اليهود من الاستقرار على الشاطىء الشرقى للبحر المتوسط وممارسة النشاط الاقتصادى .

أكاذيب اليهود على الله

الدكتور أحمد الحوفي

يا عجبا لليهود اذ يحاولون بافترائهم أن ينسبوا الى الله تعالى تحديد وطن لهم ، ويحاولون بكذبهم أن يسندوا اليه تعالى ملكيتهم لبيت المقدس ، وطمعهم فى سيناء ، وتطلعهم الى وطن فيما بين الفرات والنيل ، وهـذا ونظائره باطل بل هو باطل الأباطيل .

فقد كان بيت المقدس عربيا ، ثم صار عربيا اسلاميا ، حماه المسلمون بأعز ما يملكون ، وصانوه من عدوان الطغاة على مر الأعصار ، واليهود لاهون عنه فى أقطار الأرض يجمعون الذهب والفضة ويكتنزون المال . ولم يدع المسلمون فى عهد من العهود أن بيت المقدس حكرا لهم دون سائر الناس ، ولم يصدوا عن سبيله النصارى أو اليهود ، بل جعلوه حرما آمنا للأديان الثلاثة يزوره الزائر ويتعبد فيه العابد ، لأن الاسلام دين السماحة والسلام والمحبة والعدالة والمساواة وليس من شك فى أن بيت المقدس سيبقى عربيا اسلاميا وأنوف اليهود راغمة ، وستنجلى الغمة فتعود الأرض العربية الى ذويها مثلما ينبلج الصبح بعد ليل كئيب .

وليعلم اليهود أن المسلمين والعرب لن يدعوا الجهاد فى سبيل الله والوطن وفيهم بقية من قوة وروح ، والله ناصرهم ، وانه لقوى عزيز .

وفى هذا البحث الموجز كشف عن بعض مفتريات اليهود على الله تعالى ، يتبين منه أنهم هم الذين لفقوها وفق منافعهم وأهوائهم .

والحق أن المسلمين جميعا يؤمنون بأن هذه التوراة التى بين أيديهم وأيدى اليهود مفتراة على الله ، وبأنها ليست هى التوراة التى أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام ، مصدقين قوله تعالى : « من الذين هادوا

يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا » [1] وقوله سبحانه . « ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ، يحرفون الكلم من بعد مواضعه » [2] وقوله تعـالى : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » [3] وقوله سبحانه وتعالى : « يا أهل الـكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » [4] وقوله جل وعلا : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم » [5] .

وهكذا يسخط القرآن الكريم على ملفقى التوراة الذين كتبوها بأيديهم ، وزعموا أنها من عند الله فى مثل قوله تعالى : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وان هم الا يظنون ، فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون » [6] .

لكن غير المسلم محتاج الى تدليل وتفصيل وتعليل ، ليزداد قلبه وعقله اطمئنانا الى أن هذه التوراة مكذوبة على الله .

وقد يحتاج المسلم الى دراسة كاشفة منصفة تبين له ألوانا من مفتريات اليهود على الله .

وبحسب المسلم وغير المسلم أن يقيس على هذه المفتريات كل ما جاء فى التوراة المفتراة خاصا بالمولى سبحانه أو بأنبيائه .

---

(١) سورة النســاء ٤٦ .
(٢) سورة المائدة ٤١ .
(٣) سورة البقرة ٧٥ .
(٤) سورة آل عمران ٧١ .
(٥) سورة المـائدة ١٣ .
(٦) سورة البقرة ٧٨ — ٧٩ .

ولست أعمد فى هذه الدراسة الى الاستدلال بما شهد به العلماء المنصفون الثقات من غير المسلمين ، بل أعمد الى التوراة نفسها لأستدل من بعض نصوصها على أنها وليدة الأرض وليست وحيا من السماء ، ومعاذ الله أن يوحى من عنده بهذا الهراء .

١ — فقد صورت التوراة المفتراة الله — سبحانه وتعالى عما يأفك اليهود — صورا لا تليق بالألوهية ، ولا يرتضيها مؤمن بالله ، ولا يطمئن اليها عاقل ليس له دين ، فهو — سبحانه وتعالى — جسد مجسم كالمخلوقات ، يمشى أمام اليهود فيرونه نهارا ، ويرونه ليلا « وكان الرب يسير أمامهم نهارا فى عمود سحاب ، ليهديهم فى الطريق ، ويسير ليلا فى عمود نار ليضىء لهم » (١) .

وجاء فى نص آخر « ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل ، ورأوا اله اسرائيل ، وتحت رجليه حلية من العقيق الأزرق الشفاف كالسماء فى النقاء ، ولكنه لم يمد يده الى اشراف بنى اسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا » (٢) واعتقدوا أنه سبحانه وتعالى يتخذ له مكانا يقيم فيه كما يقيم الناس ، جاء فى مزاميرهم أن الرب قد اختار جبل صهيون مسكنا له » (٣) ، وجاء فيها « رنموا للرب الساكن فى صهيون ، لأنه يطالب بالدماء » (٤) .

٢ — وهذا التجسيد الباطل اقتضى أن تصور التوراة الاله يأكل مما يأكل الناس ، ويشرب مما يشربون ، ويغتسل بالماء كما يغتسلون ويتكلم مثلما يتكلمون ، ويجادل كما يتجادلون ، كأنه — جل وعلا — شيخ من شيوخهم أو نبى من أنبيائهم .

ذكرت التوراة (٥) فى الاخبار باهلاك قوم لوط وتدمير سدوم وعمورة أن ثلاثة رجال هم الله وملكان معه قدموا على ابراهيم وهو أمام خيمته ،

---

(١) سفر الخروج ٢٠/١٣
(٢) سفر الخروج ٩/٢٤ — ١١
(٣) مزامير داود ١٣٢ .
(٤) المزامير ٩
(٥) سفر التكوين .

فعرف الله من بينهم ، ورجاه أن يستريح عنده من السفر هو ومن معه ، ثم قدم اليهم ماء ليشربوا منه،وليغسلوا أرجلهم ، وقدم لهم عجلا وفطائر ليطعموا ، فأوى الاله والملكان الى ظل شجرة ، وأكلوا مما قـدم اليهم ابراهيم ، وهو جالس على مقربة منهم •

فأى عاقل من المسلمين أو من غيرهم تلتبس عليه هذه الترهات فلا يرفضها رفضا ؟ •

وأى رشيد من المسلمين أو من غيرهم يصدق أن كتابا منزلا من عند الله يصف الله بهذه الصفات ؟ •

وأين هذا التصوير الضال من تنزيه الخالق عن هذا كله كما يذكر القرآن الكريم ، وهو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـه وحسبنا أن نذكر بعض الآيات الكريمة مثل قوله تعالى : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » [1] وقوله سبحانه : « لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير » [2] وقوله تعالى : « واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون » [3] وقوله سبحانه : « وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيم » [4] وقوله جل وعلا : « قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم » [5]

فهو سبحانه وتعالى متفرد لا يماثله شيء من مخلوقاته ، وهو لا يبصره أحد ، ولا يسمع صوته أحد ، وهو منزه عن الطعام والشراب وأعراض البشر •

---

(١) سورة الشـورى ١١
(٢) سورة الانعـام ١٠٣
(٣) سورة البقرة ٥٥
(٤) سورة الشورى ٥١
(٥) سورة الانعام ١٤

وأما قصة قوم لوط فقد جاءت فى القرآن الكريم على حقيقتها ، اذ أن الذين قدموا على ابراهيم عليه السلام كانوا ملائكة فى صورة بشر ، فظنهم ابراهيم بشرا ، فقدم اليهم طعاما ، فلم يمدوا اليه أيديهم لأن الملائكة لا تأكل « فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا لا تخف ، انا أرسلنا الى قوم لوط »(١) .

فلم يكن الله أحدهم ، ولم يطعم مما قدم اليهم ابراهيم كما افترى واضعو التوراة ، واذا كانت الملائكة وهم من خلق الله لا يأكلون ولا يشربون فكيف جرؤ الفكر الاسرائيلى أن يصور الله تعالى يأكل ويشرب؟

٣ ـ وتزعم التوراة المفتراة أن لله ـ سبحانه وتعالى عما يأفكون ـ ابنا كما أن للبشر أبناء .

وهل يستحيل على جسد يأكل ويشرب ويمارس ما يمارسه البشر أن يكون له ابن أو عدة أبناء ؟

وقد أبطل القرآن الكريم هذه الفرية ، فقال تعالى : « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون » (٢) .

وقال تعالى : « وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات والأرض كل له قانتون » (٣) .

وقال جل وعلا : « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئا ادا، تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هدا ، أن دعوا

---

(١) سورة هود ٧٠
(٢) سورة التوبة ٣٠ ـ ٣١
(٣) سورة البقرة ١١٦

للرحمن ولدا ، وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ، ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا » [1] •

وقال تعالى : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ، اذا لذهب كل اله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون » [2] •

٤ — ووصفت التوراة المفتراة الله تعالى بأنه — حاشاه — ناقص العلم ، محدود المعرفة ، محتاج الى ارشاد بنى اسرائيل ليميزهم من غيرهم •

زعموا أنه لما عزم على أن يضرب فى مصر كل بكر من الناس والحيوان خشى أن تنزل ضرباته ببنى اسرائيـــل ، فطلب منهم أن يميزوا بيوتهم بدماء الكباش التى يلطخون بها قوائم أبوابهم وعتباتها [3] •

وزعموا أن ابراهيم عليه السلام ناقشه حينما هم بتدمير قريتى سدوم وعمورة ، وبين له أن بعض اهليهما صالحون لا يستحقون الدمار ، وأنه ليس من العدل أن يعاقب البرىء بذنب المجرم[4] •

أنه لاغراق فى الضلال أن ينسب واضعو التوراة ماوضعوه الى الله ، وهم يصفونه بهذا النقص الذى يتنزه عنه ، ويبرأ المسلمون من نسبته اليه•

أما القرآن الكريم — وهو كتاب الله — فانه يصوره عليما بما جل وصغر، خبيرا لا يحتاج الى ارشاد ، قال تعالى : « هو الذى خلقكم ، فمنكم كافر ، ومنكم مؤمن ، والله بما تعملون بصير • خلق السموات والأرض بالحق ، وصوركم فأحسن صوركم ، واليه المصير • يعلم ما فى السموات والأرض، ويعلم ما تسرون وما تعلنون ، والله عليم بذات الصدور » [5] •

---

(١) سورة مريم ٨٨ — ٩٣
(٢) سورة المؤمنون ٩١
(٣) سفر الخروج ٧/١٢ — ١٤
(٤) سفر التكوين الاصحاح ١٨
(٥) سورة التغابن ٢ — ٤

وقال سبحانه : «ان الله لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء»[1] ٠

وقال سبحانه : « وما تكون فى شأن ، وما تتلو منه من قرآن، ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه ، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين »[2] ٠

٥ ــ كذلك وصفته التوراة الباطلة بأنه ــ تعالى عما يأفكون ــ يخدع عباده ويضللهم ، وبأنه جاهل بالغيب لا يدرك منه شيئا ، فقد زعمت أنه نهى آدم وحواء أن يطعما من شجرة المعرفة ، وهو يخفى عليهما حقيقتها وعاقبة الأكل منها ، وحذرهما أن يقرباها بدعوى أن الأكل منها يفضى الى الفناء ، وهو يعلم أن الأكل منها يفضى الى المعرفة ونضج العقل والفكر ، ولكنه كان يضللهما ليبقيا جاهلين فلا يشاركانه فى العلم والمعرفة ٠

ثم ان الشيطان أغراهما ، فأكلا من الشجرة ، فبدت لهما سوءاتهما ، فأدركا أنه لا يليق بهما ولا بربهما أن يلقياه وهما مكشوفا العورتين ، ولهذا لما سمعا صوته وهو مقبل عليهما اختفيا ، وجعلا يخصفان على عورتيهما من ورق الجنة ، فناداهما ربهما وسألهما ، فعرف انهما قد عصياه وأكلا من شجرة المعرفة ٠

ومنذ ذلك الوقت صار الانسان أحد الالهة ، لأنه عرف الحسن والقبيح وميز بينهما ٠ فلم يكن بد للاله من طرد آدم وحواء من الجنة ، حتى لا تمتد يداهما الى شجرة أخرى هى شجرة الخلد ، فيضيف الانسان الى صفة المعرفة صفة الخلود ، وهى أعلى صفات الله[3] ٠

لا ريب فى أن هذا افتراء مركب ، وبهتان مضاعف ،وضلال يموج بعضه فى بعض ٠

---

(١) سورة آل عمران ٥
(٢) سورة يونس ٦١ ٠
(٣) سفر التكوين الاصحاح ٣

فلنرجع الى القرآن الكريم لنجد قصة آدم وحواء فى عدة سور ، وليس فى آية منها كلمة واحدة تنافى علم الله وقدرته وارادته .

ومعاذ الله أن يخلق آدم وحواء ثم يحاول أن يخدعهما ليصرفهما عن المعرفة التى يختص بها ، فان معرفة الانسان قطرة من محيط المعرفة الالهية .

وحاشا لله أن يغار منهما وينفس عليهما هذه المعرفة ، فيطردهما من الجنة مخافة أن يشاركاه فى صفة الخلود ، لأنه لو أراد أن يحول بينهما وبين المعرفة لفعل ، ولو أراد لهما البقاء فى الجنة لحقق ما أراد .

ولم ينشأ الفناء عن طردهما من الجنة ، بل هكذا خلقهما الله للحياة وللموت ، وليعمر نسلهما الأرض ، لحكم لا يعلمها سواه .

فمن قصة آدم فى القرآن الكريم أن الله تعالى هو الذى خلقه وعلمه: «وعلم آدم الاسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ، قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » (١) .

ومن قصة آدم فى القرآن المجيد أن الله تعالى نهاه عن الأكل من الشجرة ، وحذره وحذر حواء وسوسة الشيطان واغراءه ، قال تعالى : « فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى . فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » (٢) .

---

(١) سورة البقرة ٣٠ — ٣٣
(٢) سورة طه ١١٧ — ١٢٢

على أن القرآن الكريم حافل بالآيات التى تثبت لله العلم الكامل الشامل بالماضى والحاضر والمستقبل ، كقوله تعالى : « عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير » [1] وقوله سبحانه : « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله ، وما يشعرون أيان يبعثون » [2] وقوله جل وعلا : « وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون » [3] فلم يكن ليخفى على الله تعالى ما سيفعله آدم وحواء ، وما يصيران اليه بعد أكلهما من الشجرة .

٦ ـ وأسف واضعو التوراة فى كذبهم فافتروا أن فى البشر من ينافسون الله فى قدرته وقوته ، كأنهم لم يسائلوا أنفسهم كيف خلق الله الناس بقدرته ثم صاروا له أندادا ؟ وكيف يهيمن على الكون ، ويهب الحياة ، ويمنح القوة ، وفى مخلوقاته من ينافسه فى القوة حتى يكاد يماثله .

ومن ذا الذى يعقل أن الله تشكل فى صورة انسان صارع يعقوب ولم يستطع أن يصرعه ؟

ومن ذا الذى يصدق أن الله أراد أن يفلت من يد يعقوب فعجز ، وأن يعقوب لم يسمح له بالانطلاق الا بعد أن باركه ؟

ان هذا ليس شركا فحسب ، وليس وثنية فحسب ، بل هو أخس الشرك ، وأحط دركات الوثنية ، وأقبح صورة يرسمها خيال للاله .

تزعم التوراة أنه بعد أن عاد يعقوب من مصر رغب فى أن يقابل أخا له ، فجلس فى خيمة ، فدخل عليه رجل ، فتصارعا حتى طلع الفجر . ولما رأى الرجل أنه غير قادر على يعقوب ضرب حق فخذه ـ رأس الورك الذى فيه عظم الفخذ ـ فانخلعت فخذ يعقوب ، فقال الرجل ليعقوب : اطلقنى لأن الفجر قد طلع ، فقال يعقوب : لا اطلقك ما لم تباركنى ، فقال الرجل :

---

(١) سورة الانعام ٧٣
(٢) سورة النمل ٦٥
(٣) سورة القصص ٦٩

ما اسمك ؟ قال : اسمى يعقوب ، قال الرجل : لن يكون اسمك بعد اليوم يعقوب ، بل اسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت .

فقال له يعقوب : اخبرنى باسمك ، فقال الرجل : لماذا تسأل عن اسمى، وباركه هناك ، فسمى يعقوب ذلك المكان (فنوئيل) وقال : لأنى نظرت لله وجها لوجه ، ونجيت نفسى .

وحينما اشرقت الشمس كان اسرائيل يعبر ذلك المكان ، وهو يعرج ، وهذا هو السبب فى أن بنى اسرائيل لا يأكلون عرق النسا ، لأنه على حق الفخذ ، فقد ضرب الاله حق فخذ يعقوب على عرق النسا[1] .

٧ ـ ومن أراجيفهم أن الله ـ تعالى عما يفترون ـ يخطىء كما يخطىء البشر ، ويندم على خطئه كما يخطئون ، ويخشى لوم الناس كما يخشون.

جاء فى التوراة « ندمت على أنى جعلت شاول ملكا ، لأنه رجع من ورائى، ولم يقم كلامى » [٢] .

وجاء فى التوراة « ندم الرب على الشر الذى قال انه يفعله بشعبه » [٣].

أما القرآن الكريم فانه ينزه الله عن هذا كله ، قال تعالى : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون »[٤] وقال سبحانه « والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب » [٥] .

٨ ـ ولقد أبى واضعو التوراة الا أن يكون تصويرهم للاله نابعا من حمأة نفسياتهم وصدى لأخلاقهم الشريرة ، فهو ـ تنزه عما يختلقون ـ شديد القسوة ، كلف بالتدمير ، مولع بالتخريب .

---

(١) سفر التكوين الاصحاح ٣٢
(٢) صمويل الاول ١٠/١٥
(٣) سفر الخروج ١٤/٣٢
(٤) سورة الانبياء ٢٣
(٥) سورة الرعد ٤١

نسبت اليه التوراة هذا التوجيه : حين تقرب من مدينة لتحاربها استدعها الى الصلح ، فان أجابتك وسلمت لك فكل من بها عبيد لك ، وان لم تسالمك وحاربتك فحاصرها ، فاذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بالسيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة فهو غنيمة لك .

وهكذا افعل بجميع المدن البعيدة منك التى ليست من مدن الأمم التى هنا ، والتى يعطيك الرب الهك ، لا تستبق منها نسمة [١] .

وتذكر الأسفار المفتراة فيما تذكر من وصايا الاله : لقد أوصيتكم بأن تضرموا النار فى المدينة التى تحتلونها [٢] ، وتقول : ولما انتهى اسرائيل من قتل جميع سكان عاى وأفناهم بحد السيف رجع الاسرائيليون الى عاى فأفنوا من كان قد بقى بها ، فكان القتلى فى ذلك اليوم من رجال ونساء اثنى عشر ألفا هم سكان عاى جميعا [٣] .

ولم تقتصر التوراة والأسفار على هذه القسوة الضارية ، بل تعدت البشر الى الحيوان ، كأن الحيوانات ليست من خلق الله التى أوصى بالرحمة بها .

جاء فى سفر صمويل أن نوب ضرب مدينة الكهنة بحد السيف رجالا ونساء وأطفالا ورضعا وثيرانا وحميرا وغنما [٤] .

كذلك لم تقتصر بشاعة الضراوة على الانسان والحيوان ، بل تجاوزتهما الى النبات والجماد .

ففى بعض الأسفار وصايا بقطع الأشجار ، وتخريب المزارع والحدائق، وطمس الآبار[٥] .

---

(١) سفر التثنية ٢٠/١٠/١٦
(٢) سفر يشوع ٨/٨
(٣) سفر يشوع ٨/٢٤
(٤) سفر صمويل الاول ٢٢/١٩
(٥) سفر الملوك الثانى ٣/١٩ ، ٢٤ ، ٢٥

أما القرآن الكريم فانه يصف الله تعالى بالرحمة بعباده الطائعين وبالمغفرة للعاصين التائبين ، ويصفه بالشدة على عبادة العصاة المستكبرين فى غير ما ضراوة وموجدة .

من ذلك قوله تعالى : « والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم[1] وقوله سبحانه : « قل أن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر اكم ذنوبكم والله غفور رحيم » [2] وقوله جل وعلا : « ومن يعمل ســوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما » [3] .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تأمر بالرحمة ، وتحض على الاصلاح والعمران ، وتنهى عن القسوة وعن التخريب .

وقد رحم الله عباده فوضع لهم دستورا أوجب عليهم ألا يتعدوه فى حروبهم ، منه قوله تعالى : « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » [4] وقوله ســبحانه : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » [5] .

٩ ـ كذلك افترت التوراة والاسفار على الله تعالى أنه نهم الى الضحايا ، مولع بالقرابين ، لا يهدأ الا اذا رأى الدماء تسيل والأرواح تزهق والاشلاء تتناثر ، كأنه فى تصورهم ليس الاله ، بل ليس الها ، بل لا يتصف بما يتصف به الانسان السوى المعتدل ، لأن هذه صفات لا تليق الا بالوحش الضارى أو بالانسان الشاذ المخبول .

فقد زعموا أن الضحايا التى تحرق فى المذبح يرتاح لها الاله ، ويستطيب رائحة دخانها المتصاعد ، ولهذا يثور ان لم تقدم اليه ، ويهيج اذا قدمت

---

(١) ســورة البقــرة ١٦٣
(٢) سورة آل عمران ٣١
(٣) سورة النســاء ١١٠
(٤) سورة النحل ١٢٦
(٥) سورة البقــرة ١٩٤

اليه على صورة أخرى ، وقد ينتهى به غضبه الى أن يرسل على المقصرين نارا تحرقهم [1] .

وما من شك فى أن هذا التصوير البشع الباطل ينم عن الوحشية المسعورة التى تتلظى فى نفوس اليهود ، وتأبى الا أن تستعلن فى أفعالهم وفى بهتانهم الذى عزوه الى الله .

فقد كان السحرة من اليهود يستخدمون الدماء البشرية فى أعمالهم منذ زمن بعيد ، حتى أن بعض أسفارهم سخطت هذا العمل [2] ، وشهد بهذه الوحشية كثير من المؤرخين ، منهم المؤرخ اليهودى برنارد لازار Bernard Lazare فى كتابه (اللا سامية) ، ومنهم كيتو G. Kitto فى كتابه (مجموع الكتاب المقدس) الذى نشره سنة ١٨٩٥ ، ومنهم دورزى G. A. dorsey فى كتابه (الحضارة) .

وذكرت دائرة المعارف اليهودية انه اذا كان اليهود قد أقروا بأصل مما دعا اليه حكماؤهم فان هذا الأصل هو القرابين البشرية التى يقدمونها للاله يهوه ملك الأمة ، وقد مارسوا تقديمها منذ أواخر عهد الملكية اليهودية .

فلنرجع الى القرآن الكريم لنجده ينزه الله تعالى عن هذا كله ، قال تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم ، وبشر المحسنين » [3] .

١٠ ــ ثم انهم لم يستحوا فى افترائهم على الله ان ينسبوا اليه الجور ، والميل مع الهوى ، مثلما يجور بعض الناس على بعض ويميلون .

فهم يزعمون ان الله يؤثرهم بالمحبة ، ويفضلهم على سواهم ، لأنهم فى نظره أرقى وأولى بالايثار ، ولهذا وضع لهم شريعة خاصة بهم ، لايشركهم فيها أحد ، كأنهم وحدهم من خلقه ، وبقية البشر من خلق غيره .

---

(١) سفر اللاويين كله .
(٢) سفر اشعيا الاصحاح ٥٧
(٣) سورة الحج ٣٧

جاء فى بعض الأسفار : وقل اسمعوا حكمة الرب يا ملوك يهوذا وسكان آورشليم ، هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل [١] .

وجاء فيها: ليعظم اسمك الى الأبد، فيقال رب الجنود اله على اسرائيل[٢]. ولهذا زعموا أنه تعالى حرم عليهم أن يقاتل بعضهم بعضا ، أو يخرج بعضهم بعضا من وطنه ، على حين أنه أباح لهم بل أوجب عليهم أن يغيروا على غيرهم ، وأن يضربوا رقاب جميع المغلوبين ، ويسترقوا أطفالهم ونساءهم ، ويستولوا على أموالهم وعقارهم [٣] .

ويتصل بهذه الاكاذيب ان الله تعالى رسم لاسرائيل حدودا لوطنهم ومعالم كما يرسم الجغرافيون الخرائط [٤] .

وفى هذه الفرية دليـــل على أن التوراة من وضع اليهود ، لأن المملكة المزعومة لم تكن ، ولن تكون .

وهى دليل على ما كان يدور بخيالهم منذ عهد بعيد من أوهام ومن حقد دفين وغدر مبيت وخطة قديمة الميـــلاد طويلة الأجل لعدوان خســـيس لا يرعى دينا ولا خلقا ولا ذمة .

ويكفى لدحض دعواهم قوله تعالى : (قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين . ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم ، والله عليم بالظالمين » . « قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ، ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » [٥] .

---

(١) سفر أرميا ٣/١٩
(٢) سفر صمويل الثانى ٣٦/٧
(٣) سفر التثنيه ١٣/٢٠ — ١٤
(٤) سفر العدد ١/٣٤ — ١٣
(٥) سورة الجمعـــة ٦ — ٨

وقوله سبحانه : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء » [1] .

والقرآن الكريم يصف الله تعالى بالعدل المطلق بين عباده ، يقول تعالى : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » [2] ويقول سبحانه : « وما الله يريد ظلما للعالمين » [3] .

وهكذا تنطق التوراة والأسفار بأكاذيب اليهود على رب العالمين ، وهكذا تصور نفوسهم الشريرة ، ونزعاتهم المادية ، وأحقادهم على النـــاس ، وجوعهم الى الانتقام ، واسفافهم فى وصف الخالق تعالى بما يبرأ منه الاسلام ويرفضه الفكر السليم .

ولن تقوم على أكاذيبهم دولتهم المزعومة ،لأنها أوهام باطلة ، وبناء واه على كثيب من الرمال .

---

(١) سورة المـــائدة ١٨
(٢) ســـورة الحجرات ١٣
(٣) سورة المائدة ١٠٨

علماء من القدس

الأستاذ على الجبلاطي

قبل أن نخوض فى بحثنا هذا بعرض النماذج الفذة من العلماء فى بيت المقدس أرى أن أقدم بين يدى البحث ــ لم آثرت اختيار هذا الموضوع دون سواه من مباحث هذا الكتاب ؟ وما المنهاج الذى سلكته فى هــذا البحث ؟ ولم اتبعت هذا المنهج ؟ لعل ذلك كله يكون معالم لطريقنا توضح ما استهدفناه ويرهص لسير هؤلاء العلماء الأعلام .

أما مايتصل باختيار الموضوع فلانه يمس البقعة الطاهرة العزيزة على جميع المسلمين وهى (بيت المقدس) البلد الاسلامى المقدس الذى امتزج كل شبر فيه بدماء الصحابة والمجاهدين وهو يضم المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين كما يضم مسجد الصخرة ومئات المساجد والمقامات الاسلامية الأثرية المقدسة وهو مهوى أفئدة ملايين المسلمين يقدسونه كما يقدسون مكة المكرمة والمدينة المنورة .ولعلنا لسنا فى حاجة الى تبيان صلة بيت المقدس باسراء سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام صلته بتلك المعجزة التى نعدها فى الأهمية بعد معجزة القرآن الكريم ولم يختر الله سبحانه اسراء نبينا عليه السلام من مكة الى بيت المقدس عبثا بل عن خطة الهية واستراتيجية سماوية رسمت منذ ذلك التاريخ والى الأبــد علاقة ملايين المسلمين ببيت المقدس . ولئن افتخرت الشام والعراق واعتزت مصر بأن فتحها أبطال المسلمين فان لبيت المقدس أن يشمخ ويتيه على غيره من بلاد العرب والاسلام بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتحه فى الاسراء بنفســه قبل الفتح العملى . ومن أهم الأدلة على قوة الصــلة الروحية ببيت المقدس هى أن المسجد الأقصى بلغ من تقديس المسلمين له ما جعلهم يفكرون فى نقل جثمان الرسول الكريم بعد وفاته ودفنه بجانب المسجد الأقصى .

واذا كان الفتح الاسلامى لبيت المقدس فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكانت (العهدة العمرية) تلك الوثيقة التى اشترطت ألا يسكن اليهود (ايلياء) بناء على طلب (صفرونيوس) الذى كان يحرم عليهم السكنى فى بيت المقدس فقد ظل الحكم الاسلامى الذى دام أكثر من ثلاثة عشر قرنا لا يمكن لليهود فى هذا البلد المقدس اللهم الا ما كان من سماحة الاسلام بتمكين بعضهم من اقامة شعائر الندب والبكاء أمام حائط المبكى •

وقد سلم بيت المقدس بعد حكم الأوربيين له مدة ثمان وثمانين سنة للمسلمين بعد أن خلصه القائد البطل صلاح الدين وقد دفع المسلمون ثمنا لاسترداده أكثر من مليون شهيد ويشاء الله أن تسلم المدينة المسلمين فى يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب الذى حدث فى مثله منذ ستة قرون أن أسرى الله سبحانه بعبده محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى •

فاذا كانت حرب ١٩٤٨ م استطاعت الأمة العربية أن تطهر القدس القديمة من اليهود وتحفظ للمدينتين الاسلامية والمسيحية مقدساتهما التاريخية الخالدة والانتصار فى معركة القدس أبقى للعرب منطقة نابلس ومنطقة الخليل لأن مدينة القدس هى الدعامة التى ترتكز عليها الميمنة نابلس والميسرة الخليل كما أن بيت المقدس هو فلسطين ومن يمتلكه وما فيه من مقدسات يعد مالكا فلسطين وهذا هو المفهوم لقوله تبارك وتعالى (المسجد الأقصى الذى باركنا حوله) •

وأخيرا فقد كان سقوط القدس فى يد اليهود فى حرب ١٩٦٧ م ضمن الخطة الصهيونية العالمية التى تصل حلقات الحروب الصليبية فى القرون الوسطى بالمعارك الدائرة الآن — وليست معركة القدس معركة حربية يكسبها اليهود بل هى معركة تتجدد على مر السنين أطرافها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ومعهم المسيحيون الشرقيون والعدوان على مقدساتها هو القنبلة الزمنية التى جلس اليهود فوقها وهى أكبر أخطائهم التى وقعوا فيها خلال ألفين من السنين •

ولعل فيما قدمت عن (بيت المقدس) ما يؤكد أننا لابد أن نخوض معركة القدس على أساس الجهاد الدينى فان الدفاع عنه فرض عين على كل مسلم على وجه الأرض وبخاصة والدعوة الصهيونية قامت على الفكرة الدينية والتعصب الدينى وما الناحية العنصرية فى تلك الدعوة غير مظهر من مظاهر التعصب الدينى ٠

والآن نرى طريق الجنة قد أصبح مرسوما أمام المؤمنين بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر انه طريق يمر بفلسطين وبالقدس الشهيدة ٠

واذا كانت معركتنا فى القدس دينية مقدسة كان لزاما علينا أن نختار من أعلامها علماء الدين ليتسق ذلك مع روحانية المدينة وقداستها ٠ وهنا يكون المنهاج الذى سرت عليه فى هذا الاختيار فهذه المدينة المقدسة تعج بالقمم الشامخة ممن خلفوا تراثا خالدا من علماء اللغة والتفسير والحديث والأدب والفقه والتاريخ وسائر ألوان الفكر الاسلامى على ممر العصور ٠

ولكننى وقفت فى الاختيار لضيق المجال عند أنماط معدودة من علماء الدين كما أسلفت وفى فترة محددة من التاريخ هى القرنان السابع والثامن الهجرى اذ أنها الحقبة التى يمكن أن نسميها العصر الذهبى للموسوعات الاسلامية على تباين أنواعها ففى اللغة نجد ابن منظور الافريقى (صاحب لسان العرب) والفيروزبادى (صاحب القاموس) والسكاكى (صاحب مفتاح العلوم) وفى علوم التفسير نرى ابن كثير (صاحب تفسير ابن كثير) ومن قبله القرطبى (صاحب الجامع لأحكام القرآن) وابن تيمية وابن القيم — وفى علوم الحديث نجد الحافظ الذهبى (صاحب تذكرة الحفاظ وميزان الاعتدال فى نقد الرجال) وابن عبد الهادى (صاحب الصارم المنكى) والحافظ زكى الدين المنذرى (صاحب الترغيب والترهيب) والحافظ ابن حجر (صاحب فتح البارى والاصابة) وفى الأدب نجد القلقشندى (صاحب صبح الأعشى) وضياء الدين بن الأثير (صاحب المثل السائر) والميدانى (صاحب مجمع الأمثال) وابن أبى الأصبع (صاحب تحرير التحبير) وفى الفقه نرى على بن عبد الكافى السبكى (صاحب تكملة المجموع الأولى

وطبقات الشافعية) ومئات ذكرهم ابن حجر العسقلانى فى كتابه (الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة) وابن قدامة (صاحب المغنى) وفى التاريخ نجد ابن اياس (صاحب بدائع الزهور) وابن كثير (صاحب البـــداية والنهاية) والذهبى (صاحب تاريخ الاسلام) والمقريزى (صاحب الخطط) وابن خلدون (صاحب التاريخ ومقدمته المعروفة) وهؤلاء غيض من فيض ازدهرت بهمهذه الحقبة من تاريخ الأمة الاسلامية فرحت أختار منهم بعض من عمر بهم بيت المقدس فى القرنين اللذين حددناهما ولا مطمع لنا هنا فى استقصاء ذكر هؤلاء العلماء .

وهنا لا ندحة لنا من ذكر بعض الملاحظات التى يزكيها ما ســنورده فى تضاعيف هذه الترجمات وهى ملاحظات عابرة تحتاج الى درسات فاحصة لمن أراد المزيد .

أما الملاحظة الأولى فاننا سنجد فى سير هؤلاء الصفوة من العلماء مايؤكد وحدة الأمة الاسلامية فليس بين أقطارها حواجز مصطنعة ولا طبيعية فهذا العالم أو ذاك يولد فى مصر من الأمصار وينشأ فى آخر ويأخذ عن الشيوخ فى ثالث ويأخذ عنه مريدوه فى مصر رابع وقد يوارى التراب فى قطر خامس وهــكذا .

والملاحظة الثانية هى أن ظهور شيخ الاسلام ابن تيمية فى هذا القرن وما جرى بينه وبين ملوك عصره وعلمائه واعجاب أبناء هذا العصر به كثائر مجاهد وفقيه ثبت وحافظ مفسر حتى قال عنه الامام الذهبى (كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث) وقال عنه الدكتور طه حسين (كان ابن تيمية اذا تكلم فى فن يظن أنه لا يعرف غيره ومع ذلك كان يعرف كل شىء) أجل كان ظهور ابن تيمية أحد الأسباب الفاعلة التى أكثرت من تلاميذه ومريديه ممن ينزعون منزعه والذين يحبون أن يتمذهبوا بمذهب الامام الكبير أحمد حتى شاع مذهب الحنابلةكما سنرىبين علماء هذا العصر .

والملاحظة الثالثة هى أنه بعد اقتحام جحافل الصليبيين لبيت المقدس واستيلائهم عليهوتقتيلهم بوحشية وغدر لأئمة الاسلام فر اكثرهم من بقية

السيف الى الامصار الاسلامية التى كانت مفتحة الابواب لهم وهنا كانت ظاهرة الهجرة من بيت المقدس ــ أما بعد اجلاء الصليبيين عنها على يــد الناصر صلاح الدين الأيوبى فقد هب العلماء والفقهاء الى تعمير بيت المقدس بالعلم فهرعوا اليه من كلحدب وصوب ليعيدوا اليه مجد الاسلام وليحصنوه من كرة أخرى للصليبيين وكانوا يعدون هذا رباطا فى سبيل الله•

والملاحظة الرابعة هى أن الكثير من هؤلاء العلماء كانوا من الأفــذاذ والنوابغ حتى قدر لتراثهم أن يعيش الى اليوم ووقفوا حياتهم واستعملوا مواهبهم بسخاء فى تكوين هذه الثروة الفقهية التى لا تزال مرجعا للتشريع وقد آثروا هذا الانتاج الخالد على كل راحة ولذة وجاه فى الحياة وخابت الاطماع أن تشغل قلوبهم أو تتوزع عقولهم حتى رأينا هذهالذخائر النفيسة فى الفكر الاسلامى •

والملاحظة الخامسة والأخيرة هى أن النهضة العلمية اذا بلغت ذروتها ازدحم الرجال والنساء فى صنعها وتجد من النوابغ نجوما منالنساء كما تجد أعلاما من الرجال وهذا ما كان فى هذه الفترة حتى رأينا الكثير من النابغات فى الفقه والحديث يتتلمذ عليهن الفقهاء ويجيز منهن كثير من الأعــلام •

وفى ختام هذه المقدمة يهمنا أن نثبت حقيقة التزمناها فى هذا البحث وهى أننا حرصنا على أن نترجم لهؤلاء الأعلام ناقلين عن معاصريهم أو عمن جاء بعدهم رأيهم فيهم وقد تكون هذه النقول مكررة وذلك لأننا موقنون بأن ترجمة علماء عصر ما تقتضى أن يعيش القارىء لهذه الترجمة فى مناخهم وفى جوهم الأدبى ولذلك كان من الأمانة أن ننقل هذه النصوص من شبتيت المراجع غير مشوبة بتصرف ينقلها من جو عصرها ليكون البحث معطيا غايته من الدقة ونترك للقارىء بحاســته الصادقة وحكمه الذاتى أن يستنشق عبير هذا الجو لذلك التراث المذخور الخالد :

(١)

شيخ الاسلام موفق الدين

هو الامام شيخ الاسلام وأحد الأعلام موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن عبد الله المقدسى ثم الدمشقى الصالحى الفقيه الزاهد ولد فى شعبان سنة احدى وأربعين وخمسمائة بجماعيل بالقرب من نابلس بفلسطين وقدم دمشق مع أهله وله عشر سنين فقرأ القرآن وحفظ مختصر (الخرقى) واشتغل وسمع من والده وأبى المكارم بن هلال وأبى المعالى بن صابر وغيرهما ورحل الى بغداد هو وابن خالته الحافظ عبد الغنى عام واحد وستين وخمسمائة وسمعا الكثير من هبة الله بن الدقاق وابن البطى وسعد الله الدجاجى والشيخ عبد القادر الجيلانى وابن تاج القراء وابن شافع وأبى زرعة ويحيى بن ثابت وكثرة من العلماء الأعلام وسمع بمكة من المبارك بن الطباخ مدة يسيرة فقرأ عليه (متن الخرقى) ثم توفى الشيخ المبارك فلازم أبا الفتح بن المنى وقرأ عليه المذهب والخلاف والأصول حتى برع وصار حجة ثبتا وأقام ببغداد نحو أربع سنين كما ذكر (الحافظ ضياء الدين المقدسى) ثم رجع الى دمشق ثم عاد الى بغداد سنة سبع وستين وخمسمائة كما قال (سبط بن الجوزى) وقد ذكر الناصح بن الحنبلى أنه حج سنة أربع وسبعين وخمسمائة ورجع مع وفد العراق الى بغداد وأقام بها سنة فسمع درس ابن المنى الحنبلى وجلس مع ابن الناصح فى بغداد الى الشيخ أبى الفتح ثم رجع الى دمشق واشتغل بتصنيف كتاب (المغنى فى شرح الخرقى) فبلغ الغاية فى اتمامه وهو كتاب بليغ فى مذهب الحنابلة بل هو عمدة هـذا المذهب بلغ عشرة مجلدات بخطه وقد سهر عليه وعانى الكثير حتى بلغ غايته حيث أجمل فيه المذهب وقرأ عليه جماعة وانتفع بعلمه طائفة كثيرة وقد نشأ على سمت أبيه وأخيه فى الخير والعبادة وغلب عليه الاشتغال بالفقه والعلم وقد بقيت أصوات التقدير تعطر سيرة ذلك الامام الفقيه العظيم والجبل الشامخ ولا ندحة لنا من ذكر قليل من عبارات الثناء التى قالها هؤلاء العلماء ٠

فقد قال عنه سـبط بن الجوزى : كان اماما فى فنون كثيرة ولم يكن فى زمانه بعد أخيه أبى عمر العماد أزهد ولا أورع منه وكان كثير الحياء عزوفا عن الدنيا وأهلها هينا لينا متواضعا محبا للمساكين حسن الأخلاق جوادا سخيا من رآه كأنما رأى بعض الصحابة وكأن النور يخرج من وجهه وكان كثير العبادة يقرأ كل يوم وليلة سبعا من القرآن ولا يصلى ركعتى السنة فىالغالب الا فى بيته اتباعا للسنة وقد قال (السبط المذكور) أيضا عنه : وكان يحضر مجالسى دائما فى جامع دمشـق وقاسيون ثم قال : شاهدت من الشيخ أبى عمر وأخيه الموفق ونسيبه العماد ما نرويه عن الصحابة والأولياء فأنسانى حالهم أهلى وأوطانى ثم عدت اليهم على نية الاقامة عسى أن أكون معهم فى دار المقامة .

وقال ابن النجار عنه : كان الشيخ موفق الدين شيخ الحنابلة بالجامع وكان ثقة حجة نبيلا غزير الفضل كامل العقل شديد التثبت دائم السكون حسن السمت نزيها ورعا عابدا على قانون السلف على وجهه النور وعليه الوقار والهيبة ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه صنف التصانيف المليحة فى المذهب والخلاف وقصده التلامذة والأصحاب وسار اسمه فى البلاد واشتهر ذكره وكان حسن المعرفة بالحديث وله يد فى العربية .

وقال الحافظ عمر بن الحاجب فى معجمه عنه : هو امام الأئمة ومفتى الأمة خصه الله بالفضل الوافر والخاطر العاطر والعلم الكامل طنت بذكره الأمصار وضنت بمثله الأعصار قد أخذ بمجامع الحقائق العقلية والنقلية فأما الحديث فهو سابق فرسانه وأما الفقه فهو فارس ميدانه أعرف الناس بالفتيا وله المؤلفات الغزيرة وما أظن الزمان يسمح بمثله متواضع عند الخاصة والعامة حسن الاعتقاد ذو أناة وحلم ووقار وكان مجلسه عامرا بالفقهاء والمحدثين وأهل الخير وصار فى آخر عمره يقصده كل أحد وكان كثير العبادة دائم التهجد لم نر مثله ولم ير هو مثل نفسـه .

وقال عنه الضياء : كان رحمه الله اماما فى القرآن وتفسيره اماما فى علم الحديث ومشكلاته اماما فى الفقه أوحد زمانه فيه اماما فى علم الخلاف

أوحد زمانه فى الفرائض اماما فى أصـــول الفقه اماما فى النحو اماما فى الحساب اماما فى الفلك (قال) ولـــا قدم بغداد قال له الشيخ أبو الفتح ابن المنى اسكن هنا فان بغداد مفتقرة اليك فأنت تخرج من بغداد ولا تخلف فيها مثلك ــ ثم قال : وكان شيخنا العماد يعظم الشيخ الموفق تعظيما كثيرا ويدعو له ويقعد بين يديه كما يقعد المتعلم من العالم وسمعت الامام المفتى شيخنا أبا بكر محمد بن معالى بن غنيمة ببغداد يقول : ما أعرف أحدا فى زماننا أدرك درجة الاجتهاد الا الموفق وسمعت أبا عمرو بن الصلاح المفتى يقول : ما رأيت مثل الشيخ الموفق ــ وقال الشيخ عبد الله اليونينى : ما أعتقد أن شخصا مما رأيته حصل له من الكمال فى العلوم والصفات الحميدة التى يحصل بها الكمال سواه فانه رحمه الله كان كاملا فى صورته ومعناه من الحسن والاحسان والحلم والسؤدد والعلوم المختلفة والأخلاق الحميدة والأمور التى ما رأيتها كملت فى غيره وقد رأيت من كرم أخلاقه وحسن عشرته ووفور حلمه وكثرة علمه وغزير فطنته وكمال مروءته وشدة حيائه ودوام بشره وعزوف نفسه عن الدنيا وأهلها والمناصب وأربابها ما قد عجز عنه كبار الأولياء فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ما أنعم الله تعالى على عبد نعمة أفضل من أن يلهمه ذكره) فقد ثبت بهذا أن الهام الذكر أفضل الكرامات وأفضل الذكر ما يتعدى نفعه الى العباد وهو تعليم العلم والسنة وأعظم من ذلك وأحسن ما كان جبلة وطبعا كالحلم والكرم والعقل والحياء وكان قد جبله الله على خلق شريف وأفرغ عليه المكارم افراغا وأسبغ عليه النعم تطوف به فى كل حال •

وقد علمنا أن الامام الموفق فقيه حنبلى ومحدث أثرى (من علماء الحديث) قد ألف عدة كتب قيمة فى فقه الحنابلة ولكنه أراد أن يكون كتابه (المغنى) فى فقه المسلمين كافة فهو يذكر أقوال علماء الصحابة والتابعين وعلمـــاء الأمصار المشهورين كالأئمة المتبوعين ويحكى أدلة كل منهم واذا رجح مذهب الحنابلة فى كثير من المســـائل فهو لا ينتقص غيرهم ولا يحمله التعصب على كتمان شىء من أدلتهم ولا على تكلف الطعن فيها كما يفعل أهل الجمود من المقلدين فالمزية الأولى لكتاب المغنى أنه لخص لنا مذاهب

فقهاء المسلمين المجتهدين بأدلتها فى أمهات الأحكام ومهمات المسائل فأغنانا عن مراجعة كتب المذاهب الكثيرة فيما نحتاج الى الوقوف عليه منها وعن مراجعة كتب السنن والآثار لمعرفة أدلتها ومذاهب الصحابة والتابعين ومسائل الاجماع والخلاف على أن المصنفات التى تتوسع فى رواية هذه الآثار لم تطبع ونسـخها الخطية قليلة الوجود كمصنفات عبد الرزاق والأثرم وابن المنذر .

ومن المعلوم أن كتب فقه المذاهب المتبعة والخلاف ـ منها مالا تذكر فيه الأدلة ومنها ما يذكر فيها ما يؤيد مذاهب مصنفيها ويضعف المذاهب المخالفة لها ولو بضروب من التأويل والتحريف وتضعيف الأحاديث التى توافقه وان كانت ضعيفة أو السكوت عن نقل الطعن فيها وصاحب المغنى لا يتعمد مثل هذا فهو يرجح ما يعتقد رجحانه من أدلة الحنابلة ولا يتكلف الطعن فى أدلة من خالفهم ولولا هذا وذاك لمـا فضله سلطان العلماء فى عصره (الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله) على كتب الشافعية وهو كما نعلم من أجل علمائهم وهى التى يشهد لها من لم يعرف من مزايا تحريرها ما يعرفه هو بأنها فاقت كتب سائر المذاهب فى دقة التحرير والاستدلال والجزم بالصحيح من الأقوال وكان سلطان العلماء يعتمد على مراجعته فى الفتوى اذ صار يفتى بالدليل ويسلك سبيل الاجتهاد . وقد أوضح الامام العالم الأوحد شيخ الاسلام وسيد العلماء وامام أهل السنة مفتى الأمة موفق الدين فى مقدمة كتابه (المغنى) منهجه فى الكتاب وأنه بناه على شرح مختصر أبى القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله الخرقى وجعل كتابه مرتبا على مسائل (متن الخرقى) وأبوابه .

والحق أن كتاب (المغنى) فقه مقارن يعتمد على الدليل متوسع فى عرض القضايا الفقهية ولا يقيد مؤلفه فيها باتباع المذهب الا قوة الدليل فلو كان الدليل فى غير مذهب الحنابلة فهو يدور مع الدليل حيثما دار ولذا كثيرا ما يذكر فى القضايا الفقهية رأيه بقوله (ولنا) ويكون فيه بعض ما ينفرد به هو ولو كان مخالفا لمذهب (أحمد) كل هذا فى أسلوب مطوع ليس فيه تعقيد بعض الفقهاء .

وأخيرا لما كان كتاب (المغنى) هو عماد مذهب الحنابلة استحق به مؤلفه عن جدارة وكفاءة لقب (الامام شيخ الاسلام بقية السلف مفتى الأمة امام أهل السنة) .

رحم الله شيخ الاسلام الموفق ورفع مقامه فى دار البقاء كفاء ما رفع به من بنائنا الفقهى عـدة طبقاته الأولية وخلف تراثا فقهيا ثمينا وثروة تشريعية عظيمة تنوء بالمجامع العلمية والمؤسسات الكبيرة فى هذا العصر... انه تعالى سميع مجيب .

(٢)

ضياء الدين بن أبى احمد

هو الحافظ الكبير ضياء الدين بن أبى أحمد محدث عصره ووحيد دهره ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل ابن منصور السعدى المقدسى الصالحى وشهرته تغنى عن الاطناب فى ذكره والاسهاب فى أمره ولد رضى الله عنه فى خامس جمادى الآخرة سنة تسع وستين وخمسمائة قال الحافظ بن رجب فى طبقاته كذا وجدته بخطه وقال ابن النجار سألته عن مولده فقال فى جمادى الأولى من السنة .

وقد سمع بدمشق من أبى المجد البانياسى والخضر بن هبة الله بن طاووس وأحمد بن الموازينى وغيرهم من جلة العلماء وسمع بمصر من البوصيرى وفاطمة بنت سعد الخير وجماعة وسمع ببغـداد الكثير من الجوزى وابن المعطوس وابن سكينة وابن الأخضر وطبقتهم وسمع من أبى جعفر الصيدلانى وطبقته بأصبهان ومن عبد الباقى بن عثمان بهمدان ومن المؤيد الطوسى وطبقته بنيسـابور ومن أبى روح بهراة ومن أبى المظفر بن السمعانى بمرو ورحل مرتين الى أصبهان وسمع بها مالا يوصف كثرة وكتب بخطه الكثير من الكتب الكبار وغيرها ويقال انه كتب عن أزيد من خمسمائة شيخ وحصل أصولا كثيرة وأقام بهراة ومرو مدة.وله اجازة من السلفى وشهده .

وقد أجمع كل من ترجم له على تقديره والثناء عليه وقد قال ابن النجار عنه • كتب عنه ببغـــداد ونيسابور ودمشق وهو حافظ متقن ثبت ثقة صدوق نبيل حجة عالم بالحديث وأحوال الرجال • له مجموعات وتخريجات وهو ورع تقى زاهد عابد محتاط فى أكل الحلال مجاهد فى سبيل الله ثم قال ابن النجار ولعمرى ما رأت عيناى مثله فى نزاهته وعفته وحسن طريقته فى طلب العلم •

وقال عمر بن الحاجب عنه : شيخنا أبو عبد الله شيخ وقته ونسيج وحده علما وحفظا وثقة ودينا من العلماء الربانيين ــ قال ــ وهو أكبر من أن يدل عليه مثلى كان شديد التحرير فى الرواية مجتهدا فى العبادة كثير الذكر منقطعا عن الناس متواضعا فى ذات الله سهل العريكة رأيت جماعة من المحدثين ذكروه فأطنبوا فى حقه ومدحوه بالحفظ والزهــد سألت الزكى البرزالى عنه فقال : ثقة جبل حافظ دين وقال الشرف بن النابلسى : ما رأيت مثل شيخنا الضياء ــ ونقل الذهبى عن الحافظ المزى أنه كان يقول : الضياء أعلم بالحديث والرجال من الحافظ عبد الغنى ولم يكن فى وقته مثله ــ وقال الذهبى فى ترجمته الامام العالم الحافظ الحجة محدث الشام شيخ السنة ضياء الدين صنف وصحح ولين وجرح وعدل وكان المرجوع اليه فى هذا الشأن ــ وقال الشريف أبو العباس الحسينى عنه : حـــدث بالكثير مدة وخرج تخاريج كثيرة مفيدة وصنف تصانيف حسنة وكان أحد أئمة هذا الشأن عارفا بالرجال وأحوالهم والحديث وسقيمه وصحيحه ورعا متدينا طارحا للتكليف وقال الذهبى عنه : الضياء بنى مدرسته على باب الجامع المظفرى بسفح قاسيون وأعانه عليها بعض أهل الخير ووقف عليها كتبه وأجزاءه وقال غيره : بناها للمحدثين والغرباء الواردين مع الفقر والقلة وكان يبنى فيها جانبا ويصبر الى أن يجتمع معه ما يبنى به ويعمل فيها بنفسه ولم يقبل من أحد فيها شيئا تورعا وكان ملازما لجبل الصالحية قبل أن يدخل البلد أو يحدث به • ومناقبه أكثر من أن تحصر ــ وقد ذكر الحافظ ابن رجب من تصانيفه :

كتاب (الأحاديث المختارة) وهى الأحاديث التى يصلح أن يحتج بها سوى ما فى (الصحيحين) خرجها من مسموعاته كتب فيها تسعين جزءا ولم تكمل قال بعض الأئمة هى خير من (صحيح الحاكم) قلت (ابن رجب) رأيت لشيخ الاسلام ابن تيمية كلاما فى الثناء عليها وأنها خير من (صحيح الحاكم) ، (وابن حيان) .

وله كتاب (فضائل الأعمال) مجلد وكتاب (فضائل الشام) مجلد وكتاب (مناقب أصحاب الحديث) أربعة أجزاء وكتاب (صفة الجنة) ثلاثة أجزاء وكتاب (صفة النار) جزءان وكتاب (أفراد الصحيح وغرائبه) تسعة أجزاء وكتاب (ذم المسكر) جزء وكتاب (فضائل القرآن) جزء وكتاب (الرواة عن البخارى) جزء وكتاب (دلائل النبوة والالهيات) ثلاثة أجزاء وكتاب (فضائل الجهاد) جزء وكتاب (النهى عن سب الأصحاب) جزء وكتاب (الحكايات المستظرفات) أجزاء كثيرة فيها أحاديث مخرجة وكتاب (سبب هجرة المقادسة الى دمشق وكرامات مشايخهم) نحو عشرة أجزاء وأفرد لأكابرهم من العلماء لكل واحد سيرة فى أجزاء كثيرة وكتاب (أطراف الموضوعات لابن الجوزى) فى جزءين وكتاب (تحريم الغيبة) جزء وكتاب (الموقف والاقتصاص) جزء وكتاب (الاستدراك على الحافظ عبد الغنى فى عزوه أحاديث فى دور الأثر) جزء وكتاب (الاستدراك على المشايخ النبل لابن عساكر) جزء وكتاب (الارشاد الى بيان ما أشكل من المرسل فى الاسناد) جزء كبير فيه فوائد جليلة وكتاب (الموافقات) جزء وكتاب (طرق حديث الحوض النبوى) جزء وكتاب (أحاديث الحرف والصوت) جزء وكتاب (الأمر باتباع السنن واجتناب البدع) جزء وكتاب (مسند فضالة بن عبيد) جزء وكتاب (الأمراض والكفارات والطب والرقيات) وغير ذلك .

وقد ذكر الحافظ بن رجب عنه أيضا : قد روى عنه ابن نقطة فى استدراكه فقال : حدثنا محمد عبد الواحد الحنبلى بالجبل ظاهر دمشق وابن النجار فى تاريخه والبرزالى وعمر بن الحاجب وعمر بن الفخر البخارى والقاضى تقى الدين سليمان بن الفراء والنجم الشقراوى واسماعيل

ابن الخباز والحسن بن الخلال والدشتى وأبو بكر بن عبد الدائم وعيسى المطعم وخلق كثير غير من ذكر ثم قال الحافظ بن رجب : لقد توفى الحافظ الضياء يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة بسفح قاسيون ودفن به .

ولقد ذكره الحافظ جلال الدين السيوطى فى (طبقات الحفاظ) فقال عنه : الامام العالم الحافظ الحجة محدث الشام شيخ السنة ضياء الدين ثم قال لقد رحل وصنف وصحح ولين وجرح وعدل وكان المرجوع اليه فى هذا الشأن جبلا ثقة دينا زاهدا ورعا ثم ذكر تاريخ وفاته ومولده على النحو الذى ذكر آنفا رحمه الله ورضى عنه لقاء ما بذل فى سبيل نشر الهدى النبوى على الأجيال والفناء فى دين الله . ولعلنا قبل أن نعرض لمؤلفه القيم الضخم الذى يعد ثروة مذخورة فى الحديث كتاب (ثلاثيات المسند) نرى لزاما علينا أن نلم المـــامة سريعة بصنوه وزميله فى اعداد هذا المصنف النفيس وهو :

الامام العالم المحقق والامام العلامة المحدث الحافظ المتقن محب الدين اسماعيل بن عمر بن أبى بكر المقدسى أبو اسحق وأبو القاسم وأبو الفضل سمع بدمشق من أبى اليمن الكندى وغيره . وبمصر من البوصيرى ومن الحافظ عبد الغنى وببغداد من ابن الأخضر وطبقته وبأصبهان من أبى عبد الله محمد بن مكى وأبى بكر أحمد بن عبيد الله الخانى وطبقتهما من أصحاب الرستمى ومسعود الثقفى وكانت رحلته مع الضياء بعد الستمائة وعنى بالحديث وقرأ وقد قال الحافظ ابن رجب فى الطبقات عنه كما وصفه جماعة من الثقات بالحافظ وقد تفقه وحدث وتوفى ثامن عشر شوال سنة ثلاث عشرة وستمائة وكان لايزال شابا ـــ ومضى الروح الأمين الى رحاب رب كريم وقد علم الله صدق ايمانه وعظيم جهاده فأنزله منازل الصديقين ان شاء الله رب العالمين .

وهنا بقى أن نتعرض للكتاب الذى أخرج فيه الأحاديث من المسند الامامان الجليلان ضياء الدين ومحب الدين المقدسيان وهو كتاب (ثلاثيات

المسند) وهو مسند امام أهل السنة أحمد بن حنبل رضى الله عنه والكتاب ينتظم الأحاديث الثلاثية والثلاثى ما كان بين المخرج للحديث وبين النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة رواة صحابى وتابعى وتابع تابعى وحينئذ تجتمع من أفراد الثلاثة القرون المفضلة كما فى الأخبار الواردة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فيما رواه عمران بن الحصين عن النبى عليه السلام (خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ـ قال عمران فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ـ ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن) رواه الشيخان فى صحيحهما وغيرهما وفى معناه أخرج أبو داود والنسائى والترمذى أحاديث عن عائشة وابن مسعود وأبى هريرة .

والطبقة الأولى طبقة الصحابة وهؤلاء عدول بنص القرآن وقد عرفوا الصحابى بأنه كل من رأى النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على الايمان ـ أما ما عدا الصحابة من الطبقتين التاليتين فتكون عدالتهم بالنسبة لكل فرد منهم بحسب ما عرف من حاله عدالة وضبطا أو ما خالف ذلك ويعطى من الدرجة بقدر ما يجتمع له من الصدق والتثبت والحفظ وكل ما يمت الى العدالة والضبط .

وقد جرى صاحبا (الثلاثيات) على أن يوردا الأحاديث مبوبة بحسب الصحابة على صورة المسند والمعروف أن المسند يورد الأحاديث التى رواها الصحابى ومن معه وهكذا كل صحابى وليست مصنفة بحسب موضوعاتها أو أحكامها كما يفعل أصحاب الصحاح والسنن كالشيخين وأبى داود والنسائى والبيهقى وابن ماجه والترمذى والدارمى وغيرهم ويخالف أيضا نظام المعاجم للطبرانى فانه يعرضها فى معجمه بحروف الأبجدية بالنسبة لمشايخه هو ـ وحسبنا هنا هذا التعريف الموجز بهذا المؤلف القيم الذى يعد ذخرا من تراثنا الروحى وكنزا من الهدى النبوى والله المستعان .

(٣)

العلامة المحقق محمد بن أحمد

هو الشـــيخ الامام العلامة المحقق محمد بن احمد بن عبد الهادى بن عبد الحميد بن عبد الهادى بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسى الحنبلى شمس الدين وهو أبو عبد الله الفقيه المقرىء المحدث الحافظ الناقد النحوى المتفنن الجبل الراسخ ولد فى رجب سنة أربع أو خمس أو ست وسبعمائة وتوفى سنة أربع وأربعين وسبعمائة فى عاشر جمادى الأولى وعمــره أربعون سنة أو أقل .

وقد سمع من التقى سليمان والحجار والمطعم وابن سعد وطبقتهم وتفقه بابن مسلم ولازم شيخ الاسلام ابن تيمية وعنى بالحديث وفنونه وبرع فى ذلك وأفتى ومهر فى الأصول والعربية وغيرها .

وقد أثنى عليه جلة من العلماء : فقال الصفدىعنه : لو عاش كان آية . كنت اذا لقيته سألته عن مسائل أدبية وفوائد عربية فينحدر كالســيل وكنت أراه يوافق المزى فى أسماء الرجال ويرد عليه فيقبل منه ــ وقال الذهبى فى معجمه المختص عنه : الفقيه البارع المقرىء المجود والمحدث الحافظ النحوى الحاذق ذو الفنون كتب عنى واستفدت منه ــ وقال عنه ابن كثير كان حافظا علامة ناقدا حصل من العلوم مالا يبلغه الشيوخ الكبار وبرع فى الفنون وكان جبلا فى العلــل والطرق والرجال حسن الفهم جدا صحيح الذهن ــ وقال الحسينى عنه : درس بالصدرية والضيائية وتصدر وقد حدث الذهبى عن المزى عن السروجى عنه .

وقال عنه المزى : ما التقيت به الا واستفدت منه ــ وقد ذكره الذهبى فى طبقات الحارث وقال عنه : لقد صنف التصانيف الكثيرة بعضها كمل وبعضها لم يكمل لهجوم المنية عليه وله توسع فى العلوم والفقه والأصلين (أصول التوحيد وأصول الفقه) وقد عدله ابن رجب فى طبقاته (صاحب كتاب طبقات الحنابلة) ما يزيد عن سبعين مصنفا منها كتاب (الأحكام)

فى ثمانية مجلدات (والمحرر فى الحديث) اختصره من الالمام فجوده جدا واختصر (التعليق) لابن الجوزى وزاد عليه وحرره وشرح (التسهيل) فى مجلدين وله مناقشات (لأبى حيان) فيما اعترض به على ابن مالك فى الألفية وغير ذلك وله كلام على (أحاديث مختصر ابن الحاجب) وشرح (كتاب العلل) على ترتيب كتب الفقه (المجلد الأول) وجمع (التفسير المسند) ولم يكمل ــ وقد كثر التأسف عليه لما مات وحضر جنازته من لايحصى كثرة ودفن بسفح قاسيون .

وقد ظهر أنه أحد أحرارالفكر وجندى من جنود الله فى كتابه (الصارم المنكى فى الرد على السبكى) وكان قد تخرج فى مدرسة شيخ الاســلام ابن تيمية وثمرة من ثمرات الامام المجاهد الصابر المظلوم ولذا نافح فى هذا الكتاب عن شيخه حيث اتهمه السبكى بتحريم زيارة قبر الرســول صلى الله عليه وسلم وقد قال فى مقدمة هذا الكتاب (أما بعد فانى وقفت على الكتاب الذى ألفه السبكى وهو من قضاة الشافعية فى الرد على شيخ الاســلام تقى الدين أبى العباس أحمد بن تيمية فى مسألة شد الرحال واعمال المطى الى القبور وذكر أنه كان قد ســماه شن الغارة على من أنكر سفر الزيارة) ثم زعم أنه اختار أن يسميه (شفاء السقام فى زيارة خير الأنام) موضوع زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وما يتعلق به من حياة القبور وسماعهم الكلام .. الخ وختم مقدمة كتابه هــذا بقوله (وليعلم قبل الشروع فى الكلام مع هذا المعترض أن شيخ الاسلام رحمه الله لم يحرم زيارة القبور على الوجه المشروع فى شىء من كتبه ولم ينه عنها ولم يكرهها بل استحبها وحض عليها ومناسكه ومصنفاته طافحة بذكر استحباب زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وسائر القبور) .

وقد التزم الكتاب جانب الفقه فى القول والأمانة فى النقل والتحرر من آراء الرجال مما يجب أن يلتزمه كل مخالف مع من يخالفه وكنا نظن أن شيخ الاسلام ابن تيمية لم يترك لنا أعظم من تلميذه (ابن القيم) فاذا بهذا الكتاب يعلن أن تلميذه (ابن عبد الهادى) لا يقل عن ابن القيم سعة فى الاطلاع ولا دراية فى علم الحديث ورجاله ولا سهولة أسلوب ولا بلاغة منطق ولا عفة لسان وكل من كتبوا أو تكلموا فى هذه المسائل

من عشرات السنين الى اليوم كانوا عالة على هذا الكتاب الذى يتمسك فى كل سطر من سطوره بالحقيقة الواضحة التى تستند الى الدليل الثابت من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام والتزم فيه منهج أهل صنعة الحديث من المسلمين الأوائل هذا المنهج الذى عرفه المسلمون قبل أن تعرفه أكاديميات وجامعات العالم الحديث .

رحمه الله ورضى عنه وأثابه الجنة بفضل رحمته وسائر المسلمين الصالحين .

(٤)

سليلة التقى والورع
فاطمة المقدسية

هى أم ابراهيم فاطمة بنت العز ابراهيم بن الخطيب شرف الدين عبد الله ابن أبى عمر المقدسية وقد ولدت عام ستة وخمسين وستمائة أو عام أربعة وخمسين وستمائة وأحضرت على ابراهيم بن خليل مشيخة أبى مسهر وحديث ابن أبى الفراتى وتفردت بالسماع منه وسمعت على ابن عبدالدائم جزء ابن الفرات والأربعين للآجرى وانتخاب الطبرانى وجزء أيوب وجزء ابن عرفة والمبعث لهشام ومشيخة تخريجه لنفسه (ارجاع الرواية الى مظانها) وثالث على ابن حجر وسمعت على والدها وعم والدها الشمس ابن أبى بكر وعبد الوالى بن جبارة وأحمد بن جميل وأبى بكر الهروى .

وأجاز لها محمد بن عبد الهادى وعبد الحميد بن عبد الهادى وخطيب مردا وأبو طالب بن السرورى وتفردت بالرواية عنهم وكانت عابدة خيرة وهى كما رأينا سمعت من أئمة عصرها الأعلام ونشأت فى أسرة تقى وورع وعلم وانحدرت من أصلاب طاهرة وقد صعدت روحها النقية الى ربها راضية مرضية فى شوال سنة سبع وأربعين وسبعمائة وقد ادخر الله لها كريم مثوبته فى الجنة التى جعلها مثوى لأكرم الصالحات والصالحين .

(٥)

مسـند العصر
أبو الفضـل سـليمان

هو القاضى تقى الدين مسند العصر أبو الفضل سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن أبى عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسى وقد ولد فى رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة وأحضر على بن الزبيدى وعلى جده وابن المغير والأبلى وسمع من ابن اللتى وجعفر وابن الجميزى وكريمة والحافظ الضياء فسمع منه ستمائة جزء فأكثر وأجاز له ابن عمار وابن باقا والمسلم المازنى ومحمد بن زهير شعرانة ومحمود بن ابراهيم والسهروردى والمعافى بن أبى ستان وعيسى بن عبد العزيز وجمع جم من بغداد وأصبهان وغيرهما وكلهم من جلة الفقهاء وصفوة الأئمة وتفقه بابن أبى عمر وصحبه مدة وبرع فى المذهب وكانت له معرفة وثيقة بتواليف الشيخ الموفق وقد درس بعدة أماكن وطلب بنفسه وقتا وقرأ على المشايخ الثقات وكان جيد الايراد لدروسه وقد حدث وهو شاب سمع منه الأبيوردى وعلاء الدين الكندى ثم تكاثروا عليه والتفوا حوله بعد السبعمائة وولى القضاء عشرين عاما وشارك فى العربية والفرائض والحساب وكان مشهورا بالعدل والعفة بارعا فى الفقه جيد التدريس وتخرج به جماعة من العلماء وحدث بالكثير ولم يزل على حاله لم يصبه الوهن الى أن مات فجاءة فى ليلة الاثنين الحادى عشر من ذى القعدة سنة خمس عشرة وسبعمائة وكان الجاشنكير لما ولى السلطنة عزله بالشرف بن الحافظ فلما عاد الناصر أعاده لثقته به .

وقد قال الذهبى عنه : كان محبا للرواية كثير التلاوة طيب الأخلاق صاحب ليل وتهجد وصيام وايثار وسماح لا يخل بالجماعة وكان ضخم البناء تام الشكل أزرق العين أشقر منور الشيبة حليم النفس منبسطا لقضاء الحوائج لين العريكةوكان يقول سمعت من الشيخ ضياء ألف جزء وكان رفيع البزة دينا متمسكا بمذهب السلف وكان لا ينهر أحدا ويصمم على مراده بعقل وسكون وفيه بر بأقاربه ولطف بالناس ويحكى عنه كرامات ولما وقعت محنة ابن تيمية فى عام خمسة وسبعمائة وألزم الحنابلة بالرجوع

عن معتقدهم وهددوا تلطف القاضى تقى الدين وداراهم وترفق الى أن سكنت القضية ولم يك شيئا وقد حدث له فى نوبة غازان أذى كبير .

وحكى ابن عبد الحميد عن شمس الدين الحارثى أنه رأى وهو فى طريق الحج أن القنديل بمحراب جامع الصالحية طفىء قال فكلمتهم فى ايقاده فقالوا ما بقى يعود فكان ذلك وقت وفاة القاضى تقى الدين سليمان .

وقال عنه ابن رافع : انه سمع من الضياء ألفجزء وعنى بالحديثوقراءته وكتابته فقرأ الكتب الكبار وروى الكثير من سماعاته . وشيوخه بالسماع نحو المائة وبالاجازة نحو السبعمائة وقد حدث عنه أبو الحسن بن أبى المجد وحده بالقاهرة وفاطمة بنت المنجا وحدها بدمشق وهى آخر منحدث عنه بالاجازة وحدث عنه من مات قبلها بمائة وثلاثين سنة وهكذا عاش القاضى العادل والفقيه الثبت والامام الجليل مشعلا ينير لكل من حوله فكانوا فى الأرض العلماء المجاهدين وكانوا فى الآخرة الأبرار الخالدين .

(٦)

الصالحة حبيبة بنت الزين

هى أم عبد الرحمن حبيبة بنت الزين عبد الرحمن بن أبى بكر محمد ابن ابراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل بن منصور المقدسى وقد ولدت عام أربعة وخمسين وستمائة وحضرت على البلدانى وخطيب مردا وسمعت من ابراهيم بن خليل وأحمد بن عبد الدائم وكلهم من الأئمة الأعلام وأجاز لها السبط وفضل الله الجيلى مع آخرين من بغداد وحدثت بالكثير خصوصا بالاجازة (أى حدثت بالاسناد عنها وحدثت بالاجازة فى الكتب الصحيحة والمسانيد والمعاجم والمصنفات وأجيزت فى الكثير منها) وقد قال عنها الذهبى فى (تذكرة الحفاظ) سمعت منها وعرفها زوجالتاج وملأت حياتها الصالحة بالرواية والحفظ وشهود مجالس العلم والتفقه فى دين الله ولم تتزوج وماتت فى شعبان سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ورجعت نفسها الطاهرة الى ربها راضية مرضية

(٧)

الامام الجليل صلاح الدين بن أبى عمر

هو أبو عبد الله صلاح الدين بن أبى عمر المقدسى ثم الصالحى الحنبلى محمد بن أحمد بن ابراهيم بن عبد الله بن أبى عمر محمد بن أحمد بن قدامة ابن مقدام المقدسى وقد ولد سنة أربع وثمانين وستمائة وسمع من الفخر على ابن البخارى مشيخته تخريج ابن الظاهرى ومسند الامام أحمد بفوت يسير وكذلك الشمائل للترمذى والسادس والسابع من أمالى الجوهرى (صاحب الصحاح) ومشيخة الجوهرى الصغرى وسمع أيضا من التقى ابراهيم بن على الواسطى ومن أخيه ومن شمس الدين محمد بن الكمال بن عبد الرحيم ومن العز اسماعيل بن الفراء ومن التقى أحمد بن عبد المؤمن الصورى ومن عيسى المغارى فى آخرين وأجاز له أبو الفتح بن المجاور وزينب بنت مكى وعبد الرحمن بن الزين أحمد بن عبد الملك وزينب بنت المعلم وغيرهم وكل من سمع منهم وأجازوا له من الأئمة الثقات وقد ولى الامامة بمدرسة جده أبى عمر وحدث بأكثر مسموعاته فسمع منه القدماء .

وقد ذكره الذهبى فى مجمعه الكبير فقال : وعمر دهرا طويلا حتى صار مسند عصره وتفرد بأكثر مسموعاته ومشايخه وكان صبورا على السماع محبا للحديث وأهله ومات فى الرابع والعشرين من شوال سنة ثمانين وسبعمائة ونزل الناس بموته درجة وهو آخر من حدث عن الفخر بالسماع والاجازة الخاصة وآخر من حدث عن النبى صلى الله عليه وسلم تسعة أنفس بالسماع المتصل بشرط الصحيح قد أجاز لمن أدرك حياته خصوصا للمصريين فدخلت فى ذلك (الذهبى) ولم أظفر لى منه باجازة خاصة مع امكان ذلك والله المستعان .

وخرج له الصدر الياسوفى مشيخته وحدث بها وآخر من سمعها منه البرهان سبط بن العجمى .

رحم الله الامام الجليل ونضر وجهه وجعل مثواه الجنة مع الصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

(٨)

الشيخ الفاضل أبو محمد بن الحافظ

هو شرف الدين أبو محمد بن الحافظ عبد الله بن الحسين بن عبد الله ابن عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى الحنبلى وقد ولد فى رمضان سنة ست وأربعين وستمائة وأحضر عند محمد بن سعد ومكى ابن علان وغيرهما وسمع من محمد بن عبد الهادى والبلدانى وخطيب مردا وعلى بن يوسف الصورى وسبط بن الجوزى وابراهيم بن خليل وغيرهم وكلهم أئمة عصره وحملة مشاعل الهداية فيه ـــ ومن مسموعه على العماد عبد الحميد بن عبد الهادى نسخة أحمد بن أبى الحوارى عن أبى معاوية . ومن العز عبد الرحمن بن التقى محمد بن الحافظ عبد الغنى الثانى من حديث البغوى (صاحب مشكاة مصابيح السنة) • وأجاز له ابراهيم بن أبى بكر الزعبى وعلى بن عبد اللطيف بن الخيمى وفضل الله الجيلى ومحمد بن نصر ابن الحصرى وأحمد بن المفرج والزكى عبد العظيم وابن عبد الســـلام والرشيد العطار وعبد الغنى بن بنين •

وقد ذكره البرزالى فقال عنه : شيخ جليل صالح فاضل من أهل العلم والدين يقرأ الحـــديث قراءة حسنة فصيحة وقد ولى مشيخة الحـــديث بالصدرية وغيرها وطلب بنفسه وقرأ على ابن عبد الدائم وتفرد بالكثير وتفقه وبرع فى مذهبه وأفتى ودرس وناب فى الحكم ثم ولى القضاء فى أخريات حياته •

وقال عنه الذهبى : كان مليح الذهن حسن المناظرة ولم يكن بالمتحذلق بل كان سليم الباطن وكان دينا صينا وكان لا يصبر على الحديث وكانت مدته فى القضاء سنة وشهرا وأياما وكان ساكتا وقورا حسن السمت فاره القامة وقد مات فجاءة وهو يتوضأ لصلاة المغرب فى غرة جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بعد أن قضى حياته الحافلة فى خدمة الشريعة السمحة وبقية حياته خلودا مع الرفيق الأعلى •

(٩)

الامام العلامة الحسن بن عبد الله

أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبى عمر المقدسى الحنبلى شرف الدين ابن شرف الدين بن قاضى الجبل ولد فى شعبان سنة ثلاث وتسعين وستمائة وأسمع من اسماعيل بن عبد الرحمن الفراء ومحمد بن على الواسطى وأحمد ابن عبد الرحمن بن مؤمن وآخرين وطلب بنفسه بعد العشر فسمع من التقى سليمان ونحوه وأجاز له ابن عساكر وابن القواس وغيرهما وخرج له ابن سعد مشيخة عن ثمانية عشر شيخا حدث بها واشتغل بالعلم فبرع فى الفنون وكان بارعا فى العلوم بعيد الصيت قديم الذكر وله نظم بديع وذهن سيال وقد أفتى فى شبيبته ويقال ان ابن تيمية أجازه بالافتاء وكان يزدحم الفضلاء والعامة فى مجالس علمه وقد ولى القضاء فى عام سبعة وستين وسبعمائة وكان صاحب نوادر طريفة وخط حسن وقد ذكره الذهبى فى المعجم المختص فقال عنه : الامام العلامة شرف الدين صاحب فنون

وذهن سيال وتودد سمع معى (الذهبى) وطلب الحديث وقتا وكانت وفاته فى رجب سنة احدى وسبعين وسبعمائة ومن تصانيفه (القصد المفيد فى حكم التوكيد) ومسألة رفع اليدين والكلام على قوله تعالى (أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله .. الخ) وله نثر فائق فى المذهب ومن شعره .

نبيى أحمـــد وكـــذا امامى　　وشيخى أحمـــد كالبحر طامى
واسمى أحمـــد وبذاك أرجـــو　　شـــفاعة سيد الرسل الكـــرام

(١٠)

المتعبدة حبيبة بنت العز

هى أم عبد الله حبيبة بنت العز ابراهيم بن عبد الله بن أبى عمر المقدسى وقد ولدت سنة أربع وخمسين وستمائة وسمعت على الامام أحمد بن عبد الدائم انتخاب الطبرانى (للطبرانى ثلاث معاجم وله مختارات من هذه

المعاجم الثلاثة هى الكبير والأوسط والصغير هذه المختارات هى التى تسمى انتخاب الطبرانى) وجزء ابن عرفة ومشيخته تخريجه لنفسه (وهو ما رواه ابن عرفة عن مشيخته بالاسناد) وأجاز لها العلامة محمد بن عبد الهادى والصدر البكرى وقد وقفت حياتها للعلم ولم تتزوج وتوفيت فى ليلة عاشر ذى القعدة سنة خمس وأربعين وسبعمائة رحمها الله كفاء ما بذلت فى سبيل اعلاء كلمته والحفاظ على شريعته .

(١١)

موفق الدين عبد الله بن محمد

هو موفق الدين عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الباقى الربعى المقدسى الحنبلى وقد ولد سنة احدى وتسعين وستمائة أو فى أواخر السنة التى قبلها (كما كتب بخطه فى مولده) وولى قضاء الديار المصرية للحنابلة فى جمادى الآخرة عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة وبقى فى منصبه هذا حتى مات وسمع بالقاهرة من أبى الحسن بن الصواف وسعد الدين الحارثى والشريف الزينبى وحسن الكردى وموفقية بنت وردان وزينب بنت شكر وست الوزراء والحجار وسمع بدمشق من عيسى المطعم وأبى بكر بن أحمد ابن عبد الدائم وغيرهما وسمع بمكة من الرضى الطبرى وغيره وتفقه وحدث عنه جماعة من الأئمة .

وقد قال عنه الذهبى فى معجمه : عالم ذكى خير صاحب مروءة وديانة وأوصاف حميدة قدم علينا صاحب حديث وسمع من أبى بكر بن عبد الدائم وعيسى المطعم وغيرهما وعنى بالرواية وسمع معى وهو ممن أحبه فى الله وولى القضاء فحمدت سيرته وسدده الله وكان واسع المعرفة بالفقه وفى زمنه انتشر مذهب الحنابلة بالديار المصرية وكان يتعبد ويتهجد ويحب الصلحاء والعلماء ويصمم فى الأمور الشرعية وكان محببا فى الناس معظما عند الخاص والعام .

وذكر فى تاريخ اليوسفى ان غضب السلطان على ابن عبد الحق قاضى الحنفية فعزل وأخرج هو وأولاده الى الشام وهنا سأل السلطان عمن

يصلح للقضاء من الحنابلة فأشار عليه (جنكلى بن البابا) بموفق الدين فولاه وقد استقر بعده فى الحكم صهره أبو الفتح نصر الله بن أحمد وولى درس الحديث بالقبة المنصورية بعده بدر الدين بن أبى البقاء وقد مات العلامة المحدث الفقيه موفق الدين فى السابع عشر من المحرم سنة تسع وستين وسبعمائة تغمده الله برحمته ورضوانه وأجزل عما قدم للاسلام مثوبته .

خاتمـــة :

وبعد فهذه ثلة من الأئمة تشرف بالانتساب الى بيت المقدس نشأت فى نوره وتنفست فى عطوره حتى نبغت وكانت للعالمين منارا وللاسلام والمسلمين ذخرا وهم قليل من كثير من هذا الجحفل اللجب الذى احتضنه بيت المقدس ولو شئنا الاطالة لضاق المقام وانما هى نمـــاذج من أشباههم ونظائرهم ممن حفل بهم بيت المقدس لهم علينا حقوق بينة القداسة وفى أعناقنا ديون واجبة الأداء . ونحن اذ نستعرض سيرهم الطاهرة قضاء لحقوقهم وأداء لديونهم ننتفع من ذلك أكثر مما ينتفعون الا أن تنبسط مناكف طهور الى الله تبارك وتعالى داعية لهم بالرحمة والرضوان وأن ينعم على أرواحهم بالخلد وعلى ذكراهم بالخلود .

من علماء مدينة الخليل

الأستاذ ابراهيم عطوة عوض

(١) الامام الجعبرى

نسبه : هو ابراهيم بن عمر بن ابراهيم بن خليل أبو العباس السلفى أبو محمد الربعى الجعبرى الشافعى ، ويقال له ابن السراج « لقبه ببغداد تقى الدين وبالخليل برهان الدين » .

مولده : ولد بربض قلعة جعبر سنة ٦٤٠ هـ ـ سنة ١٣٤٢ م ، توفى بالخليل وكان شيخها سنة ٧٣٣ هـ ـ ١٣٣٢ م ، وقيل سنة ٧٣٢ هـ سكن دمشق مدة وبغداد ، ثم استقر بالخليل ونال مشيختها .

نشأته : لقد تنشأ تنشئة صالحة بين أهل صالحين . وأصدقاء مخلصين . فوجه الى حفظ القرآن الكريم فحفظه عن ظهر قلب حفظا جيدا ، وجوده تجويدا متقنا ، وتعلم القراءات وعلومها ، وسمع الحديث وأتقن الأصول ، والعلوم العربية والتفسير .

شيوخه : قرأ للسبعة على أبى الحسن الوجوهى ، صاحب الفخر الموصلى ، وللعشرة على المنتخب حسين بن حسن التكريتى ، صاحب بن كدى ، بكتاب در الافكار ، ومن ثم لم تقع له بالتلاوة عن كل من العشر الا رواية واحدة .

وروى القراءات بالاجازة عن الشريف الداعى ، وروى الشاطبية بالاجازة ، عن عبد الله بن محمود الجزرى وسمع من محمد بن سالم المنجى ، وابراهيم ابن خليل ، وابن البخارى ، وأجاز له يوسف بن خليل وقرأ كتاب التعجيز عاى مؤلفه .

من أخذوا عنه : وقرأ عليه القراءات العشر شيخنا أبو بكر بن الجندى ، وذكر المؤرخون أن الشيخ عمر بن حمزة شيخ صفد قرأ عليه وقرأ عليه أحمد بن نخلة سبط السلعوس ، محمد المطرز ، والقاسم المغربى ، وابراهيم

البعلبكى الشاهد • وقرأ عليه بعض القرآن بالقراءات وأجازه بالباقى شيخنا أبو المعالى بن اللبان ، وابراهيم بن أحمد الضرير الشامى ، وقرأ عليه أيضا • الحسام المصرى شيخ القوم •

مصنفاته : له تصانيف كثيرة • فى القراءات • والتفسير • والحديث • والأصول • وعلوم العربية والتاريخ •

منها : كنز المعانى فى شرح حرز الأمانى ، نزهة البررة فى القراءات العشرة ، وشرح التعجيز ، وشرح الرائية فى علم رسم القرآن « عقيلة أتراب القصائد فى أسنى المقاصد » وكتاب مختصر النزول للواحدى • ومنظومة الأفهام والاجابة فى مصالح الكتابة والايجاز فى الألغاز وغير ذلك • وله من التصانيف ما يقارب المائة •

وكان رضى الله عنه منور الشيبة ، ساكنا وقورا ذكيا ، واسع العلم ، حلو العبارة ، محققا حاذقا ثقة كبيرا •

رحلاته فى طلب العلم

ولما كان شديد الشغف بكتاب الله وسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تطلعت نفسه وهو فى مقتبل شبابه الى البلاد العربية ، ولميأبه بما يلحقه فى ذلك من وعثاء السفر ومصاعبه ومشاقه وبعد الشقة ووحشة الغربة ، ليشبع رغبته ، ويرتشف من معين علومها الصافى ما تطيب به نفسه ، ويطفىء أوار ظمئه ، فيمم بلاد الحجاز • والشام • والعراق ،وكان كلما ارتحل الى بلد شعر بأنه موطنه الذى فيه ولد وفيه تربى ودرج ، تقله أرضه وتظله سماؤه ويحنو عليه فيه أهله واخوانه ، وماكان يرى وحشة ولا سآمة فيقيم فيه ما شاء أن يقيم حتى يقتنص ما شاء أن يقتنص من أوابد العلوم وشواهدها •

وحيثما يجد طلبته وضالته المنشودة يهرع اليها،فينهل من كل قطر المزيد من العلوم والمعارف ••

وكان يخص علوم القرآن والحديث المزيد من العناية التامة ، فما كان يقتصر على سماع من شيخ واحد ، بل كان يكثر من المشايخ عله أن يجد

عند أحدهم ما لا يجده عند غيره ، وما كان يلتزم طريقة السماع من الشيخ فحسب ، وانما كان يقرأ هو بنفسه الحديث تارة فيقره الشيخ ، وأخرى كان الشيخ هو الذى يقرأ وهو يسمع منه ، سواء أكان فى العراق أو الشام أو غير ذلك من كل بلد يرحل اليه ، وبذلك أتقن علومه اتقانا لا حد له ... ومن هناك كثرت مشايخه فى كل قطر من الأقطار التى ازدهرت فيها العلوم والمعـــارف غير أنه اتخذ له فى كل فن من الفنون شيخا . كان هو العمدة له فى ذلك الفن .

أخلاقــه :

كان عليه رحمة الله ورضوانه على جانب كبير من الأخلاق الكريمــة والصفات الحميدة .

كان خلقه القرآن العظيم وحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

فما كان يغفــل عن الاشـــتغال بهما ، وكان من أبـــرز صـــفاته التى عرف بها الحلم والتواضع واحتمال المشاق والصبر على المكاره والصـــيام وقيام الليل فى الطاعة ، والورع والآداب الجامة مع شيوخه وطلابه ومن يعرف ومن لا يعرف ، محبته للعلماء وذوى الفضل ،والتنويه بذكرهم ، وعدم تناول أحد بما يسىء وعدم التفاخر بعلمه ومزاياه ، والى جانـــب ما ذكر ما اتصف به من الكرم والمروءة والبذل والسخاء والزهد فى متاع الحياة الدنيا ، وغير ذلك من الصفات الكريمة التى لم تجتمع لأحد من أهل زمانه ، وقد شهد له القدماء بالحفظ والمعرفة التامة ، والذهن الحاد والذكاء المفرط ، وسعة الاطلاع فى كثير من الفنون .. وانه ليصدق فيه حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) « ثلاث من كن فيه استكمل الايمـــان واستوجب الثواب : خلق يعيش به فى الناس ، وورع يحجزه عن محارم الله ، وحلم يرد به جهل الجاهلين » ولم يزل رضى الله عنـــه ، على جلالته فى العلم وعظمته فى النفوس ،ومداومته على المبرات . وفعل الخيرات ، الى أن توفاه الله ، وصلى عليه بمشهد عظيملم ير من حضره مثله ، تغمده الله برحمته وجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء ..

٢ ــ القاضى شهاب الدين محمد بن عبد القادر بن ناصر الأنصارى الشافعى ويعرف بابن العالمة • ولد فى سنة ٦٠٠ هـ ، وارتحل كثيرا فى طلب العلم ، وكان أديبا فاضلا وفقيها ولى قضاء الخليل وله شعر ،

وكانت أمه عالمة كبيرة القدر ، حفظت القرآن وشيئا من الفقه والخطابة •

روى عنه ولد قاضى القضاة زين الدين ، قاضى « حلب » توفى سنة اثنتين وسبعين وستمائة هـ •

٣ ــ القاضى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن كمال الدين كامل التدمرى الشافعى ، كان عالما فاضلا • ولى كثيرا من المناصب الهامة وله مؤلفات ،ولى الخطابة والامامة بحرم الخليل عليه السلام سنة ٧٢٥ هـ •

باشر نيابة الحكم بدمشق ، وتولى قضاء القدس الشريف من دمشق وسافر اليها فى مستهل ربيع الأول سنة ٧٣٤ هـ حتى سنة ٧٤١ هـ ، من مؤلفاته « شرح الأربعين • والأشباه • والنظائر » •

٤ ــ القاضى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الخطيب زين الدين ابى محمد عبد الرحمن بن محمد التدمرى الشافعى تولى قضاء الخليل سنة ٧٨٩هـ

٥ ــ القاضى سعد الدين سعد بن اسماعيل بن يوسف النواوى الدمشقى الشافعى ولد سنة ٧٢٩ هـ ، ارتحل وهو صغير فى طلب العلم وقدم الى دمشق ، ولازم الشيخ تاج الدين المراكشى ، وتفقه على شمس الدين بن قاضى شهبة ، ودرس علوم الحديث على الشيخ عماد الدين بن كثير ، وتفوق فيه وله فيه مؤلفات ، وأذن له بالفتوى • واشتغل بالجامع الأموى، وعمل معيدا بالناصرية ، وصنف فى الاجازات • وفى الفتاوى • ودرس فى آخر عمره وناب فى القضاء ، ولى قضاء بلد الخليل عليه السلام مدة يسيرة ، وتوفى بها فى ربيع الآخر سنة ٨٠٥ هـ •

٦ ــ الخطيب مجد الدين عبد الوهاب بن الخطيب عماد الدين اسماعيل التدمرى الأصل الخليلى الشافعى كان والده عالما خطيبا لمقام الخليل عليه السلام ، وباشر الخطابة بعد مدة طويلة وتوفى سنة ٨٩٠ هـ فى شهر ربيع الأول ودفن بمدينة الخليل .

٧ ــ الشيخ على البكاء صاحب الزاوية بمدينة الخليل ، اشتهر بالصلاح والتقوى ، وكان يطعم من يجتاز به من المارة والزوار ، واتصل بالملك المنصور قلاوون وأثنى عليه الملك وذكر أنه اجتمع به وهو أمير وكاشفه فى أشياء وقعت له ، ويروى فى سبب بكائه الكثير الذى اشتهر به أنه صحب رجلا كانت له أحوال وخرج معه من بغداد فوصلا فى ساعة واحدة الى بلدة بينها وبين بغداد مسيرة سنة وقال له ذلك الرجل سأموت فى الوقت الفلانى فاشهدنى ، فلما كان ذلك الوقت حضر عنده وقد وافته منيته .

٨ ــ الشيخ القدوة . أبو حفص عمر بن نجم الدين يعقوب البغدادى . ثم القدسى المعروف بالمجرد وهو غير الشيخ عمر المجرد واقف زاوية المغاربة بالقدس . وان اشتركا فى الاسم والشهرة كما توهم بعض المؤرخين،

ولد ببغداد سنة ٧١٢ هـ وانتقل الى دمشق وسمع البخارى سنة ٧٢٦ هـ وأقام بها وبنى زاوية انفق عليها كثيرا وكانت غاية فى الحسن ، وبنى أماكن بأعلاها ورتب فيها من يتعلم القرآن وأجرى عليهم الأموال واشتهر بالبذل والسخاء . واطعام أطايب الطعام ، وكان لايقصد فى حاجة الا قضاها . وكان اذا قرأ القرآن عند أحد يخيره بين الاقامة عنده بشرط أن يشتغل بالعلم ويعطيه كتابا أو يذهب الى بلدة أخرى ولا يدع أحد يقعد عنده بغير تعليم .

وكان فارع الطول يلبس قلنسوة من غير عمامة توفى سنة ٧٩٥ هـ ودفن بزاويته بالخليل .

٩ ــ الشيخ شمس الدين محمد بن أبى عبد الله سليمان الشهير بابن البرهان الخليلى الأصل ، ثم المقدسى الشافعى ولد بالخليل سنة ٧٧٦ هـ واشتغل بالعلم ، سمع الحديث وتفوق فى علم الوقت وتولى

الخطابة بالقـــدس الشريف بعد والده . وكان فقيها فرضيا توفى فى ذى الحجة سنة ٨٥٢ هـ ولم يتزوج .

١٠ ـ الشيخ الامام العالم المحقق شيخ الاســـلام . برهان الدين أبو اسحاق ابراهيم بن زين الدين عبد الرحمن الأنصارى الخليلى الشافعى ، ولد فى عاشر محرم سنة تسع عشرة وثمانمائة ببلد الخليل عليه السلام وطلب العلم على علماء الخليل وسمع الحديث ورحل الى القاهرة وأخذ الحديث عن علمائها أجلهم الحافظ بن حجر وأخذ الفقه عن كثير منهم فقيه عصره .. تقى الدين أبو بكر بن قاضى شهبة ، وأذن له فى الافتاء والتدريس. الغاياتى . والوفائى . وشمس الدين المالكى الرملى وغيرهم منهم الشيخ شهاب الدين أرسلان .

أفتى . ودرس . وناظر . ورحل من بلد الخليل الى القدس الشريف واستوطنه وباشر نيابة الحكم عن قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة قبل سنة ٨٦٠ هـ وبعـــدها . واعتزل الحكم وأصبح من أعيان العلماء ببيت المقدس . وقد عرضت عليه قطعة من كتاب المقنع فى الفقه بالرواية الحنبلية فى شهر جمادى الآخرة سنة ٨٧٣ هـ وأجازه فى الرواية .

ولـــا استوطن الشيخ برهان بيت المقدس سنة ٨٦٧ هـ أنشد :

كذاك الهى قد حبانى بما حبا　　به الشيخ استاذى لقد نال سؤله

فحمـــدا وشـــكرا الهى وأنه　　دليـــل على أنى محب أخ له

واستمر بالقدس حتى حدثت فتنة بسبب كنيسة اليهود سنة ٨٧٩ هـ وسافر الى القاهرة ، ومنع من سكنى القدس ولبث بالقاهرة حتى سنة ٨٨٨ هـ ثم قدم بلد الخليل عليه السلام وأقام بها الى أن توفى فى السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٨٩٣ هـ شهيدا بمرض البطن وصلى عليه بمقام الخليل ودفن بزاوية الشيخ على البكاء ورزق ولدان أحدهما الشيخ العلامة شمس الدين أبو الجود محمد ولد بمدينة الخليل فى شعبان سنة

٨٤٥ هـ حفظ القرآن • والمنهاج وألفية بن مالك • والجزرية والشاطبية ، وأخــذ عن والده وعن جماعة من العلماء بمصر • أجلهم شيــخ الاسلام قاضى القضـــاة شرف الدين يحيى النواوى • والشيخ كمال الدين امام الكاملية ، وأخــذ العلوم عن الشيخ تقى الدين الشمنى الحنفى وتفوق وتميز وأجيز بالافتـــاء • وأعاد بالمدرســـة الصـــلاحية زمن الشـــيخ شيخ الاســـلام كمال الدين أبى شريف وله مؤلفات كثيرة منهـــا شرح الأجرومية • وشرح المقــدمة الجزرية وشرح مقدمة الهــداية فى علوم الرواية للجزرى وشرح معونة الطالبين فى معرفة اصطلاح المعــربين وجزء من شرح تنقيح اللباب لشيخ الاسلام ولى الدين العراقى وغير ذلك من التعاليق والفوائد ودرس وأفتى فى حياة والده وبعده مع وجود اجلاء العلماء ببيت المقدس واستمر طويلا الى أن قضى نحبه ولقى ربه ولم أعثر على تاريخ وفاته •

والآخر القاضى شهاب الدين أبو العباس أحمد ولد فى شهر رمضان سنة ٨٤٦ هـ حفظ القرآن واشتغل بالعلم على والده وعلى شيخ الاسلام كمال الدين بن أبى شريف وغيرهما وسمع الحديث وفضل وتميز وأعاد بالصلاحية زمن الشيخ ابن أبى شريف وتولى نيـــابة الحكم بالقــدس الشريف فى حياة والده وهو رجل خير متواضـــع • ولى مشيخة الختنية بتنازل والده له قبل وفاته وبقى بها حتى أدركته منيته رحمهم الله جميعا رحمة واسعة •

من علماء نابلس

الأستاذ عبد المغنى المنشاوى

أحمـــد بن ابراهيم

ابن محمد بن محمد بن عمر الشهاب بن البرهان النابلسى ، ثم الدمشقى الحنبلى ثم الشافعى نزيل القاهرة .

ولد فى عاشر رجب سنة احـدى عشرة وثمانمائة بنابلس ، وقرأ بها القرآن ، ونشأ كأبيه حنبليا ، وحفظ كتبا فى المذهب ، ثم اتصل بالبهاء بن حجى وصهره الكمال البارزى بدمشق ، واختص بهما ، فتحول بأمرهما شافعيا ، وتفقه على عبد الوهاب الحريرى ، وسمع الحديث عن ابن ناصر الدين ، واشـتغل بالنحو على العلاء القابونى بدمشق ، والنظام يحيى الصيرامى لمـا قدم عليهم نابلس ، وكثر تردده بين كل من دمشق والقاهرة ، وقطنهما وقال انه سمع المسلسل على القبانى ببيت المقدس ، كما سمع عليه غير المسلسل ، وسمع بالقاهرة على ابن بردس وعلى ابن الطحان وغيرهما قال البقاعى ــ ونظم الشعر غير أنه لم يكن يرفض ما يقع له منه ،

ولقد كان أحمد بن ابراهيم هذا ــ حلو الكلام سريع الجواب ، عذب النادرة ، نزيه المحاضرة .

اقترح البهاء بن حجى عليه أن يضمن قول الشاعر :

فوالله ما أدرى أأنت كمـــا أرى
أم العين مـــزهو اليهـــا حبيبهـــا

فقال أحمد بن ابراهيم ــ وكان ذلك أول شىء نظمه

أراك اذا ماست يومـــا على الـــزبى
تخـــر لك الورقا ويبـــدو وجيبهـــا

فوالله ما أدرى أأنت كمـــــــــا أرى
أم العين مــــزهو اليهـــــا حبيبهـــــا

ومما حكاه الشهاب أحمد بن ابراهيم هذا ، أنه كان بدمشق فى بعض حماماتها بلان كسيح يخدم الناس بالحلق والتغسيل ، وهو جالس . وأنه رأى فى منامه الشيخ رسلان أحد الأتقياء الصالحين ، فقال له يا سيدى ، انظر حالى فقال له : أنا لست فى هذا المقام ولكن سيدخل عليك اثنان فسلهما حاجتك ، ثم خرج من عنده فدخل عليه اثنان فاذا هما نبينا محمد وأبوه الخليل ابراهيم عليهما أفضل الصلوات وأزكى التسليمات فشكا اليهما حاله ، فقالا له : قم ، فقام بمشيئة الله وقد صار معافى صحيحا — قال الشهاب حاكى هذه القصة — ولقد كنت ممن رأوه كسيحا ، ثم رأيته بأمر الله صحيحا ، وقد سمعت هذا المنام من جمع لايحصى ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

هذا ولقد امتحن أحمد بن ابراهيم هذا الذى نترجم له وأهين من الأشرف قايتباى فى كائنة جرت بينه وبين أبى الحجاجى الأسيوطى — ولا عجب فصاحب السلطان كراكب البحر ، ان سلم من الغرق لم يسلم من المخاوف — هكذا نطقت حكمة الأولين ، يرحمهـــم ويرحمنـــا معهم رحمان الأولين والآخـــرين .

عبـــد الغنى النـــابلسى(١)

هو الشيخ عبد الغنى بن اسماعيل بن عبد الغنى بن اسماعيل بن أحمد ابن ابراهيم المعروف كأســـلافه بالنـــابلسى الحنفى الدمشقى النقشبندى أستاذ الأساتذة ، وجهبذ الجهابذة ، الولى العـــارف ، ينبوع العوارف والمعارف ، الامام الوحيد ، والهمام الفريد ، شيخ الاسلام ، وصدر الأئمة الأعـــلام ، صاحب المصنفات التى طافت المشرقين واحتوت المغربين ،

---

(١) سلك الدرر .

وتداولها الناس عربهم وأعاجمهم ، ذو الاخلاق الرضية ، والنعوت السامية ، قطب الأقطاب ، ولباب ألباب ذوى الألباب ، العارف بربه ، والفائز بحبه وقربه ٠

هيهات لا يأتى الزمان بمثله ان الزمان بمثله لبخيل

ولد عليه الرضوان بدمشق فى خامس ذى الحجة سنة خمسين وألف ، ونشأ فى بيئة يغذيها الصلاح وترعاها التقوى ، من أبوين صالحين فاضلين ، فشغله والده بقراءة القرآن ، ثم بطلب العلم ولما توفى والده لم ينقطع عن مدارسة القرآن ومزاولة العلم ، فقرأ الفقه وأصوله ، والنحو والمعانى والبيان والصرف ، والحديث ومصطلحه والتفسير كذلك ، تخرج فى كل ذلك على جمهرة من أفاضل العلماء لايكاد يحصى عديدهم ، وأدمن المطالعة فى كتب الشيخ محيى الدين بن عربى ، وكتب السادة الصوفية كابن سبعين والعفيف التلمسانى ، فعادت عليه بركة أنفاسهم وواتاه الفتح اللدنى فنظم بديعية فى مدح رسول الله عليه صلوات الله ، وبلغت من روعتها أن شك بعض المنكرين أن تكون من نظمه ، واقترحوا عليه أن يشرحها ، فكان شرحه بالغا قمة الابداع كنظمه ثم نظم بديعية أخرى ، وشرع يلقى الدروس فى الجامع الأموى ، وصدر له فى أول أمره أحوال غريبة وأطوار عجيبة — ظل فى داره سبع سنوات لم يخرج منها ، وقد أسدل شعره ولم يقلم أظافره وظل فى حال عجيبة ، وتناولته ألسنة الحساد بكلام لا يليق بأمثاله ، ثم شاء مولاه أن يخرج للناس خير مخرج ، فأشرقت به الأيام وانتفع بعلمه وببركته الأنام ، ووردت عليه أفواج الواردين ، وصار بنعمة الله ورضاه كهف الحاضرين ٠

وقد رحل الى دار الخلافة فأقام بها قليلا ، ثم زار البقاع وجبل لبنان ، ثم بيت المقدس والخليل وزار بعدهما مصر والحجاز ، ثم طرابلس الشام — وكان يدرس البيضاوى فى صالحية دمشق ٠

ومن تصانيفه عليه الرضوان — التحرير الحاوى ، بشرح البيضاوى ، وبواطن القرآن ومواطن العرفان ، منظوم على قافية التاء ، وكنز الحق

المبين فى أحاديث سيد المرسلين ، والحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية، وجواهر النصوص فى حل كلمات الفصوص لابن عربى ، ثم شرح ديوان ابن الفارض — وقد سماه كشف السر الغامض فى شرح ديوان ابن الفارض، وزهر الحديقة فى ترجمة رجال الطريقة ، واطلاق القيود فى شرح مرآة الوجود ، والظل الممدود فى معنى وحدة الوجود ومثله — ايضاح المقصود فى معنى وحدة الوجود ، ونهاية السول فىحلية الرسول ، وبقية الله خير بعد الفناء فى السير ، ولمعـان الأنوار فى المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار ، وتحقيق الذوق والرشف ، فى معنى المخالفة بين أهل الكشف ، وروض الأنام فى بيان الاجازة فى المنام وصفوة الأصفياء ، فى بيـان الفضيلة بين الأنبياء ، والكوكب السارى فى حقيقة الجزء الاختيـارى وأنوار السلوك فى اسرار الملوك ، وتحريك سلسلة الوداد فى مسألة خلق أفعال العباد ، والفتوحات المدنية فى الحضرات المحمدية ، وكشف النور عن أصحاب القبور ، وبذل الاحسان ، فى تحقيق معنى الانسان ، وكتاب علم الملاحة فى علم الفلاحة ، وتعطير الأنام فى تعبير المنـام ، وديوان الغزليات المسمى : خمرة بابل وغناء البلابل ، وعذر الأئمة فى نصح الأمة ، وجمع الاسرار فى منع الاشرار عن الظن فى الصوفية الاخيار ، وصدح الحمامة فى شروط الامامة ، وتحفة الناسك فى بيان المناسك ، وحلية الذهب الابريز ، فى رحلة بعلبك والبقـاع العزيز والحضرة الأنسية فى الرحلة القدسية ، وايضاح الدلالات فى سماع الآلات .

هذه بعض عشرات من مئات المؤلفات لهذا السيد الورع التقى العالم الفاضل الجليل ، ولابدع فقد كان عليه الرضوان عالما راسخ العـلم ، مبينا مالكا لأزمة البراعة والبيـان ، فلا عجب أن يشرف فى تآليفه على الاحسان ، وهو الذى يحذق الفقه ويتبحر فيه ويلم بأطرافه من جميع نواحيه ، كما كان يكشف عن أسرار التفسير ويحرره ، خبيرا بأبرع طرق الاستدلال ، ذا بديهة حاضرة مطواع ، وطبع منقاد .

اذا أخـذ القرطاس خلت يمينـه   تفتـح نورا أو تنظم جـوهرا

وكان مصون اللسان عن الشتم واللغو ، لا يخوض فيما لا يعنيه ، ولا يضطغن على أحد ، يحب الصالحين والفقراء ، ويختص طلبة العلم بلون ممتاز من التكريم ، ويبذل جاهه بالشفاعات الحسنة عند ولاة الأمور فتقبل ولا ترد ــ كما كان معرضا عن الشهوات لالذة له الا فى طلب العلم ، ونشره، كما كان رحيب الصدر كثير السخاء ، وله كرامات لا يحب أن تظهر عليه ولا أن تحكى عنه ، هذا مع اقبال الناس عليه ، وشدة حبهم اياه .

رأى فى أواخر عمره من العز والجاه ورفعة القدر ما لم ينله أحد فى عصره ، وقد أمتعه الله على امتداد عمره بقوة عقله ، فكان يصلى النافلة من قيام ، ويصلى التراويح فى داره اماما بالناس الى أن مات ، وكان يقرأ الخط الدقيق ويكتب فى تصانيفه بعد اذ جاوز التسعين ، شعره ينشد فى المحافل ويتغنى به ويسير مسير الشمس فى أفلاكها لأنه صادر من قلب شاعر مفعم بالايمان ، مزين بالاحسان واليقين .

فما أجدر نابلس ، وهى عروس مدن فلسطين ، بل هى البلد ذو الاسم الطنان بما تحتويه الآن من أحداث الزمان ، فى سبيل الدفاع عن الأوطان ، واقلاق راحة الاعداء فى كل مكان ــ أقول ــ ما أجدرها أن تفاخر بالنابلسى العظيم ، وهو أحد أبنائها الذين حركوا يد التاريخ لتسجل له ولبلده الخطير ، هذا السجل الخطير .

وللنابلسى ديوان شعر فخم ضخم ، صرح فيه بمذهب الصوفية فى وحدة الوجود ــ وهو مالا نوافقه على بعض ما احتواه ــ يغفر له ولنا الله .

احتوى هذا الديوان بين دفتيه ، زهاء ثلاثة عشر ألف بيت من الشعر ، استوعب فيها كل مذاهب الصوفية ، فى الخالق والخلق ، والوجود والفناء ، والانسان والكائنات .

وأرى أن نعقب تعقيب الاعجاب على بيت حكيم من شعر هذا الشاعر المتصوف الحكيم ، الذى يقول :

ولا تعجــل على ما لســت تــدرى
فانــك ســوف تدرى بالتـــأنى

فما أشبه ما يحتويه هذا البيت الحكيم ، من حكمة غالية ، بحكمة غالية تشبهها فى كلمة عالية ، سجلها الدكتور طه حسين فى أحد مؤلفاته ، وكلتا الحكمتين هنا وهنالك تهــدف الى غاية واحدة سامية ، وقد قرأت أيهــا القارىء الكريم البيت الحكيم ، وبقى أن تقرأ الحكمة التى تحتويها كلمة الدكتور طه ، حتى يتبين لك أن البيت والكلمة صنوان ـــ يهدفان الى هدف نبيل واحد فى هذا الميدان ـــ يقول الدكتور طه فى كلمته :

ان لله فيما يأتى من الأمر لحكمة بالغة ، يدركها الناس حينا ، ويقصرون عن ادراكها فى كثير من الأحيان .

وأن الرجل الرشيد لحرى أن يكتفى بما فهم وألا يحاول ادراك ما لم يفهم ،وأن يطمئن الى أن حكمة الله بالغة ، وأن قضاءه منته الى الخــير دائمــا .

أوراد النـــابلسى(١) :

لما كان السيد النابلسى على هذه الدرجة الرفيعة من التقوى والتصـــوف فقد رأينا فى غير افتيات على القارىء الكريم ، أن نورد نماذج رفيعة من أوراده الواصلة ، ينشئها من ذات نفسه ، ويســـتمد فيضها من ماعون قلبه ، أو يغترفها من المناهل العـــذبة للكتاب والسنة ، أو من آثار أئمة الأمة ، الذين يتأثر خطاهم ويمشى على نور هداهم ـــ عمدنا الى ايراد بعض هذه الألوان من الأوراد ، حتى يكون فى مكنة القارىء الكريم أن يجتلى الصورة كاملة القسمات واضحة الملامح لهذا الصوفى الجليل العظيم ـــ

---

(١) بلغ من عناية المعجبين بالنابلسى ان اخرجوا فى أوراده مؤلفا خاصا بهـــا اسمه : أوراد النابلسى .

ولا سيما أن بعض القادرين قدره ، قد أفردوا لهذه الأوراد كتابا خاصا ، تحفيا بها وتقديرا لقدر صاحبها .

قال قدس الله روحه وطيب ثراه ، مفتتحا بآى من كتاب الله ، تيمنـــا والتماســـا للبركات : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ـــ : ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ، ذلك الفضل من الله ، وكفى بالله عليما .

« من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا »

اللهم افتح مسامع قلبى لذكرك ، وارزقنى طاعتك وطاعة رسولك ، وعملا بكتابك، اللهم انك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه الا بك ، اللهم فأعطنا ما يرضيك عنا ، والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ـــ أن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ـــ الى آخر الآية الكريمة .

شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم ، ان الدين عند الله الاسلام .

اللهم انى أسألك رحمة من عندك ، تهدى بها قلبى ، وتجمع بها أمرى ، وتلم بها شعثى وتصلح بها غائبى ، وترفع بها شاهدى ، وتزكى بها عملى، وتلهمنى بها رشدى ، وترد بها ألفتى ، وتعصمنى بها من كل سوء .

اللهم أعطنى ايمانا صادقا ، ويقينا ليس بعده كفر ، ورحمة أنال بها شرف كرامتك ، فى الدنيا والآخرة .

اللهم انى أسالك اللطف فى القضاء ، ونزل الشهداء ، وعيش السعداء ، والنصر على الأعداء ، اللهم انى أنزل بك حاجتى ، فان قصر رأيى وضعف عملى ، فأسألك اللهم يا قاضى الأمور ، ويا شافى الصدور ، كما تجير بين البحور ، أن تجيرنى من عذاب السعير ، ومن دعوة الثبور .

ولقد عمر الشيخ عبد الغنى النابلسى عمرا خصبا مديدا مباركا فيه ، فلقد نيف عليه الرضوان على التسعين — ثم مرض فى السادس عشر من شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف ،وأسلمه هذا المرض الأخير ، الى مقره الأخير فاختاره الله الى جواره ، وصلى عليه فى داره ، ودفن فى القبة التى أنشأها فى حياته قبيل وفاته ، فعليه وعلى أشباهه من الصوفية الصالحين ، رحمات واسعات من رب العالمين •

عبد الحليم الشويكى (١)

انه عبد الحليم بن عبد الله الشافعى النابلسى ، الشيخ العالم اللوذعى العلامة الفاضل ، الأديب الأريب كان أحد الأفاضل النابهين ، رقيق الطبع ، ينظم الشعر الرائق فى غير تكلف ولا تعمل ، غزير الفضل موفور الذكاء ، فصيح العبارة واضح الأداء ، نشأ فى بلدته الشويكة وارتحل الى مصر قاصدا أن يسلكه الجامع الازهر فى سلك طلابه ، حتى يغترف من عذب شرابه ، علما وفضلا ، فتلقى العلم عن خير الأساتذة كالشيخ الجليل محمد ابن سالم الحفنى ، وأخيه الشيخ يوسف ، ومن لف لفهما وسلك سبيلهما علما وفضلا ونبلا ، فأفاد من جمهرة هؤلاء العلماء الفضلاء ، وأتقن وحصل وفاق وحاز قصب السبق ، واحتاز عنصرى العرفان والفضل ، وكان المجلى فى هذا الميدان على جميع الأقران •

ولقد أجازه الشيوخ على عادتهم ، وعاد الى وطنه وهو الظافر برضا الجميع ، ثم ارتحل الى الديار القدسية وأخذ بها الطريق عن الأستاذ العارف الشيخ مصطفى الصديقى الدمشقى ولازمه ردحا من الزمن حصلت له فيه بركته ، واستجيبت له دعوته ، ثم استوطن نابلس وبها استقر ما شاء الله أن يستقر ، ثم قصد الى عكا وحاكمها اذ ذاك الشيخ ظاهر العمر شيخ مشايخ بلاد صفد ، فأقامه عنده بعكا فظل بها يراجع المسائل

---

(١) سلك الدرر

التى يحفل بتحقيقها مذهب الشافعى ، وقد ظفر فى مقامه بعكا بما لم يحلم به اضرابه من ذيوع الفضل ونباهة الشأن وحسن الأحدوثة .

ولا عجب بعد ذلك الذى قدمنا أن يكون هذا المترجم له فريد عصره ونسيج وحده علما وأدبا حتى أقر الجميع بأن عصره الذى يظله لم يظفر بمثل علمه ولا بمثل فضله ، وكان له شعر قوى النسج ناضر الديباجة مضىء نضير ، عديم النظير

قدم دمشق وامتدح رؤساءها ، فبادلوه بمدحه اياهم اقبالا واجلالا ، ومن تآليفه رسالته فى علم الكلام ، رد بها على معاصره الشيخ أبى الحسن العاملى الرافضى فى مؤلف له أودعه بعض الدسائس الرافضية ، وله كذلك شرح على السنوسية قرظ له عليه علماء مصر لما وصلهم — ونماذج شعره كثيرة جيدة — نسوق منها للقارىء الكريم ما يكشف عن علو كعب الشاعر فى هذا الميدان العظيم .

أما لصبابتى فيك انتهاء
كما السلوان ليس له ابتداء
أما آن الوفاء لذى شجون
وفى بالعهود له وفاء
حليف جوى فلا ينسى فيسلو
فكيف به وقد عز العزاء
اذا ما الليل جن عليه شبت
لواعجه وزاد به العناء

وعلى هذا الاسلوب البديعى ، يطول نفس الشاعر الشويكى ، حتى يختم أبياته مادحا بقوله :

من له الأفضال والبر الوفى
ياشقا من عنه بالآمال مال

من نمتــــــه دوحــــة من هاشــــــم
في ريــاض المجــــد بالاقبـــــال قال

وقد كانت وفاة هذا العالم الفــاضل ، والأديب الاريب ، سنة خمس وثمانين ومائة وألف ، بمدينة عكا التى دفن بها ، عليه من مولاه شآبيب رحمة ورضوان •

محمــد الســفارينى

ابن أحمد بن سالم بن سليمان السفارينى النابلسى الحنبلى ، الشيخ الامام ، والحبر البحر النحرير الكامل الهمام الأوحد العلامة والعــالم العامل الفهامة ، صاحب التآليف الكثيرة والتصانيف الشهيرة أبو العون شمس الدين •

ولد بقرية سفارين من قرى نابلس سنة أربع عشرة ومائة وألف ، ونشأ بها وتلا القرآن العظيم ثم رحل الى دمشق لطلب العلم ، فأخذ بها عن الأستاذ الشيخ عبد الغنى بن اسماعيل النابلسى ، وشيخ الاسلام محمد بن عبد الرحمن الغزى وأبى الفرج عبد الرحمن بن محيى الدين وأبى المجــد مصطفى بن مصطفى السوارى والشهاب أحمد بن على ، وأخذ الفقـــه عن أبى التقى عبد القادر بن عمر التغلبى ، وأبى الفضائل عواد بن عبيد الله الكورى وغير هؤلاء كثير •

وقد حصل لصاحب الترجمة فى طلب العلم ملاحظة ربانية حتى حصل فى الزمن اليسير على ما لم يحصله غيره فىالزمن الكثير ، ورجع الى بلده ثم توطن نابلس واشتهر بالفضل والذكاء ودرس وأفتى وأفاد وألف تآليف عدة — منها شرح ثلاثيات مسند الامام أحمد فىمجلد ضخم وشرحنونية الصرصرى سماها معراج الأنوار فى سيرة النبى المختار ، فى مجلدين ، وتحبير الوفا فى سيرة المصطفى ،وغذاء الألباب ، فى شرح منظومة الآداب، والبحور الزاخرة فى علوم الآخرة ، وكشف اللثام فى شرح عمدة الأحكام ، ونتائج الأفكار ، فى شرح حديث سيد الاستغفار ، والجواب المحــرر فى

الكشف عن حال الخضر والاسكندر ، وعرف الزرنب فى شرح السيدة زينب، والقول العلى فى شرح أثر أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ، وقرع السياط فى قمع أهل اللواط ، والتحقيق فى بطلان التلفيق ، وتحفة النساك فى فضل السواك والدرر المصنوعات ، فى الأحاديث الموضوعات ، واللمعة ، فى فضائل الجمعة ، وتعزية اللبيببأحب حبيب ، وغير ما أشرنا اليه كثير، وأما الفتاوى التى كتب فيها فقد فاقت حد الاحصاء ، ولو جمعت لبلغت المجلدات .

وله عليه الرحمات من الأشعار فى المراسلات والغزليات والوعظيات والمرثيات الشى الكثير ، وعلى الجملة فقد كان السفارينى غرة عصره ، وشامة مصره ، لم يظهر فى بلاده بعده مثله ، وقد كان لثقة الناس به يدعى للملمات ، ويقصد لتفريج المهمات ، اذ كان عليه الرحمات ذا رأى صائب ، وفهم ثاقب ، جسورا على ردع الظالمين ، وزجر المفترين اذا رأى منكرا أخذته رعدة ، وعلا صوته من شدة الحدة ، واذا سكن غيظه وبر قيظه ، يقطر رقة ولطافة ، وحلاوة وظرفا وله الباع الطويل فى علم التاريخ وحفظ وقائع الملوك والأمراء ، والعلماء والأدباء وما وقع فى الأزمان السالفة ، وكان يحفظ من أشعار العرب العرباء والمولدين الشىء الكثير — وله شعر لطيف منه قوله :

الصبر عيل من القلا | والنفس أمست فى بلا
والجفن جف من البكا | والقلب فى شجوى غلا
وشكا اللسان فقال فى | شكواه لا حول ولا

أحمـــد البـــاقانى (١)

هو أحمد بن محمد الشافعى الباقانى النابلسى الشيخ العالم الفقيه ، المحدث الأصولى ، المفسر المتكلم النحوى المنطقى الأديب الفاضل .

كان من العلماء الأجلاء ، ولد فى سنة ثمان عشرةومائة وألف ، وأخبر أنه لا يعى نفسه الا فى تلاوة القرآن وتجويده ، والاعتناء بحفظه وحفظ المتون ، وتحصيل الفنون ، وحفظ القرآن العظيم ، على العالم الصـــالح الشيخ السيد محمد السفينى العباسى النابلسى الشافعى ، مع جملة من المتون ، كالجوهرة والسنوسية ومقدمة ابن الجزرى ، وغير ذلك ، وقـــرأ عليه طرفا من الفقه ، وقد تخرج عليه وبالغ فى نصحه وحثه على الطلب ، وكان من أكابر الصالحين ، الأجواد جامعا بين الشريعة والحقيقة وقد لقى الأكابر وأخذ عنهم العلوم ، وحضر معه المترجم له مجلس الشيخ محمـــد الخليلى ، المحدث المقدسى واستدعى منه أن يسمعه الحديث المسلسل بالأولية فأسمعه اياه بسنده ،ثم قدم المترجم له دمشق ومكث فيها مجاورا مدة ، وأخذ عنشيوخها ألوانا من العلوم ، كالتفسير والحديث والفقهوالأدب، والتصوف ومن بين الشيوخ الذين أخذ عنهم الشيخ على بن أحمد الدمشقى، قرأ عليه كتبا عدة فى الفقه ، ومنهم الأستاذ الشيخ عبد الغنى النابلسى ، الدمشقى ، حضر دروسه فى البيضاوى وفى صحيح مسلم ، وفى الشمائل ، وأجازه اجازة عامة ، بسائر مؤلفاته ومروياته وقرأ على الشيخ الياس الكردى نزيل دمشق جملة من الرسائل ، فى التوحيد وغيره .

ومنهم الشيخ اسماعيل بن محمد العجلونى ، حضر عليه وسمع منه طرفا من صحيح البخارى ، وحضر دروس الشيخ احمد بن على الدمشقى فى البخارى وأجازه اجازة خاصة ، ومنهم الشيخ مصطفى بن سوار المحيوى حضر دروسه فى البخارى وأجازه به ، وبغيره ، وقرأ فى الفقه والعربية على الشيخ محمد بن عبد الرحمن الغزى ، الدمشقى ، وحضر دروس الشـــيخ

---

(١) عن كتاب سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر .

موسى بن أسعد المحاسبى الدمشقى فى البيضاوى وغيره ، وقرأ عليه شرح الكافية للجامى بتمامه مع حاشية عصام الدين عليه ، كما حضر دروس الشيخ محمد بن محمود الجمال الدمشقى ، فى تفسير البيضاوى ، وقرأ على الشيخ عبد الرحيم المخللاتى الدمشقى رسائل فى المنطق وقرأ فى النحو على الشيخ حسن المصرى ، نزيل دمشق ، وحضر دروس الشيخ عبد الله البصرى الدمشقى ومنهم الشيخ محمد الكردى المعروف بأبى فيض ، نزيل دمشق ؛ قرأ عليه شرح مقدمة الجزرى ، للقاضى زكريا ، وقرأ على الشيخ محمد ابن عبد الغنى العجلونى نزيل دمشق وغير هؤلاء كثير ، قرأ عليهم وعادت عليه بركاتهم ، وتنبل وحصل وتفوق وعاد الى نابلس فخورا بها وفخورة به ، وقد لبث بها يغترف الجميع من بحار علمه وفضله ونبله ، وأخذ طريق السادة الخلوتية عن العارف الشيخ مصطفى بن كمال الدين الصديقى الدمشقى ولازمه ردحا من عمره ، وأثنى عليه العارف المذكور أعطر الثناء ؛ وأشاد بذكره ودقة فهمه ، وسعة اطلاعه ، وقد ألف المترجم له رسائل فى علوم المادة موفور النفع لقارئيها ، كما علق على شرح المنهاج لابن حجر تعليقا دقيقا بليغا فائقا .

والخلاصة أن هذا السيد المترجم له وهو الشيخ احمد الباقانى ، كان لونا ممتازا بين أخيار العلماء الفضلاء فى هذا العصر الأخير ، ولم يزل نهاضا بأداء رسالته النبيلة نحو العلم والتعليم حتى وافاه أجله المحتوم فى سنة خمس وتسعين ومائة وألف ، عليه موفور الرحمات .

محمد بن أحمد

ابن سعيد العز القدسى النابلسى ثم الدمشقى الحلبى المكى ، قاضيها الحنبلى .

ولد فيما كتبه بخطه فى سنة احدى وسبعين وسبعمائة بكفر لبد — من جبل نابلس — ونشأ به فحفظ القرآن ، ثم انتقل فى سنة تسع وثمانين لصالحية دمشق ، فتفقه بها على التقى بن مفلح وأخيه الجمال عبد الله ، والعلاء بن اللحام ، والشهاب الفندقى ، ثم انتقل الى حلب فى سنة احدى

وتسعين ، فحفظ بها عمدة الأحكام ، ومختصر الخرقى وعرضهما ، وتفقه فيها أيضا على الشرف ابن فياض ،وسمع بها على ابن صديق ، وناب بها فى القضاء وفى الخطابة بجامعها الكبير ، ثم رحل الى بيت المقدس فى سنة اثنتى عشرة وأقام به الى أثناء سنة ثمانى عشرة ثم الى دمشق أيضا ، وحج وجاور مرارا ، وسمع من الجمال بن ظهيرة ، وكتب له بخطه جزءا من مروياته ، ثم قطن مكة من سنة اثنتين وخمسين ، وناب فىامامة المقام الحنبلى بها بل ولى قضاء الحنابلة فيها بعد موت السيد السراج عبد اللطيف الفاسى •

وكان اماما عالما كثير الاستحضار لفروع مذهبه ، مليح الخط دينا ساكنا، ميالا للعزلة عن الناس ، مديما للجماعة مع كبر سنه ، متواضعا حسن الخلق ، عفيفا نزيها محمود السيرة فى قضائه تجاوبا مع حسن سيرته ، وله تصانيف منها الشافى والكافى فى مجلد ، وكشف الغمة بتيسير الخلع لهذه الأمة ، فى مجلد لطيف ، والمسائل المهمة فيما يحتاج اليه العاقد فى الخطوب المدلهمة ، وسفينة الأبرار الجامعة للآثار والأخبار فى المواعظ فى ثلاثة مجلدات وزعم بعضهم أنه حدث بالروضة النبوية الشريفة ، وأخذ عنه فيها الوفائى والسيد البغدادى ، وهو الساعى له فى قضاء مكة ، وأنه سمع من الحافظ بن رجب ، وهو آخر من روى عنه بالسماع ، والله سبحانه وتعالى أعلم بهذا كله •

مات محمد بن أحمد بمكة فى ليلة الخميس الرابع عشر من صفر سنة خمس وخمسين ، وصلى عليه من الغد ، ودفن بالمعلاة ، يرحمه ويرحمنا الله •

كلثوم بنت عمر

كلثوم بنت عمر بن صالح ، أم محمد ابنة الزين أبى حفص بن الصلاح النابلسى الأصل ، القاهرى الشافعى ،ولدت سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة بالقاهرة ، وسافرت مع أبيها لدمشق وهى مرضع ، فأقامت معههنالك نحو عشرين سنة ، وأسمعها الصحيح على أبى الحسن يوسف بن الصيرفى ، وقرأت القرآن كله ، وكتبت الخط الحسن ، ثم رجعت بعد وفاة أبيها الى

القاهرة فأقامت بها ، وحدثت بالصحيح ، وسمع منها الأئمة .

وكانت كلثوم بنت عمر هذه خيرة ذات فهم وعقل وتثبت ، ـ وجد بخطها هذه الأبيـــات

احفـــظ لسانك واســــتعذ من شره
ان اللســــــان هو العــدو الكاشح
وزن الكـــــلام اذا نطقــت بمجلس
وزنا يلــــوح لك الضـــياء اللائح
فالصـــمت من ســـعد الســـعود وانه
زين الفتى والنطق سعد الذابح (١)

توفيت فى رمضان سنة ست وخمسين وتسعمائة ـ عليها رحمة الله

حافظ الدين بن مكيه

هو حافظ الدين بن مكية النابلسى ، مفتى الحنفية فى الديار النابلسية ، أحد الجهابذة والأساتذة الأماثل البارزين ، والعلماء النابهين المجلين .

يقول عنه صاحب كتاب « سلك الدرر » : انه كان عالما عجيب الفضل، نقيها واضح الفقه ، أديبا ناصع الأدب ، ذا فكاهات جمة ، ومصنفات مهمة ، ومن أبرز مؤلفاته شرح الملتقى بالفقه : أزال به صعابه ، وأزال عنه سحابه ، وفتح أمام الطالبين بابه ، وله كتابة على منح الغفار ، مات وهو يعالج مسودتها فعكفت عليها عناكب الهجران ومزقت أوصالها تاركة اياها مبعثرة فى كل مكان .

ومن رائق نظمه ما أرسل به الى الشيخ عبد الرحيم اللطفى الحنفى ، مفتى القدس ـ فقد كتب اليه يقول :

حافظ الدين يبتغى الجــــود عفــوا
من أياديك وهى فى الجــود ســحب
كم همــى الغيث من نــداها فأثــرى
معــدم واعتــراه فى الجــدب خصب

---

(١) سعد الذابح : من سعود النجوم عند العرب

قــال قـــوم بأننى فيـــك أطـما
قلت كـــلا فان ذا البحـر عـــذبه
حــاش لله أن يبيت بضــــــيق
عنـــد باب الجمــال والــدار رحب

محمــد بن عبد القــادر

هو محمد بن عبد القــادر بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد المنعم الجعفرى النابلسى : وكنيته أبو عبد الله شمس الدين فاضل من فقهــاء الحنابلة من أهل نابلس بفلسطين يقال له « الجنة » لكثرة مافيه من الفضائل، صحب ابن قيم الجوزيه ، وتفقه عليه ، وأصيب فى آخر عمره بفقد ولد له ، ففقد بفقده عقله ، ومات بنابلس عن نحو سبعين سنة ، ومن كتبه طبقات الحنابلة ، اختصره من طبقات الأصحاب ، ومختصر كتاب العزلة للخطابى ، وتصحيح الخــلاف .

ويقول صاحب كتاب : شذرات الذهب : بعد ذكر المسلسل من آبائه وأجداده . انه ابن سرور الجعفرى النابلسى الحنبلى المعروف : بالجنة : الامام العالم العلامة ، ولد بنابلس سنة سبع وعشرين وسبعمائة تقريبا ، وسمع بها من الامام شمس الدين أبى محمد عبد الله بن محمد بن يوسف ، وسمع على الحافظ صلاح الدين العــلائى ، والشيخ ابراهيم الزيتاوى وغيرهما ، ممن لا يحصون كثرة ، ورحل الى دمشق فسمع بها ، وكان من الفضلاء الأكابر .

كان عليه الرضوان يلقب بالجنة لكثرة ما عنده من العلوم ، لأن الجنة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، وكان عنده ما تشتهيه أنفس الطلبة .

انتهت اليه الرحلة فى زمانه .

ويقول صاحب شذرات الذهب : ان له مصنفات حسنة ، منها مختصر طبقات الحنابلة ، وتصحيح الخلاف المطلق فى المقنع مطولا ومختصرا ، وجزء من تفسير القرآن العظيم ، كما شرع فى شرح الوجيز — ولقد كان ذا حظ حسن على امتداد عمره ، يتولاه الله وأمثاله بواسع رحمته ، ويدخله وقد كان الجنة فى الدنيا فسيح جنته .

الشهيد الشيخ عز الدّين القسام

أول من نظم العمل الفدائى فى الثورة الفلسطينية

الدكتور أحمد الشرباصى

هذا عالم من علماء الاسلام ، ورجل من رجال الشام — الشام الذى كان يضم سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن — وقد ضرب مثلا للعالم العامل ، والفقيه المجاهد ، والمسلم الباذل روحه فى سبيل وطنه وبلاده ، وهو المرحوم الشيخ محمد عز الدين القسام ابن الشيخ عبد القادر القسام شيخ الزاوية الشاذلية فى بلدة « جبلة » من أعمال اللاذقية فى شمال سورية ، و « جبلة » كانت قلعة مشهورة ، ويذكر ياقوت فى كتابه « معجم البلدان » أنها بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية ، ويروى أن معاوية هو الذى أنشأها وشحنها بالرجال .

وقد ولد الشيخ عز الدين سنة ١٣٠٠ هـ الموافقة سنة ١٨٨٢ م من أسرة كريمة لها مكانتها ، وقد نشأ فى مولده ، وتعلم مبادىء العلوم ، ولما بلغ أشده بعث به والده الى مصر ليتلقى العلم فى الجامع الازهر الشريف على كبار العلماء حينئذ ، من أمثال الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وبعد أن نال حظه من التعليم فى الأزهر الشريف عاد الى بلده « جبلة » واشتغل فيها بالعلم والتدريس ، والوعظ والارشاد ، وكان صاحب خطابة ولسن ، وحينما احتل الفرنسيون بلاد الشام — باستثناء الجزء الجنوبى منها وهوفلسطين والاردن — فىنهاية الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٨م، نادى الشيخ الثائر عز الدين القسام بأن الجهاد ضد المحتلين قد صار فريضة على المسلمين ، وترك كرسى التدريس والتعليم ، وجمع حوله مجموعة من تلاميذه ومريديه ، وحملوا سلاحهم ، وانضموا الى الثائرين السوريين

ضد الفرنسيين والمستعمرين ، وحمل الشيخ القسام البندقية ، وحارب مع هؤلاء الثوار ، وكان الى جوار ذلك يعظهم ويرشدهم ، ويقوى روح الجهاد فيهم .

واستمر هذا النضال ما يقرب من عامين ، ولكن الفرنسيين حشدوا قواتهم ومعداتهم ، واحتلوا سورية . وأخمدوا ثورتها ، وهدموا العرش الفيصلى فيها . واستولوا على دمشق العاصمة سنة ١٩٢٠ م فاضطر الشيخ القسام أن يغادرها الى فلسطين ليواصل كفاحه فيها ، فقصد الى مدينة « حيفا » ، وهناك أقام فى ضيافة الحاج أمين نور الله ، وتعرف برجال الجمعية الاسلامية فيها وعين مدرسا فيها ، كما تولى وظيفة الامامة والتدريس الدينى فى جامع الاستقلال بحيفا ، وتولى رياسة جمعية الشبان المسلمين فيها . واشترك مع الشيخ محمد كامل القصاب فى تأليف كتاب « النقد والبيان » وهو مطبوع .

ولكن الشيخ عز الدين القسام لم يكن رجلا يقبل لنفسه أن يقتصر على القاء دروسه الدينية ، ويترك وطنه الكبير الشام تنهبه أيدى الاعداء، أو يترك فلسطين العربية الاسلامية يسيطر عليها الانجليز لكى يقدموها اقمة سائغة لدخلاء اليهود ، تحقيقا للوعد المشئوم الجائر ، وعد بلفور الذى أعطته انجاترا لليهود فى الثانى من شهر نوفمبر سنة ١٩١٧ ، فكان اعطاء غير مشروع ممن لا يملك لمن لا يستحق .

لم يكن عز الدين القسام ممن يقبل لنفسه أن يكون شيخا منعزلا عن مجتمعه أو قومه أو وطنه ، بل كان من أولئك العلماء والأعلام الذين زانوا تاريخ الشام الحديث على قلتهم ، فنظروا الى أرض فلسطين على أنها جزء من صميم الشام ، وعلى أنها بقعة من بقاع العروبة والاسلام ، ومن هؤلاء على سبيل المثال الشيخ عبد الحفيظ أبو القبلات أحد علماء المسلمين، وأحد شهداء المجاهدين من أبناء فلسطين ، وهو الذى قاد فريقا من المناضلين فى سنة ١٩٣٦ بفلسطين ، وكمنت له ولرفاقه مجموعة كبيرة من الجنود الانجليز واليهود ، واشتبك معهم فى معركة ضارية ، وحينما سدد

بندقيته الى أعدائه لم ينطلق منها الرصاص ، فبادر الى اخراج خنجره ، واقبل يقاتل به أعداءه ، حتى تكبكبوا عليه ، وسقط شهيدا فى سبيل العروبة والاسلام .

ومن هؤلاء المجاهدين الشهداء أيضا الشيخ قاسم محمد الشايب أحد علماء المسلمين ، وأحد شهداء مجاهدى فلسطين وقد نال الشهادة فى معركة « بلعا » التى وقعت يوم ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٦ ، وحينما حملوا جثته لم يجدوا بين ثيابه سوى المصحف الشريف ، واثنى عشر مليما !! ..

ولقد ذكرت فى غير هذا المكان أنى كنت ذات يوم أتحدث الى مجموعة من الشباب عن واجبهم نحو قضية فلسطين المغتصبة ، وازالة احتلال الصهيونية للوطن العربى ، وكنت أقول لهم : انكم معقد الأمل وموطن الرجاء .

وبعد انتهاء الحديث أقبل على شاب راح يحاورنى فى غضب وانفعال ، وكان مما قال : ان الذى أعرفه أن صفحات الجهاد الميدانى والعمل الفدائى فى تاريخ فلسطين ، تخلو من ذكر أحد من العلماء . فقلت له : لقد عرفت شيئا وغابت عنك أشياء ، فان أول من نظم العمل الفدائى فى النضال الفلسطينى ضد الصهيونية والانجليز هو الشهيد المرحوم : الشيخ عز الدين القسام أحد علماء المسلمين .

فدهش الفتى وقال : هذا اسم لم أسمع به قبل اليوم ! .

ان عز الدين القسام يمثل وحدة النضال العربى من أجل فلسطين ، فعلى الرغم من أنه من شمالى سورية فقد رأى أن النضال من أجل فلسطين واجب مقدس عليه ، وحينما ضيق الفرنسيون عليه الخناق فى سورية ذهب الى أرض الاسراء والمعراج ليواصل منها ولها هذا النضال ، واستقر به المقام فى « حيفا » .

و«حيفــا» كما يقول ياقوت حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا ، وكان الصليبيون قد احتلوا حيفا فى عــدوانهم الأثيم ، ولكن البطــل الاسلامى صلاح الدين استردها منهم سنة ٥٧٣ هـ ، فهى اذن بلدة تعرف معانى المجاهدة من قديم ، ولذلك كانت من أسرع البلاد الفلسطينية فى الاستجابة الى روح المقاومة ضد الاحتلال البريطانى والبغى الصهيونى . فاشتركت حيفا فى ثورة سنة ١٩٢٩ بفلسطين ، وقدمت فيها عددا من الشهداء ، وذاق مرارة النفى عدد آخر من أبنائها .

وفى سنة ١٩٣٦ كانت حيفا مصدر التحريك لروح الثورة الفلسطينية ، ومصدر الدعوة الى الاضراب العام والمقاطعــة الشاملة ضد الســياسة البريطانية الغشوم فى فلسطين ، وقد عم الاضراب بعد ذلك فلســطين كلها ، وهو الاضراب التاريخى المشهور الذى بدأ يوم ٢٠ من ابريل سنة ١٩٣٦ . واستمر حتى شهر اكتوبر من العام المذكور ، أى أن الاضراب استمر ستة أشهر ، وهذا ما لم يعرف له مثيل فى تاريخ الاضرابات .

ولقد كانت حيفا أيضا معقلا من معاقل البطولة العربية خلال المســيرة الممتدة للثورة الفلسطينية ، وحاول اليهود منذ وقت مبكر أن يطوقوا حيفا بالمستعمرات الصهيونية تمهيدا لاحتلالها فى يوم من الأيام ، ولكن أهل حيفا أظهروا ضروبا من الشــجاعة الفريدة ، وحاربوا اليهود المعتدين من شارع الى شارع ، ومن بيت الى بيت ، وحاربوا الانجليز مع اليهود ، ولم يسلموا فى سنة ١٩٤٧ — وهى سنة بداية النكبة — برغم كثرة الضحايا وقلة السلاح ، وضخامة عدد الاعداء .

وظل أهل حيفا يحاربون اليهود بلا انقطاع خمسة شهور ، ورفض الانجليز اللئام أن يسمحوا للمجاهدين العرب أصحاب الديار بأن ينقلوا جرحاهم للاسعاف أو للعلاج فى المستشفيات ، واستمر أهل حيفا يجاهدون الى آخر لحظة ، ويرفضون تهديد بريطانيا ، ويقولون لقواتها : لن نسلم مدينتنا .

ونستطيع أن نقول ان هذه الروح البطولية التى تجلت من حيفا ترجع فى بعض أسبابها الى الشيخ عز الدين القسام الذى أخذ ينفخ فى عزائم أبنائها ، ويدفعهم الى مواقف البذل والفداء ، من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٣٥ حيث لحق بربه شهيدا كما سنعرف ، وترك من خلفه تلاميذ ورفاقا تابعوا الخطوات على طريق الكفاح والنضال •

كان القسام رجلا عالما يجيد الخطابة والتدريس والتوجيه ، وما كاد ينزل حيفا حتى نظم دروسا دينية فى أحد مساجدها ، ولكنه لم يكن يحصر دروسه فى مسائل فقهية مألوفة ، بل كانت دروسه فى الغالب استعراضا لمواقف البطولة فى الاسلام • وحثا على الجهاد العملى والقتال الصادق ضد المحتلين من الانجليز واليهود •

وكان للشيخ عز الدين القسام « لازمة » يختم بها دروسه ، وهى ترديده لقول الله تعالى مشيرا الى أعداء الله وأعداء رسوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين » •

وهو يذكر بقول الله تعالى : « انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على اخراجكم ، أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » •

وكثر رواد هذه الدروس التى يلقيها الشيخ عز الدين القسام باسم الدين ، داخل بيت من بيوت الله عز وجل ، وهو أحد المساجد فى حيفا ، وكانت هذه الدروس تفعل فعل السحر فى نفوس مستمعيها ، فهى تثيرهم ، وتحرك عواطف النضال وحب الاستشهاد فى نفوسهم ، وتحذرهم عاقبة التقاعس عن شرف النفير فى سبيل الله ، وكيف لا يخاف المؤمن تلك العاقبة الوخيمة ، وهو يسمع قول الله جل جلاله : « يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة،فما متاع الحياة الدنيا فى الاخرة الا قليل،الا تنفروا يعذبكم

عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا ، والله على كل شىء قدير ، الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين ، اذهما فى الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ٠ فأنزل الله سكينته عليه ، وايده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم ، انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » ٠

وأثمرت هذه الدروس ثمراتها ، فبدأ فريق من أبناء فلسطين ، ومن تلاميذ الشيخ القسام ، يستجيبون لتوجيهات الشيخ العالم ، ويطبقون نصائحه فى القيام بواجب الجهاد ٠

ومنذ أوائل سنة ١٩٣٤ أخذت نتائج تلك الاستجابة تظهر فى الاعمال البطولية الفدائية التى يقوم بها هؤلاء التلاميذ فى المثلث العربى الذى تكونه البلاد الفلسطينية الثلاث : جنين — نابلس — طولكرم ٠

حيث أخذ هؤلاء الأبطال يقومون بنسف القطارات، ومهاجمة المعسكرات الانجليزية واليهودية ، واغتيال الضباط الانجليز المحتلين ، وقتل أى خائن يتنكر لعروبته ، ويتعاون مع الدخلاء المجرمين ٠

وكانت أعمال هؤلاء الابطال تتم فى سرية عميقة وتنظيم دقيق ، ومع ذلك أخذت تشعل نار الحماسة والاقدام فى نفوس أبناء فلسطين ، فتكاثر عدد المنضمين الى حركة الشيخ القسام التى كان يمسك بزمامها ويحرك جنودها من وراء العمود الذى يجلس اليه للتدريس فى ذلك المسجد من مساجد حيفا ٠

وأقلقت ثورة القسام مضاجع بريطانيا ، وأفزعتها ، واتخذ جنودها اجراءات كثيرة للتسلح والاحتياط ضد ثورة القسام ورفاقه ، وجندت بريطانيا لذلك عددا كبيرا من قواتها ، ولكن الثورة القسامية — على الرغم من ذلك كله — ظلت تهدد قوات بريطانيا واليهود فترة طويلة ٠

ثم رأت هذه الثورة أن من الخير الاعلان عن نفسها بعد أن ظلت سرية مكتومة ردحا من الزمن ، فأعلنت عن نفسها فى اليوم الثانى من شـــهر نوفمبر سنة ١٩٣٥ بمناسبة ذكرى الوعد الأثيم « وعد بلفور » • ومضت الثورة القسامية فى طريقها تكتب كل يوم صفحة جديدة من صفحات النضال الفلسطينى الذى يجمع فيه أبناؤه بين الاستجابة لداعى الجهــاد فى سبيل الله ، والغيرة على حرمات الوطن العربى العزيز •

وتطلع الشيخ عز الدين القسام فرأى أن عمله قد أثمر ، وأن زرعه قد أينع ، وأن كلماته قد صنعت ما تصـــنع النار القوية فى صـــهر المعـــادن الكريمة ، وأن هذه الحركة النضالية قد أصبحت تحمل اسمه ، وينسبها الناس اليه ، وهنا سأل الشيخ الداعية نفسه هذا السؤال :

أيليق بك أن تقول للناس مالا تلتزمه ، وأنت قادر عليه • وأن تدفعهم الى مجال نضال خطير ولا تســبقهم اليه أيكون تلاميذك هناك فى الميدان — وبتوجيه منك — يلاقون المتاعب والمصاعب ، ويتعرضون لمشاق الجهاد حتى الاستشهاد ، وأنت هنا يا عز الدين تكتفى بالكلام ، وتقنع بأن تقبع فى المسجد خلف عمود من أعمدته ، وأنت قادر على حمل السلاح ؟ ان هذا لا يليق بك يا داعية النضال والجهاد •

وأعلن الشيخ القسام بين خلصائه أنه سينتقل من معبد المسجد الى معبد الميدان ، وأنه سينضم عمليا الى صفوف المجاهدين ليقودهم فى ساحة الشرف ، كما عبأهم روحيا فى ساحة المسجد ، ولعله تذكر حينئذ ما أورده الامام ابن كثير عند تفسيره قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، فقد ذكر فيما ذكر أن القائد أبا عبيدة بن الجراح كتب الى الخليفة عمر بن الخطاب يذكر له أن جموعا من الروم قد تجمعوا وهو يتخوف من كثرتهم ، فكتب اليــه عمر يقول : « أما بعد ، فانه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزلة شدة يجعل الله له بعدها فرجا ، وانه لن يغلب عسر يسرين ، وان الله تعالى يقول : يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » •

كما ذكر ما رواه الامام ابن عساكر فى ترجمة عبد الله بن المبارك من طريق محمد بن ابراهيم بن أبى سكينة ، وهو أن عبد الله بن المبارك كان يجاهد أعداء الله والاسلام . وكان مرابطا فى « طرسوس » سنة سبع وسبعين ومائة . فدفع الى ابن أبى سكينة رسالة طلب منه أن يحملها الى الفضيل بن عياض الذى كان فى ذلك الوقت مقيما يتعبد بجوار البيت الحرام فى مكة . وكانت هذه الرسالة تتضمن قول ابن المبارك للفضيل :

يا عابد الحرمين ، لو أبصرتنا	لعلمت أنك فى العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله فى باطل	فخيولنا يوم الصبيحة [1] تتعب
ريح العبير لكم ، ونحن عبيرنا	رهج [2] السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذب :
لا يستوى اغبار خيل الله فى	أنف امرىء ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت لا يكذب

وذهب ابن أبى سكينة ، ودفع رسالة ابن المبارك الى الفضيل وهو فى المسجد الحرام ، فلما قرأها سالت الدموع من عينيه ، وقال : صدق أبو عبد الرحمن ونصحنى ! .

ثم قال الفضيل لابن أبى سكينة : أأنت ممن يكتب الحديث ؟ .

قال : نعم .

قال الفضيل : فاكتب هذا الحديث مقابل حملك كتاب أبى عبد الرحمن الينا . وأملى عليه الفضيل الحديث المروى عن أبى هريرة أن رجلا قال : يارسول الله ، علمنى عملا أنال به ثواب المجاهدين فى سبيل الله . فقال : هل تستطيع أن تصلى فلا تفتر ، وتصوم فلا تفطر ؟ . فقال : يا رسول الله ، أنا أضعف من أن أستطيع ذلك . فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

---

(١) الصبيحة : الغارة والحرب .
(٢) الرهج : الغبار .

« فوالذى نفسى بيده لو طوقت ذلك ما بلغت المجاهدين فى سبيل الله ، أو ما علمت أن الفرس المجاهد ليستن فى طوله[1] فيكتب له ذلك الحسنات » ؟ ! .

وانتقل الشيخ عز الدين القسام الى الميدان ، وتحولت ثورته مع رفاقه الى حركة عصيان مسلح ضد حكومة الانتداب الانجليزية والعصابات الصهيونية .

وارتعدت فرائص الانجليز حين رأوا بطولات هؤلاء الفدائيين ، فجعلوا كل همهم أن يتخلصوا من الشيخ القسام العقل المفكر المدبر للثورة ، فجمعوا عددا ضخما من جنودهم ، وحاصروه مع رفاقه فى غابة على مقربة من « جنين » وجاهد الأبطال جهاد الصدق ، وقاتلوا فى ثبات حتى الموت ، ونال الشيخ القسام نعمة الشهادة مع فريق من زملائه ، بعد معركة ضارية فى اليوم الخامس والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٣٥ م . ودفن الشيخ القسام فى قرية « الشيخ » بجوار حيفا عليه رضوان الله .

وكان استشهاد القسام ورفاقه سببا فى اندلاع ثورة كبرى فى أرض فلسطين .

وشعرت بريطانيا بالخطر المحدق ، وأرادت أن تتفادى كارثة ستقع عليها ، فلم يمض سوى شهر واحد على استشهاد البطل الشيخ القسام حتى أعلن المندوب السامى البريطانى فى فلسطين أنه يعتزم تأسيس مجلس تشريعى فى فلسطين ، وأنه سيضع قانونا يمنع انتقال الأرض من أيدى أصحابها العرب فى بعض المناطق ، وأنه سيعمل على استبقاء جزء كاف من الأرض فى يد الأسرة لاعالتها .

---

(١) استن الفرس : عدا لمرحه ونشاطه ولا راكب عليه . ويستن المجاهد بسيفه : اى يخطر به وطوله : ـ بكسر الطاء وفتح الواو ـ هو الحبل الطويل يشد احد طرفيه فى وتد أو غيره ، والطرف الآخر فى عنق الفرس ، ليدور فيه ويرعى ولا يذهب لوجهه (النهاية) .

ومع أن هذه الوعود البريطانية العرقوبية الخادعة لم تنفذ ، كانت فى حد ذاتها دليلا على الأثر العميق الذى خلفه استشهاد البطل الشيخ عز الدين القسام .

وتعقب الانجليز جماعة من رفاق القسام ، وحكموا على أفرادها بالسجن ، وبعد انتهاء المدة المحكوم بها عليهم ، جاء الطاغية البريطانى « أندروز » حاكم لواء « الجليل » فأصدر أمرا اداريا بسجن هؤلاء عاما آخر فوق المدة المحكوم بها ، وكان هذا الضابط الخسيس أشد الانجليز تحيزا لليهود وقسوة على العرب ، فقرر المجاهدون الفلسطينيون قتله ، ونفذوا ذلك :

وترك القسام من ورائه رجالا أبطالا وفوا لرسالته ، ومنهم « أبومحمود الصفدى » المجاهد الفلسطينى ، وكان من جيش الجهاد المقدس الفلسطينى ، وكان يقود جماعة من المجاهدين الأبطال فى أوائل مايو سنة ١٩٤٨ م فى معركة عكا المشهورة ، وكان عدد رفاقه ثمانية وأربعين مجاهدا ، ومع ذلك خاضوا المعركة باقدام وثبات حتى نفدت ذخيرتهم .

واذا كان القسام قد ضرب مثلا فى الثبات وهو يجود بنفسه فى المعركة ، فانه قد أعطى فى ذلك القدوة لغيره ، فان المجاهد الشهيد عبد القادر الحسينى قد اقتدى بالقسام وهو ينال الشهادة فى معركة القسطل .

ولقد بقى من رفاق القسام رجال أطلقوا على أنفسهم اسم « جماعة القسام » وهؤلاء قد شاركوا فى العمل الفدائى البطولى حتى بعد النكبة المشئومة فى يونيه الأسود سنة ١٩٦٧ م ، ومنهم الشهيد « صبحى محمد ياسين » الذى أعلنت القيادة العامة لقوات « العاصفة » فى مساء اليوم التاسع عشر من شهر اكتوبر سنة ١٩٦٨ م أن جثمانه سيشيع الى القاهرة، وسيرافقه وفد من الشخصيات الفلسطينية للمشاركة فى وداعه الأخير ، وأعلنت نبأ استشهاده فى البيان التالى :

وقال الشاعر فؤاد الخطيب فى الشهيد القسام قصيدة منها هـذه الأبيـات :

حرم على أطراف «يعبد» [1] قائم ... فى «الطرم» [2] بارك حوله الرحمن
هبطته أكرم عصبة ، لو أنهـا ... سبقت لرتل مدحها القـرآن
ان الزعامة والطـريق مخـوفة ... غير الزعامة والطـريق أمان
أولـت عمامتـك العمائم كلهـا ... شرفا تقصر عنـدها التيجـان
وجعلت لاسم الشيخ أرفع رتبة ... نبـذت قديم عهودها الأوطـان
واليوم حين رأتك قد ذكرت بها ... زى الملوك وما ارتدى الفرسان
ما كنت أحسب قبل شخصك أمة ... فى بردتيه يضـمها انسـان
يا رهط عز الدين حسـبك نعمة ... فى الخلـد ، لا عنت ولا أحزان
شـهداء بـدر والبقيـع تهللت ... فرحا ، وهش مرحبا رضـوان

(۱ ، ۲) بلدان فى فلسطين .

من حطين إلى بيت المقدس

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

لن نكتب هنا سطورا نتغنى فيها بأمجادنا بقدر ما نكتبها لتكــون عظة لقومنا وعبرة لأعدائنا ، اذ كانت وقعة حطين ١١٨٧ م وقعة فاصلة فى حروب العصور الوسطى بين العرب والغزاة الصليبيين • وما لم تحدث معركة فاصلة مثلها فى قتال بين عدوين فان القتال مستمر حتى يفصل مثل هذه الوقعة بين المتقاتلين وتستقر الأمور على منتصر ومهزوم •

وكما كانت هذه هى الحال بين العرب وقيادة صلاح الدين من جانــب وغزاة الفرنجة الغربيين من جانب آخر فانها هى الحال نفسها بيننا نحن العرب وقيادة عبد الناصر من جانب وفلول الغزاة المتخيلين الذين تجمعوا تحت راية صهيون •

ولم تكن وقعة حطين الا وسطا فى أيام صلاح الدين ومن قبلها لقى نصرا وهزيمة ولكنه دأب وصبر واستمر كما ندأب نحن اليوم ونصبر ونستمر ، ومازال صلاح الدين كذلك حتى بلغ القمة من أيامه فى حطين ، ثم وجد بعدها انتصارات وانكسارات ولكنها لم تكن لها آثار هذه الوقعة التى دمغت أهل الخيال والطمع من الغزاة بخزى التاريخ •

لقد أراد صـــلاح الدين ومعه العرب وغير العرب فى زمانه ــ كما يريد قائدنا اليوم ومعه العــرب والشرق كله ــ أن يســبر غور المجد كله بعد مواقعه العديدة مع الصليبيين فى البابين ودمياط والاسكندرية ومرجعيون فنادى فى عسكره وعساكر النواحى ــ ومعظمهم من المتطوعين ــ أن

يجتمعوا لديه فى مرج صفورية ، وما كادوا يجتمعون تحت رايته حتى وطىء بهم طبرية ــ وطبرية نفسها التى نسمع ذكرها اليوم ــ فوطئها فى ساعة واحدة من نهار •

وشاهد الفرنجة مصرع طبرية الرهيب فتجمعوا والتأموا فى خمسين ألفا تحت راية « جوى » أحد قادتهم وملوكهم ، ورأى مجلس المشورة فى القدس المحتلة آنذاك بالفرنجة أن ينفر الغزاة الى صفورية لمواجهة جيش صلاح الدين وفى طبرية نفسها أو على مقربة منها •

وكان « ريموند » صاحب طرابلس والذى امتد سلطانه الى طبرية قد خرج منها قبل أن يوقع بها صلاح الدين • كان رجلا عاقلا منصفا رأى بعينه مصارع قومه اذا هم تلاقوا بذلك البطل فى أرض عراء فنادى فى الغزاة يخطب فيهم ويقول :

« انه لأمر ذو حماقة أن نخاطر بعساكرنا فى أرض قفر أمام صلاح الدين •• وان صلاح الدين لن يكتفى بطبرية ولكنه يريد أكثر منها •• وقد انسحبت منها بارادتى لكى أحمى معكم مدينة أورشليم •• لن يضرنا ضياع طبرية •• وكان انقاذها يهمنى شخصيا أكثر مما يهمكم أنتم يا أصحاب السمو الامراء •• فهى خاضعة لسلطانى وفيها امرأتى وأولادى وثروتى •• فأنا لا أرى ما ترون من وجوب مهاجمتها •• واذا خطوتم هذه الخطوة فانكم تكونون قد وقعتم فى الشرك الذى نصبه لكم صلاح الدين •• اذ ليس له من غرض الا أن يستدرجنا الى منطقة صحراوية قاحلة وفى شهر تموز (يوليو) حتى نهلك من الحر والعطش ومشافر السيوف » •

قال « ريموند » هذا القول ناصحا لقومه ولكنهم لم يستجيبوا • وهو الأمر الذى يحدث فى كل زمان ومكان فان الأصوات التى تمتلىء حكمة واتزانا لا تقابل من المخدوعين والمتخيلين الا بالرفض والاتهام والاستهزاء كما هو حادث اليوم لمن ينصحون لاسرائيل •

ولم يقبل قادة الفرنجة قول « ريموند » بل شكوا فيه واتهموه بالمودة لصلاح الدين فصدر الأمر لعساكر الفرنجة من فورهم الى الحرب واتخذوا طريقهم الى الحتف المقدور .

وضحك القدر فخيل لجيش الغزاة حين تحرك من صفورية قاصدا طبرية أنه جبال تتحرك أو أمواج بحر تثور ، ولكن صلاح الدين حين تحقق من آن جيش عدوه قد ســـار قرت عينه وابتهج قلبه ليقينه فى نفسه من أنه مقتدر ولثقته فى النصر ، وكان العرب معه كذلك فبات هو وجنده فى ليلة كليالى العيـــد .

وطالما تمنى صلاح الدين لقاء عدوه فى معركة مكشوفة تظهر فيها حقائق البطولة فلم يمكنوه من أنفسهم بل ظلوا يحاربونه من وراء الســـــدود والحصون فحانت للبطل الفرصة التى تمناها من عهد طويل .

والأمر نفسه مانراه من الجيش الصهيونى اليوم فانهم يقيمون السدود وينشئون الحصون ، وما الأمر الا الجبن والهلع الذى صورهم قرآننا فيه بقوله ــ وهو أصدق الأقوال ــ « لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر » فهو كما يشهد عليهم بالجبن يشهد بأنهم لن يقاتلوا من وراء هذه الجدر الا مجتمعين ليشد بعضهم أزر بعض حذرا من كل فرد منهم على حياته وحرصا منه على نجاته .

وسار جيش الغزاة الضخم يتقدمه قادته وفراعينـــه وتتوسطه لجـــة العسكر من مختلف الأمم وأشتات الطامعين ، وسار فى مؤخـــرته ملك أورشليم فى عسكر من الخيالة الممتلئين زهوا وبطرا والمسمون بضـــياف الغربا والهيكليين .

موكب لجب ولكنه أشبه بموكب الجنازة قد خيم عليه الأسى والجزع ، وما كادت مقدمته تلتقى بمقدمة صلاح الدين ثم يلتحم العسكران حتى حم القدر وتحققت أمنية صلاح الدين فأذاق الفرنجة طعم الموت المرير .

واتصلت أيام أربعة فى قتال ذى حيل وفنون ضاقت فيه على الأعداء وجوه الحيلة والخلاص فأسرعت المؤخرة وفيها ملك القدس والهيكليون والضياف لتدرك بحيرة الجليل فأطبق عليها العرب وانهالت عليها شآبيب السهام فدخل الملك خيمته وقد وثق هو ومن حوله من أشرار الجند بأن الموت قد أحاط بهم من كل جانب .

وكانت قضبان الأعشاب اليابسة التى تكسو أرض المعركة كلها والتى تحيط بجيش الغزاة قد ذوت وجفت من حرارة الصيف ففطن لها العرب ورموا عليها السهام المشتعلة بالنار فاشتعلت وتأججت فوقع الصليبيون بين عطش ونار ففروا فى جنون يطلبون الماء ولكنهم وجدوا العرب قد حالوا بينهم وبين بحيرة الجليل .

وأشرق اليوم الخامس على الأعداء وهم يصعدون فى التلال العسرة قرب البحيرة فى ضعف ووهن ومذلة وضيم واذا بعساكر صلاح الدين تسقط عليهم من أعلى التلال بصيحات ترعش المفاصل ، فاندفعوا اليأس الى الانتحار وجعل من لا تأكله النيران يلقى بنفسه على الحدائد والسيوف أو يلقى بسلاحه مستسلما لعسكر صلاح الدين .

* * *

وسرعان ما صار هؤلاء المعاندون متمزقين قطعا قطعا ، وجنود صلاح الدين تحيط بهم فرقة فرقة ، وجعلت كل قطعة منهم تذوب بين أيدى العرب ذوبا شديدا ، الا قطعة واحدة كانت تجمعت بكامل عدتها واعتصمت بتل هناك يقال له حطين بين طبرية على البحيرة وعكا على ساحل البحر .

وما أن تجمعت هذه القطعة حتى رأت نفسها محاصرة من العرب والموت يتلقفها من كل مكان ، وبلغ من قتل منهم فى ذلك اليوم أكثر من عشرة آلاف ، ولم ينج من الموت الا هارب أو أسير .

ووقع فى ذلك اليوم من الأسرى ملك بيت المقدس « جوى » وأمراء جبيل وطبرية والمقدمون فى الفرق وأشد الفرسان ، وكان الصيد الثمين

فى معركة حطين رجل مكابر حقود اسمه « أرنولد » وسماه العرب «أرناط» كان على الكرك والشوبك ــ فى موضع تحتله اسرائيل اليوم ــ وكان مع عداوته للاسلام جريئا على الشر ممزقا للعهود •

وجبل حطين الذى كسى بالدم فى تلك المعركة كان جبلا متواضعا سمى من قبل «جبل التطوبيات » اذ صعد فيه السيد المسيح عليه السلام حين أنذر البشر بديانة ذات سلام ومحبة فأكثر من قوله « طوبى •• طوبى » ولم يكن عليه السلام يثنى فى تطويباته الا على الفقراء والمتواضعين دون الطغاة والمتكبرين •

وقد عجب بعض رجال الكهنوت يومذاك من أن يكسى جبل التطوبيات بالدم ولكنها كانت نبوءة صادقة للسيد المسيح اذ نكس البطاشون عليه رءوسهم وأصبح الأمراء المختالون المعاندون فى ذلة الصعاليك ، وصارت الأسد التى تزأر كالأغنام المبددة فى كل واد ، وأقبل على حطين مصرع باغية متجبر لم يرع حقا ولم يخش الله فى ذمة برىء •

البرنس أرناط « رينولد دى شاتيون » صاحب الكرك كان قد أسر فى حرب من قبل صلاح الدين فى عهد نور الدين محمود بن زنكى وبيع فى حلب اذلالا له وانتقاما من شره ثم أطلقه شاريه بالفداء بعد وقعة الرملة فى فلسطين ، فكان جزاء المسلمين منه تكبرا وتجبرا وقسوة فكان اذا غلب وانتصر لا يخفر ذمة ولا يرعى عهدا •

وعقدت هدنة بينه وبين صلاح الدين على أن لا يتعرض أرناط لقوافل التجار والحجاج فنقض أرناط عقده وسطا على قافلة مصرية تريد الحج فأخذها ونكل برجالها وعذبهم فى المطامير والحبوس وتناولهم هم ودينهم ونبيهم بكلام بذىء •

وما أشبه اليوم بالأمس فكل اسرائيلى صهيونى مثل أرناط ينقض العهد ويعتدى على الآمنين وينكل بالنساء والأطفال والأبرياء ولا يعرف فى سبيل غرضه انسانية ولا شرفا •

وأقسم صلاح الدين حين بلغه أمر هذا الطاغية أن يقتله بيده لو أمكنه الله منه ، فأمكنه الله منه فى وقعة حطين ، ولكن صلاح الدين كان بطلا متعاليا لا يرى البطولة الظافرة أن تتحكم فى الأذلاء المقهورين فود لو أشفق به مع كل ما فعل فعرض عليه من الأمر ما يصلحه فأبى أرناط الا أن يكون متعجرفا لئيما فحل كتفه صلاح الدين بضربة من خنجره ثم أجهز عليه الحراس •

ولم يعتب أحد على جزائه فقد رآه كثير من المؤرخين أشد زعماء اللاتين مغامرة وأكثرهم تعديا ونقضا للعهود ، ورأى بعضهم أن مغامراته كانت الثغرة التى كانت سببا فى انهيار المملكة اللاتينية فى القدس أو عجلت فى انهيارها •

ومنذ قضت وقعة حطين على قوى الفرنجة التى تجمعت حول التل تخطت فى سرعة مذهلة ذلك المكان الى كل الأمكنة حول القدس من قريب ومن بعيد فسلمت حاميات القلاع وسقطت الحصون واستسلمت بلاد الساحل — ماعدا صور — وبات أمر بيت المقدس وشيك الوقوع •

وأعود فأقول : ما أشبه اليوم بالامس فى كل أجزائه وتفاصيله ، وحتى تقع معركة كحطين بين العرب واسرائيل فان العاقبة ستحدث الدلغاة الجدد بما تحدثت به من قبل • ولن ينجو المعتدون •

* * *

وأصبحت آمال صلاح الدين بعد حطين واستسلام الحصون والقلاع نية واجبة التحقيق ، فقد بلغ فى المعركة الفاصلة أوج عظمته وانتصاره كما بلغ الفرنجة حضيض انهزاماتهم ، ولفظت الحملة الصليبية الثانية الروح ومعها رمق الحملة الاولى وتطلعت عيون العرب والمسلمين مع عينى صلاح الدين تريد القدس •

واجتمعت فيالق المحاربين على القائد العظيم عند عسقلان — على طريق مصر حينذاك — واجتمع عليه ما يقرب من ستين ألفا عدا من

انتظم فى سلك المقاتلة من النساء والصبيان فقد حلا الجهاد ولمع المجـد ، ولعلها من أكثر الحروب العربية والاسلامية التى اشترك فيها النساء والصبيان،

وكان صلاح الدين رجلا متأنيا لا يخرجه الغضب الى حمق ولا النصرة الى بطر وزهو فرأى أن يكتب الى فرنجة القدس ليطلعهم على ما يرى ، وكان أهم مايشغله قدسية أورشليم ، فذكرهم بها ونبههم الى مكانها من كل النفوس ، وكتب اليهم يقول :

« اننى أنا نظيركم أيضا •• وأعرف أن أورشليم هى بيت الله •• ولست آتيا لكى أدنس قدسيتها بسفك الدماء •• فعليكم أن تدعوها •• وأنا أكفيكم أمركم وأهب لكم من الأرض بقدر ما تستطيعون أن تعملوا فيـــه » •

وانها لصيحة حق أرجو أن يستمع العالم كله لها اليوم أو لمثلها • وكان نداء صلاح الدين كنداء أحد الأنبياء لا يكذب ولا يلتوى ولو كان هناك فى داخل القدس عقلاء ومنصفون مثل « ريموند » خطيبهم قبل حطين لأرسل من فوره الى صلاح الدين بمفاتيح القدس وهللت لذلك أوروبا كلها ورجعت اليها سالمة فلول الغزاة المتخيلين •

ولا عبرة بقول قائل فى داخل القدس من الغزاة الجدد أو القدامى : ان القدس مباحة للأديان الثلاثة • فانه قول للتعمية باللســـان ولكن من ورائه غدر وعدوان •

والحق الذى يقال والعالم كله يعرفه ـــ ان اليهودية تنكرت للمسيحية ، ثم جاء الغزاة المتعصبون فى القرون الوسطى يتنكرون لليهودية والاسلام أما الاسلام فقد اعترف منذ جاء باليهودية والمسيحية وكل أديان السماء فهو بلا جدال آمن على قدسية أورشليم من كل الآخرين •

وحتى القول بتدويل القدس لتحكم بالمساواة فانه ليست فيه الا مساواة ظاهرة كاذبة لا تستل عداوة ولا تطفىء حقدا ، أما بقاء القدس فى أيدى العرب والمسلمين وهم يقرون بالأديان السماوية ويؤمنون بها فانه أمر أوسع وأصدق من كل مساواة •

وصلاح الدين ــ وكل قائد مسلم عرف منذ القدم الى اليوم ــ لا يقول الا ذلك ولا يفعل غيره ، وقد شهدت الأزمنة والتجارب بأن أماكن العبادة فى القدس ظلت آمنة مرعية مصونة فى العهود الاسلامية كلها .

الصخرة والمسجد الأقصى وكنيسة القيامة والقبر المقدس وبركة التعميد وجماجم القديسين وحائط المبكى ــ كل أولئك وغيره من المقدسات ظل فى العهود الاسلامية جميعها مصونا ، فيا ترى ماذا حدث اليوم لهذا المحمى المصون ؟ ! .

* * *

وجاء كتاب صلاح الدين الى فرنجة القدس فردوا عليه ــ كما ترد اسرائيل اليوم على العرب والمسلمين بل وعلى هيئة الامم ومجلس الامن ، فقالوا له قول المتغطرسين : « اننا لا نسلمك المدينة ولا نبيعها ! » .

وهكذا تماما بلغة اسرائيل نفسها اليوم : غطرسة وعناد وتفكير فى البيع والشراء . أما صلاح الدين وقادة اليوم من العرب والمسلمين فهم يحرصون على القدس من أجل الله وأديان السماء !

وحين لم يبق الا القتال فقد نشب على الفور وخرج الفرنجة أمام السور الذى ظل باقيا الى اليوم يحفظ المدينة العربية المقدسة ويصونها فلم يلبثوا غير قليل حتى أزالهم العرب عن مواقفهم ونقبوا السور وحشوا الأنقاب بالأخشاب ليشعلوا فيها النيران .

ورأى الفرنجة الأمر نافذا والهلاك واقعا فرعبوا وارتاعوا وشرعوا يطوفون شوارع المدينة لاجئين الى الصلوات والتضرعات وسكب الدموع ثم رأوا كل ذلك لا يجدى فاتفق رأيهم على طلب الأمان .

ولم يغلق صلاح الدين باب السلام وعمل بآداب القرآن الذى يقول : « فان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » فحين كفوا عن القتال وألقوا السلاح قبل مطلبهم على الفور ثم دخل القدس فى شهر رجب فى يوم جمعة وفى ليلة الاسراء .

وأبى صلاح الدين اباء الأبطال المترفعين أن يفعل بأهل القدس من الفرنجة كما كانوا قد فعلوا بمسلميها وعربها بل ويهودها أيضا من القتل والسبى يوم فتحوه ، وكان أول من برز يطلب لنفسه ولقومه الأمان بطريرك القدس فرحب به ولباه صلاح الدين .

ولا حاجة بعد ذلك لانسان أن يرجع الى ما هناك فى كتب التاريخ عن عقد الصلح وشروطه التى تسامح فيها صلاح الدين الى الحد الذى عاد عليه وعلى قومه باللوم والضرر من بعده ، ولكنه وفى بعهده وعقده كأحد الممتازين من أشراف الرجال .

وامتدت أيدى العرب والمسلمين الى ما صنعه العبث بالمقدسات كلها فأرجعت كل رمز الى مكانه يهوديا أو مسيحيا أو مسلما وأقيمت الجمعة فى المسجد الأقصى وتوجه المسلمون الى القبلتين وخطب قاضى صلاح الدين خطبة الفتح التى صار لها صدى بعيد فى التاريخ اذ جمع فيها « محيى الدين بن الزكى » كل تحميدات القرآن .

وشاع فتح القدس فى الساحل والبلدان فوفد المهنئون من كل بلاد العرب والمسلمين وجاءت رسل الملوك بالتهانى من خراسان والعراق وصاحب العرب السلجوقى بل ومن الروم أيضا فتلقى صلاح الدين تهانيهم ولقى بنفسه المهنئين ورد على رسائل الملوك شاكرا وبلغت به السماحة حدا عذر فيه من تأخر فقد تلقى نصر الله بصدر رحيب .

ودعت القدس أهل الأديان الثلاثة اليها ثم فتحت الطرق المسدودة الى بيت الله الحرام وبات السعى الى بيوت الله فى الشمال وفى الجنوب سهلا ميسورا آمنا ، وهو ما نرجوه اليوم ونعمل له تحت راية القائد العظيم وانا ان شاء الله لبالغوه لأنه نصر لكل أديان السماء .

القدس بعد صلاح الدين

الأستاذ أنور الجندي

اذا قدرنا ان الحملة الصليبية الأولى استولت على بيت المقدس عام ٤٩٢ هـ (١٠٩٩ م) وان المسلمين قد استردوه نهائيا عام ٦٤٢ هـ (١٢٤٤ م) فان الفترة التى بقى فيها فى أيدى الصليبيين لا تتجاوز مائة وتسعين عاما •

ومنذ وصلت الحملة الصليبية الأولى لم يتوقف كفاح المسلمين فى سبيل المقاومة لاستعادة المسجد الأقصى ، وقد تعددت المواقع بينهم وبين الصليبيين وحققوا عددا من الانتصارات حتى استطاع صلاح الدين قيادة الحملة الظافرة التى انزلت بالصليبيين أعظم الهزائم فى معركة حطين ، وقد تبعها صلاح الدين بالزحف على بيت المقدس واستعادته فى نفس العام ، فقد جرت موقعة حطين فى ٤ يونية ١١٨٧ م — عام ٥٨٣ هـ وفى ١٢ أكتوبر من نفس العام دخل صلاح الدين بيت المقدس وقد صادف ذلك يوم الجمعة ٢٧ رجب فى ذكرى الاسراء والمعراج فأقام الصلاة الجامعة لأول مرة فى بيت المقدس ولم يلبث صلاح الدين ان واصل معاركه الظافرة ، فسقطت المعاقل الصليبية فى يده واحدة بعد أخرى ، ولم يبق فى أيدى الصليبيين غير بضع مواقع أهمها من الناحية الاستراتيجية مدينة (صور) التى تأخر صلاح الدين فى الاستيلاء عليها عقب سيطرته على عكا •

وهذا حال دون السيطرة عليها من بعد ، اذ تجمعت فيها بقايا الصليبيين وجموعهم التى خرجت من مختلف مدن وحصون الأرض التى تحررت •

ولقد كان لاستيلاء المسلمين على بيت المقدس رنة فرح فى قلوب المسلمين ورنة أسى فى قلوب الصليبيين ، وهذا عجل بتحرك الحملة

الصليبية الثالثـة التى وصلت الى صور ١١٩١ م والتى قادها فردريك بربروسا امبراطور المانيا وريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا ، هذه الحملة التى حققت للصليبيين بعض النجاح ، فقد تمكنوا من دخول عكا التى صمدت فى وجههم عامين كاملين عجزوا خلالهما عن اقتحامها .

وكانت الخطة هى أن يتجه جموع الصليبيين الى محاصرة بيت المقدس ، وبذل ريتشارد فى سبيل ذلك جهدا متصلا ، غير أن خطته باءت بالفشل وقواته منيت بهزيمة ساحقة وكان صلاح الدين قد حشد قواته للدفاع عن المدينة المقدسة وأحكم تحصينها واستمات وجنوده فى سبيل رد الاعداء عنها ، فاضطر ريتشارد الى أن يطلب من صلاح الدين الدخول معه فى مفاوضات للصلح .

وقد شرط صلاح الدين شرطه الحاسم كقاعدة للمفاوضات فى عبارة واضحة دقيقة حين قال : ان القدس هو متعبدنا فلا ننزل عنه ولو لم يبق معنا غير رجل واحد .

وعلى أساس ذلك الشرط الواضح تم صلح الرملة ١١٩٢ م الذى أقر للصليبيين البقاء فى المنطقة الساحلية من صور الى يافا وجعل عسقلان للمسلمين خالصة وجعل اللد والرملة مناصفة بين المسلمين والصليبيين .

وقد نصت الاتفاقية على ان يكون للمسيحيين حرية الحج الى بيت المقدس دون مطالبتهم بأى ضريبة مقابل ذلك ، وبهذه المعاهدة أصبح الطريق مفتوحا الى الحجاز أمام المسلمين كما أصبح طريق المسيحيين مفتوحا الى بيت المقدس ولم يلبث صلاح الدين أن توفى بعد قليل سنة ٥٨٩ هـ (مارس ١١٩٣) م حيث بدأت مرحلة جديدة من تاريخ الحروب الصليبية وبيت المقدس انتهزت فيها أوربا فرصة الخلاف بين خلفاء صلاح الدين فبعثت بحملة جديدة فى محاولة لاسترداد بيت المقدس ولكن هذه الحملة منيت بالفشـل وباءت بالهزيمة ثم رأى الصليبيون ان يوجهوا حملاتهم الى مصر لأنها صاحبة القيادة السياسية والعسكرية فاتجهت

الحملة الصليبية عام ٦١٦ هـ (١٢١٩) الى دمياط ولكنها لم تحقق غرضا وباءت بالهزيمة والفشل .

غير أن أحد ملوك أوربا وهو الملك فردريك استطاع ان يتقدم نحو عكا فى خمسمائة فارس عام ١٢٢٨ م ومنها اتجه الى يافا فقام بتحصينها تمهيدا للهجوم على بيت المقدس ، ثم لم يلبث الاتفاق ان تم بين الملك الكامل ملك مصر وبين فردريك على عقد صلح مدته عشر سنوات على أن يقتسم المسلمون والصليبيون مدينة القدس ، فيأخذ الصليبيون بيت المقدس وبيت لحم والناصرة ، وان تكون سائر قرى القدس للمسلمين ولا حكم فيها للفرنجة وأن يكون الحرم بما حواه من الصخرة والمسجد الأقصى بأيدى المسلمين ولا يدخله الفرنجة الا للزيارة فقط ويتولاه أقوام من المسلمين ، الذين يقيمون فيه شعائر الاسلام كما اشترط أن يبقى بيت المقدس على ما هو عليه دون ان تجدد أسواره وقد ظلت مدينة القدس منذ ذلك الوقت مدينة مفتوحة ليس لها من الوسائل ما يكفل الدفاع عنها ضد أى محاولة تستهدف طرد الصليبيين منها .

ولكن الصليبيين لم يلبثوا ان عادوا لتعمير قلاع القدس وأبراجها مخالفين بذلك شروط الهدنة ومنتهزين فرصة وفاة الملك الكامل ، وكان ذلك تمهيدا لحملة صليبية جديدة وصلت الى عكا (٦٣٧ هـ) ١٢٣٩ م وكان ذلك فى الواقع أخطر تحد واجه المسلمين ، ولم يكن هناك من سبيل الا أن تتقدم قوة جديدة شابة بعيدة عن مجال الخلاف ، لتواجه الأزمة وتحول بين الصليبيين وبين تحقيق عدوان جديد .

وكانت هذه القوة ممثلة فى « الأتراك الخوارزمية » وهم حمس المسلمين الذين كانوا مشتتين فى شمال العراق والشام بعد وفاة سلطانهم جلال الدين الخوارزمى ، وقد انتهزوا فرصة دعوة السلطان الصالح أيوب لهم لمؤازرة قواته ، فاندفعوا صوب بيت المقدس عام ٦٤٢ (١٢٤٤ م) فعبروا الفرات فى عشرة آلاف فارس جنوب الشام ومنه زحفوا على بيت

المقدس وانقضوا على الصليبيين فسحقوهم وحرروا المسجد الأقصى من نفوذ الصليبيين نهائيا •

وبذلك يمكن القول أن بيت المقدس بعد أن حرره صلاح الدين لم يبق فى أيدى الصليبيين أكثر من ستة عشر عاما •

ولقد بقى بيت المقدس منذ ذلك الانتصار الذى حققه الخوارزمية فى أيدى المسلمين الى أن وقع الاحتلال البريطانى عام ١٩١٧ ودخل الجنرال اللنبى القدس وقال كلمته المشهورة : « الآن انتهت الحروب الصليبية » •

وما يزال هذا العمل من الخوارزمية المسلمين الحمس موضع تقدير التاريخ ، حيث صدر عن عواطف اسلامية خالصة ورد بيت المقدس الى المسلمين وهم خير من يصونه •

ولم يتوقف الخوارزمية اذ ذاك عن العمل بل اتجهوا بعد تحرير بيت المقدس فى جرأة وسرعة الى (غزة) لمؤازرة حلفائهم المصريين • حيث دارت معركة أخرى حاسمة بين القوات الاسلامية والقوات الصليبية انتهت بعد ساعات بالنصر المؤزر للمسلمين وفقد الصليبيون بضعة وثلاثين ألفا من جنودهم •

وتسمى هذه المعركة « حطين الثانية » من حيث مشابهتها لمعركة حطين الأولى من حيث هزيمة الصليبيين واندحارهم وفقدانهم كل ما حصلوا عليه من انتصارات وضياع زهرة فرسانهم وقادتهم • وقد وقعت معركة حطين الثانية فى عهد السلطان الصالح أيوب •

وكانت مقدمة لتصفية الوجود الصليبى كله فى فلسطين اذ سرعان ما اندفع الظاهر بيبرس بعد معركة « عين جالوت » التى هزمت فيها قوات التتار ، اندفع الى مهاجمة معاقل الصليبيين الباقية خلال عشر سنوات كاملة بين (١٢٦١ — ١٢٧١ م) فاستولى على قيسارية وارسوف وصفد ، ثم استولى على يافا وانطاكية وكانت من أقوى وامنع الامارات الصليبية الباقية •

ثم كان السلطان قلاوون وابنه الملك الأشرف من أبرز المجاهدين فى تصفية آخر قلاع الصليبيين ، وفى عهد الاشرف عادت عكا الى أيدى المسلمين ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) وكان يوم ١٧ جمادى الآخـــرة ٦٩٠ الموافق ١٨ مايو ١٢٩١ هو آخر يوم للصليبيين فى ساحل الشام ٠

وهكذا دالت دولة الصليبيين فى الشام وكان لذلك صدى بعيد فى العالم الاسلامى بوصفها آخر حلقات الغزو الصليبى للمشرق الاسلامى ٠

بيت المقدس
في الشعر الحديث

الأستاذ عبده بدوي

الذى لا شك فيه أن مدينة « بيت المقدس » بقيت دائما محتفظة بالاصالة والشموخ وبشىءغير قليل من الحزن .. بالاضافة الى هذه اللمسات الشرقية التى ظلت تقاوم دائما محاولات المسخ ، والتغيير التى كانت تهب عليها بين الحينوالحين !

وعلى كل فاذا أخذنا المدينة ــ بصفة عامة ــ فى اطار الشعر العربى ، نجد أن الشاعر العربى القديم لم يقف عند المدينة على أنها شاهد من شواهد الحضارة المستقرة ، أو « نصب تذكارى » لكل ما أبدع الانسان .. ذلك لأنه كان فى الغالب يعيش على أرض متحركة ، وبعبارة أدق على رمال متحركة وعلى أحداث متحركة ، فنحن نظلمه أشد الظلم ــ نظرا لظروفه البيئية ــ حين نتطلب منه شعرا فى المدينة باعتبارها مجتمعا حضاريا منظما .

اننا قد نجد عنده بعض الوقفات ــ داخل وقفات أخرى ــ على العوالم الصغيرة المفككة التى كان يعيش عليها ، ولكن الظاهرة التى تلفت حقا هى ظاهرة « الوقوف على الاطلال » ، بل ان الأمر يصل به الى حد «توريثها» فيما يلى من عصور لا تتعامل مع الاطلال والى حد الالتفات اليها بالقلب بعد أن تغيب عن العين على حد قول الشريف الرضى

فتلفتت عينى فمذ خفيت عنى الطلول .. تلفت القلب !

* * *

ونحن اذا تركنا مدن العالم القديم التى لم يلتفت اليها تماما ، ووقفنا عند المدن التى وضع العرب أسسها ، لا نحس أنهم كانوا يهتمون بشىء قدر اهتمامهم ببناء المسجد ، على نحو ما نرى من بنائهم « تونس » ، وعلى

نحو مانرى من تجمعهم فى الفسطاط ، ولعل ما يقرب هذا قول الشاعر « أبو قبان » فى قيسية بن كلثوم حين تنازل عن داره ليبنى عليها المسجد الجامع أو مسجد أهل الراية كما يسميه البعض ، فهو يقول

وبابليـــون قـــد ســـــــعدنا بفتحهـــا
وحـــزنا ــ لعمر الله ــ فيئا ومغنمـــا
وقيســــــية الخـــير بن كلثــــوم داره
أبـــاح حمـــاها للصـــــــلاة وســــلما
فـــكل مصـــــل فى فنـــانا صـــــلاته
تعـــارف أهـــل المصر ما قلت فاعلمـــا

ثم اننا يجب ألا ننسى انهم كانوا ما زالوا يتحركون لتسلم «نصيبهم» من الحياة ، وانهم فى عصورهم المبكرة قد حركوا ثبات الأرض ٠٠ قـــد حولوها الى جواد يرفع رجليه عن آسيا ، ثم يقفز فاذا به فى افريقيـــة ، ثم يخطو فاذا به فى قلب أوربا ٠٠ ثم بعد ذلك يواصل الرحلة فيما يشبه النزهة عبر بساتين الأرض !

* * *

والظاهرة العامة أننا حين نتأمل شعر الفتوح الاسلامية ، ثم نقف وقفة سريعة عند شاعرى العربية الكبيرين أبى تمام (وبخاصة شعره فى فتـــح عمورية) والمتنبى (وبخاصة شعره فى الاستيلاء على بعض أراضى الروم) لا نجد فى هذا اللون من الشـــعر نبرة الكراهية ، وانما نجد نبرة الزهـــو والوعيد ، كما لا نجد فى الشعر العربى بعد ذلك ــ بعيدا عن شعر العبثيات فى البيت والبيتين ــ ما يمكن أنيسمى بظاهرة « محاكمة المدن » على نحو ما نجد فى الشعر الافريقى مثلا ، حين نجد شاعرا عظيما كليو بولد سيدار سنفور لا يرى فى نيويورك الا عيونا من المعدن ، وابتسامات من الجليد ، وسيقانا من « النايلو » وأصواتا جوفاء لا معنى لها ٠٠٠ الـــخ ٠

على أن الظاهرة الغريبة حقا فى الشعر العربى ، والتى تذكر بظاهرة الوقوف على الأطلال هى بلا شك ظاهرة « رثاء المدن » فى الشعر العربى ، فالشاعر العربى الى حد ما لم يكن يلتفت الى المدينة القائمة قدر اهتمامه بالمدينة حين تسقط أو تنهار حضاريا ، ونحن اذا أخذنا مثالا واحدا على هذا وهو البكاء على سقوط غرناطة (٨٩٧ هـ — ١٤٩٢ م) نجد أن رثاء هذه المدينة لم يقف عند حد المعاصرين لها ، ذلك لأنا نجدها دمعة نواحة فى أجفان الشعر العربى ، وتنهيدة تظل ترتفع بمرارة من شعراء مثل أبى جعفر ابن خاتمة ، محمد بن يوسف الصنهاجى ، والشاعر الاسبانى فرنشيسكو فيلا سباسا ، والشاعر أبو الفضل الوليد طعمه ، وعدنان مردم .. الخ .

* * *

وعلى كل فنحن لن نجد فى الشعر الحديث — ولن نجد فيما سبق من شعر — تلك القصيدة الرحبة السامقة التى تتحدث عن مدينة بيت المقدس ،

وأنا أذكر هنا كلمة « بيت المقدس » لأنه الاسم الاسلامى الذى أطلق عليها منذ الفتح الاسلامى عام ٦٣٨م،أما اسمها قبل ذلك فقد كان أورشليم، ثم ايلياء ، ثم صار الاسم المسيحى لها القدس .

ومن الملاحظ أن أغلب الشعراء — ولعلهم جميعا — قد استخفوا فى شعرهم كلمة القدس ، على نحو ما نرى عند شعراء مثل عمر أبى ريشة ، والقروى والأخطل الصغير ويوسف الخطيب ، وفدوى طوقان ، ومحمود جبر ، وأبى سلمى

هل فى روابى القدس كهف عبادة
تحنو جوانبه على أحباره
خشب الصليب على الرمال مخضب
بدماء من نعموا بطيب جواره

(و)

ومشـــوا لفتح القــــدس فانفتحت لهــا
أبصـــــارهم عن عــالم مســــحور

(و)

يثــرب والقـــــدس منـــذ احتلمــا
كعبتـــانا ، وهــوى العــرب هوانا

(و)

احـــزنى مــن لوعــــة الذكـــــرى
وخـــلى القـــــدس تبــــكى

(و)

أنــــا مــن روابى القــــــــدس
وطــن الســـــنا والشــــمس

(و)

كيف الخليــل وكيف القـــــدس كيف اذن
نابلـــس والمـــاء يجــرى فى مغانيهـــا

ومن الملاحظ من تردد كلمة القدس فى العديد من القصائدالحديثة ، بل فيها جميعا ، أن المعركة حين حميت بين العرب واسرائيل ، وحين اسفرت اسرائيل عن مطامعها التوسعية لم يشغل الشعراء الحديث عن مدينـــة ، بقدر حديثهم عن ضرورة التشبث بالبقاء داخل الأرض الفلسطينية الكبيرة، فالمشكلة لم تعد مشكلة مدينة ، وانما أصبحت مشكلة وطن مضاع ، ودم مطلول ، ووجود مهدر ، ومن هنا كانت دعوتهم الحارة والعميقة الىضرورة البقاء فى الأرض حتى ولو كانت محتلة ، الى ضرورة التشبث بالتراب حتى ولو كان يتلون دائما بالدم ، وبالغيظ ، وبالكمد ! وما أعمق هنا صوت نازك الملائكة وهى تقول

يارمح اسرائيـــل مهمـــا ارتـــوى   من جنحه من روحــــه من منــــاه
يبقى ثرانـــا عـــربى الشــــذى   والضوى .. يبقى عربى المياه !

وفى ضوء هذا ســمعنا « فتحى قاسم » يقول فى قصيدة بعنوان هنــا جذرى

* سأبقى رغم اذلالى
وجرحى والأسى الممقوت
هنا فى حضن أجدادى
وأرضى والسنا الموروث
سأبقى رغم اذلالى ولن أرحل
هنا جــذرى ، وتاريخى ، وقصة حبى الأول
هنا وطنى
ولن أرحل

ويقول محمود درويش

* آه يا جرحى المكابر
وطنى ليس حقيبــه
وأنا لست مسافر
اننى العاشق والأرض الحبيبة

وسميح القاسم يعيب على صديق له أنه يعيش بلا جذور بعيدا عن الأرض فيقــول

* رسالتك التى اجتازت الى الليل والأسلاك
رسالتك التى حطت على بابى جناح ملاك
أتعلم ؟ حين فضتها يداى تنفضت أشواك
على وجهى وفى قلبى
أخى الغــالى
اليك هنــاك فى بيروت
اليك هنــاك حيث تموت
كزنبقــة بلا جــذر
كنهر ضــيع المنبــع
كأغنيــة بلا مطلــع
كعاصــفة بلا عمــر

.. اليك هناك حيث تموت كالشمس الخريفية
بأكفان حريرية !

وتؤكد فدوى طوقان ظاهرة التشبث بالأرض الفلسطينية بصفة عامـة فى قصيدة لها بعنوان « اغنيات صغيرة الى الفدائيين » فتقول

* كفانى أموت عليها وأدفن فيها
وتحت ثراها أذوب وأفنى
وأبعث عشـبا على أرضها
وأبعث زهره
تعبث بها كف طفل نمته بلادى
كفانى أظل بحضن بلادى
ترابا ، وعشبا ، وزهره !

ويحدد القضية أكثر الشـاعر توفيق زياد فى قصيدة بعنوان (من وراء القضبان » حيث يقول

هنا على صدوركم باقون كالجدار
نجوع . نعرى . نتحـدى
ننشـد الأشعار
ونملأ الشوارع الصخاب بالمظاهرات
ونملأ السـجون كبرياء
ونصنع الأطفال جيلا ثائرا وراء جيل
اذا عطشنا نعصر الصخرا
ونأكل التراب ان جعنا ولا نرحل
ياجذرنا الحر تشبث
واضربى فى القاع يا أصول !

* * *

من كل هذا نرى أن الشعراء ــ وبخاصة الشعراء داخل الأرض المحتلة قد رأوا المصيبة تعم ، ورأوا أن الخطر لا يتربص بمدينة « بيت المقدس » فقط ، وانما يتربص بالتراب العربى •• بالتراث العربى •• بالوجــود العربى ، ومن هنا نراهم يدورون بأجفانهم المليئة بالدموع والاشفاق على العديد من المدن العربية ، وعلى العديد من المناطق العربية •

ومن الملاحظ أنه بعد حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ وبعد أن أفاق الشــعراء من الصدمة ، رأيناهم يقفون وقفة خاصة عند سقوط هذه المدينة ، ورأينا هذه الوقفة منسوجة نسجا محكما من المشاعر الدينية مسلمة ومسيحية ــ وهو نفس الاتجاه الذى أكده من قبل على محمود طه حين نظر اليها على أنها كنيسة ومسجد •

وها هو ذا نزار قبانى يقول فى قصيدة بعنوان القدس

* بكيت حتى انتهت الدموع
صليت حتى ذابت الشموع
ركعت حتى ملنى الركوع
سألت عن محمد فيك ، وعن يسوع
يا قدس يا منارة الشرائع
يا طفلة جميلة محروقة الاصابع
يا واحة ظليلة مر بها الرسول
حزينة حجــارة الشــوارع
حزينة مآذن الجــوامع
يا قدس يا جميلة تلتف بالســواد
من يقرع الأجراس فى كنيسة القيامة
صبيحة الآحــاد ؟
من يحمل الألعاب للأولاد
فى ليلة الميــلاد ؟

والشاعر هارون هاشم رشيد يرسم لها صورة ملونة بالاسلام والمسيحية فى قصيدة كبيرة بعنوان القدس ، يقول فى افتتاحيتها •

* القــدس •• القــدس
ومآذن تهتف بالناس
الله أكبـــر •• الله أكبـــر
وحى على الصلاة •• وحى على الفلاح
الله أكبـــر •• الله أكبـــر
القدس وفى الناس المسره
القدس وحى على الصلاة

وقريب من هذا قول الشاعر حسن كامل الصيرفى فى قصيدة بعنـــوان القدس

* القدس مكان •• فى قلب العرب يصان
سيزف النصر اذان •• لله الأكبر كل أوان
وتدق نواقيس الرهبان •• لتحمى خطو الايمان
ويعود الى الدار السكان •• ويفج نـــداء
عالى الأصـــداء •• عاد الابناء
لتطهر أرض القـــدس يدان
ككســـاء الكعبة طاهرتان
من رجس الباطل والبهتان

ونجد هذه النبرة عند محمد عز الدين المناصرة ، وسميرة أبو غزالة

* * *

ومن الشعراء الذين نظروا الى القدس فى ضوء اسلامى خالص على احمد باكثير فى ملحمته الطويلة « اما نكون أبدا أولا نكون ابدا » فالى جانب أن الروح العام لهذه الملحمة هى ايقاظ الهمم ، والدعوة الى الارتفاع عن الحزن نراه يقول

المسجد الثالث قد ذل وهان
أسلمه الى اليهــود الأمريكان
عداوة منهم لدين المسلمين
ولكتاب المسلمين
ولانبعاث المسلمين
وحلقة جديدة من ذلك الزحف الصليبى اللعين

ومن العالم الدينى ، واجوائه الشعرية ، بل وقاموسه نجد محمود حسن اسماعيل يقول

سـمعت بهـا غضـب الأنبيـــــاء
مزامــــير ويـــل ، عتى صــــــداه
وأبصرت الواحهــم فى الفضــــاء
محــاريب تصرخ فيهــا الصــــلاة
وتســـبيحهم من ضـــفاف السـماء
يصـب على الأرض ســـخط الالــه
ويرمى عليهــا دخــان الشـــقاء
أعاصـــير حقـــد تؤز الحيـــاة

ونجد على هاشم رشيد يقول

وطار بى الشـــوق لأرض الســـلام
ومهبـــط الـوحى ومهـــد الكمــاه
نزلـت بالقـــدس وسرب الحمـــام
يبـث للأزهــار نجـوى هـــواه

جبـــالها الشـــــم بوجـــه الخطـــــوب
قـــد خضـــــبتها ســــائلات الـــدماء
ما هب فيهـــــا شــــــمال أو جنـــــوب
الا وكان الهـــــــدى ذاك الحـــــــداء

ونجد هذا الاتجاه الاسلامى النقى عند الشعراء على الجندى ، ومحمود غنيم وعامر بحيرى ، وعبد الله شمس الدين ، وقاسم مظهر ، وروحية القلينى ، وشريفة فتحى ، وعليه الجعار .

.. وبرغم ما قيل فى هذه المدينة الحزينة ، فان كل شعر قيل كان دون المأساة ، وكان دون نكبة العرب والمسلمين بهذه المدينة المقدسة ، أو بمدينة الصلاة كما يحلو للبعض أن يسميها .

فاذا عرفنا أن كل يهودى كان لا يمل من القولة المأثورة عنـــدهم والتى تقول :

« اذا نسيتك يا أورشليم فلتخذلنى يمينى ، وليشل لسانى فى فمى اذا لم أذكرك » فلا أقل من أن يقول كل مسلم فى كل يوم « .. يا بيت المقدس اذا نسيتك فلتخذلنى يمينى ، وليشل لسانى فى فمى اذا لم أذكرك ! »

فنحن معنا الحق . والله ولى الحق !

بطل حطين والقدس

الأستاذ على الجندى

بطـــل الشرق غـير خـاف بـــلاؤه
تزدهى أرضـــه بـــه وســـماؤه
صـــور من محـــاسن صـــاغها الله
مثـــــالا تبـــاركت أســـماؤه
رق ؛ حتى لقيـــل : نفحـــة روض
كللـت وشى زهـــره أنـــداؤه
وســـطا ؛ فالحمـــام أحمـــر لا يؤ
من بالليـــل والنهـــار لقـــاؤه
وعفـــا ؛ فالحيـــاة فاءت الى الجـــا
نى ، وفى مخلـب الـــردى حـوباؤه
لم تكن « يوسـف الجمـــال » ولـكن
يوسـف النبـــل ما حـــواه رداؤه
«ابن يعقـوب » « وابن أيـوب » فن
قـــدسى الى الســماء انتمـــاؤه
داء أعـــــدائه ، ويأتيهـــم منـــه
ـــ بـــلا منـــة عليهـــم ـــ دواؤه
والأســـارى ضـــيوفه ، وعريـــق
فى النـــدى من ضـــيوفه أسراؤه
أيـــدته خـلف العـــوالى ســــجايا
ه وأبلـــت قبـــل الظبـــا آراؤه
كيف يطـوى الخـذلان أعـلام جيش
البطـــــولات كلهـــا نصراؤه
كل غـــاز لم يـــدرع شرف النفـــس
هـــوى ـــ قبـــل أن يتم ـــ بنـــاؤه

لم يكن للصـــــليب خصــــــما ولــكن
حاملـــوه يــوم الــوغى خصــــماؤه

شـــــهروا السـيف والمســـيح برىء
من ســـــيوف يســــتلها أوليــــاؤه

فأتاهم تحت « العقاب » [1] حســــام
ليــس يخــزيه فى الهيــاج قضــــاؤه

فينــه الحـــق والشـجاعة والبـــأ
س غـــــراراه ، والســــــماحة ماؤه

من ســيوف الاســلام طابعـــه الخــا
لق لا « هنـــده » ولا « صــــنعاؤه »

عاث فيهــم : فهـــارب وأســــــير
وقتيـــــل تنـــــاثرت أشـــــلاؤه

يوم « حطــين » حــط كل رفيـــــع
منهم طـــاول الســـماك عـــلاؤه

هـــكذا البغى ليـــس ينـصر بــاغ
صــارع المعتــدى الأثيم اعتــــداؤه

وانثنى خاشــــعا وان راح مختـــــا
لا على قمــــة الســــحاب لــواؤه

لم ترنــح لــه المخيلــة عطفــــــا
وجميـــــل من ظافــــــر خيـــــلاؤه

حامى القدس ، أين « رتشارد » [2] لا أين
قضى « الليث » وانطــوى حلفــــاؤه

فارس « الغــرب » راعــه فارس « الشر
ق » ويــدرى فضـــل الفتى أكفــاؤه

---

١ — العقاب : الراية .

٢ — رتشارد : قلب الاسد قائد جيوش الصليبيين .

لم تخيب رجـــاءه حـــين رام الســـــلم
والحـــــــــر لا يخيـــب رجــــــاؤه

حامى القـــــدس ، ان شـــعبك أمـــسى
لأخس الشـــــــعوب حـــــل دماؤه

دنســـــت طهـــره شراذم صــــــهيو
ن وعاثت فى أرضــــــــه ســـــــفهاؤه

فنــــــأى عنـــــه كل روح ســــنى
وجلــت عن قبـــــورها أنبيـــــاؤه

هو يدعــوك مثل أمس لدفع الســـوء
عنـــه ! فهــــل يجـــاب دعــاؤه ؟

ان مثوى «البراق» و «الصخرة» العصماء
والمســـــجد الطهــــــور فنـــاؤه

هى ميراثنـــــا العـــــزيز علينــــا
من أبواتنـــا ، ونحـــن فـــــــداؤه

فى ظلال « الفيحـــاء » [1] يرقـــد حر
طال فى نصرة « الحنيف » [2] عنـــاؤه

كان من دينــــــــه عليـــــه رقيـــب
ورقيـــب على الرقيـــب حيـــــــاؤه

أشرف الفـــاتحين نفســـــا وســــيفا
من أقـــرت بفضـــــــله أعـــــداؤه

نزل « الخلد » [3] فى الحياتين لا ينسى
عظيـــم ولا يضــــــيع جـــــزاؤه

---

١ ـــ الحنيف : الدين الاسلامى .
٢ ـــ الفيحاء : دمشق الشام وبها قبره .
٣ ـــ الخلد : الخلود فى الدنيا ، وجنة الخلد فى الآخرة .

المسجد الأقصى والقدس

الأستاذ محمود جبر

لقد زرت أرض القدس قبلت تربها
وحييت (طه والمسيح ومريما)
وعزيت « موسى » فى ضراوات أمة
أرته و « هارون » العداء كليهما
تسابيح « قدسى » هل الى الله رجعة
تنير لنا جوا من الليل أظلما
وهل لأولاء النائحات مدافع
يرد لهن « القدس » أرغد أنعما
وفى جلوة الاسراء طوفت بالدنا
وطافت بى الذكرى لشعب تضرما
أرى المسجد الأقصى وقد بات حوله
من الهول هول ينطق اليوم أبكما
تراقص حول القدس شعب محزن
فهلا أحلتم عرش صهيون مأتما
أأتباع خير الخلق .. ماذا أصابنا
لنترك أرض الطهر للبغى مغنما
أأتباع طه والمسيح بن مريم
انترك للصهيون قدسا محرما
وسبحان من اسرى نسيتم نزولها
نسيتم حبيبا فيه صلى وسلما
نسيتم رسول الله والرسل حوله
يحيون من أضحى الامام المكرما
بنى العرب دين العرب بذل وعزة
وكل ذليل لا أسميه مسلما

هبــوا أنهم قد احرزوا الأمس جــولة
السـنا أقمنا اليــوم ما قد تهــدما
ومن قال جهــلا نكســة الأمس محنــة
أليــس يرانا اليــوم حســفا مدعما
تراكم نســيتم آيــة الله فيهمــو
تراكم نســيتم آيــة الله ••• كلما •••
ألا كلما قــد أوقــدوا نــار حربهــا
ســيطفئها من كان بالنــاس أرحمــا
ألا انهــم قــد حــان ميعــاد حينهــم
« بعثنا عليــكم » واقرأ الذكر محكمــا
« عبادا لنا كيما يســوءوا وجوهــكم »
فذوقوا من اليحمــوم مهــلا وعلقمــا
لســوف يرى الصــهيون تبديــد حلمهم
وأن الــذى خالــــوه ملــكا تصرما
فلســـطين أنا اليوم نعطيــك عهــدنا
بأنــك لن تلقى من العــــرب محجمــا
وأنا سألنــا الله تطهــير « قدســه »
وأنا سنفدى « القدس » بالروح والدما

الحقائق فى قضية
حائط المبكى

الدكتور محمود دياب

١ ــ اسرائيل تنقض الاتفاق الدولى الخاص بالمبكى .
٢ ــ القرار الدولى ١٩٣٠ يملك حائط المبكى للمسلمين .
٣ ــ اسرائيل تناهض قرارات الامم المتحدة ومجلس الامن .

لقد قرأت مقال الاستاذ حافظ محمود فى جريدة الجمهورية الذى دعا فيه الى البحث عن الوثيقة التى صدرت فى ديسمبر سنة ١٩٣٠ فى اللجنة الثلاثية التى كونتها عصبة الامم المتحدة للنظر فى ادعاءات المسلمين واليهود ملكية المبكى أو الجدار الغربى للمسجد الأقصى . ولقد حاولت عبثا أن أجد لها نصا فى جامعة الدول العربية ، لذلك اتصلت بالاستاذ موسى زيد الكيلانى فتفضل مشكورا واتصل بالدكتور محمد الفرا مندوب الأردن فى الامم المتحدة ومجلس الامن فتفضل مشكورا وارسلها الى ، ولقد بذل الدكتور الفرا جهدا كبيرا وعناء أكبر فى الحصول على هذه الوثيقة فى سجلات عصبة الامم السابقة .

فى هذا الوقت الخطير الذى يقوم فيه بأكبر مجهود لمواجهة الصهيونية العالمية فى عقر دارها ومناقشة ارثر جولد برج رئيس المجلس الصهيونى العالمى ورئيس الوفد الأمريكى فى الأمم المتحدة سابقا الذى يمثل أغنى قوى البشرية وأعتى قوى الصهيونية العالمية .

وهذا التقرير مكون من ٧٥ صفحة وضعته لجنة ثلاثية مكونة من السادة :

١ ــ اليل لوفجرين وزير سابق للخارجية السويدية مندوبا عن السويد .
٢ ــ تشارلس بارد نائب المحكمة العليا فى جنيف مندوبا عن سويسرا .
٣ ــ حفان كمين حاكم سومطرا الشرقية مندوبا عن هولندا .

ولقد عينت هذه اللجنة حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وشمال ايرلندا بموافقة مجلس عصبة الامم لتحقيق ما يدعيه المسلمون واليهود فى ملكية حائط المبكى أو الحائط الغربى للمسجد الأقصى •

وقد سمعت اللجنة دفاع المسلمين ودفاع اليهود وكانت جميع البلاد الاسلامية ممثلة فى لجنة الدفاع عن الاسلام وكان يمثل مصر فى ذلك الوقت اثنان من أعظم رجالاتها المشهورين بالدفاع عن الحق وعن الاسلام وهمـــا :

المرحوم أحمد زكى باشا المشهور بشيخ العروبة •
والمرحوم محمد على علوبة باشا المشهور بدفاعه عن القضايا الاسلامية •
ولقد انتهت اللجنة الى ما يلى :

١ ـــ ان المسلمين وحدهم هم الذين يملكون حائط المبكى أى الجدار الغربى للمسجد الاقصى لانه يكون جزءا لا ينفصل عن الحرم الشريف وهو ملك للأوقاف •

٢ ـــ يملك المسلمون وحدهم الطريق بين حائط المبكى وحى المغاربة وهو ملك للأوقاف التى تقرها الشريعة الاسلامية للأغراض الخيرية هذا والمبدأ العام هو ان حائط المبكى وطريقه الى حى المغاربة ملك للمسلمين وللمسلمين وحدهم فضلا عن المسجد الأقصى ثالث الحرمين الشريفين •

وانتهت اللجنةالى التفاصيل الآتية الخاصة بالعبادة :

١ ـــ أى معلقات خاصة بالعبادةمن جانب اليهود أو أشياء يحددونها للوضع بجوار الجدار بناء على توصية هـــذه اللجنة ، أو أى اتفاق بين الطرفين ، لا يبيح تحت أى ظرف ولا يعتبر له أى تأثير على وضع الملكية لحائط المبكى أو الطريق الملاصق له ، وعلى المسلمين أيضا ألا ينشـــئوا أو يبنوا أىبناء ضخم ليزيل أو يصحح أىبناءفى داخل ملكيةالوقف (منطقة الحرم الشريفوحىالمغاربة الملاصقلحائطالمبكى)بطريقيمنعوصول اليهود

الى الحائط أو عمل أى اقلاق أو تدخل لليهود أثناء زيارتهم للعبادة اذا أمكن تجنب ذلك • ولليهود الحق فى الذهاب الى الحائط الغربى بقصد العبادة فى كل الأوقات •

٢ ــ لا توضع عقبات أمام اليهود حين يحملون كتبا أو أشياء تستعمل عادة للعبادة كالأشياء التى تستعمل فى مناسبات خاصة أو لبس ملابس كانت تستعمل فى الماضى للعبادة •

٣ ــ المنع المؤقت ضد احضار الكائب والسجاجيد والحصر والكراسى والستائر وجر الحيوانات فى أوقات محددة على الطريق يجب أن يكون تاما قبل قفل الباب الغربى فى ساعات محددة وسيحترم حق المسلمين فى الذهاب والاياب بطريقة عادية ولا يمنع •

٤ ــ يمنع وضع أى خيمة أو ستائر ولو فى وقت محدد •

٥ ــ لا يسمح لليهود فى النفخ فى قرن الخروف المصنوع على شكل صفارة بجوار الحائط أو عمل أى اقلاق للمسلمين اذا كان من الممكن تجنبها وعلى المسلمين ان يمتنعوا عن الذكر فى المكان الملاصق للطريق حين عبادة اليهود أو عمل أى شىء يغضب اليهود ••

٦ ــ على الادارة أن تعطى التعليمات المناسبة لوصول اليهود الى الحائط بالنسبة للايام والساعات المحددة وعلى تنفيذ توصيات هذه اللجنة •

٧ ــ ممنوع على أى شخص أو اشخاص أن يتخذ من المكان الموجود بجوار الحائط مكانا للخطب السياسية أو المناقشات أو المظاهرات من أى نوع •

٨ ــ يجب الا يغير شكل الحائط لمصلحة المسلمين أو اليهود بوضع نقوش أو مسامير ويجب ان يبقى الطريق نظيفا ومحترما لدى اليهود والمسلمين • ويجب على المسلمين أن ينظفوا الطريق وعلى الادارة مراقبة ذلك•

٩ ــ ولاهمية الحائط التاريخية يجب ان يدار بواسطة الادارة وأى اصلاحات تقوم تحت اشرافها بعد استشارة المجلس الاسلامى الاعلى والحاخامية اليهودية •

١٠ ــ أى اصلاحات لا يقوم بها المسلمون فى الوقت المناسب تتخذ الادارة الوسائل اللازمة لعمل ذلك •

١١ ــ تعين الحاخامية موظفا يهوديا لتلقى التعليمات الخاصة بالحائط والطريق •

وفى ذلك الوقت وامام اللجنة العالمية لم يجرؤ اليهود على الادعاء باى ملكية للحائط او حى المغاربة ، وكانت كل دعواهم هو السماح لهم بزيارة الحائط ، وكان هذا السماح يعتبر منة وكرما من المسلمين ، والطريق الموصل لحائط المبكى هو ملك لوقف الافضل بن صلاح الدين الايوبى •

والآن قد نسف اليهود حى المغاربة ويحفرون صحن المسجد الاقصى توطئة لهدمه واقامة هيكل سليمان •

ولقد سلمت الاردن الدكتور برنار المقيم الدولى على الاثار العربية بمنظمة اليونسكو مذكرة طلبت فيها العمل على وقف الحفريات التى تجريها اسرائيل فى صحن المسجد الاقصى وفى عدد من الاماكن الاثرية الاخرى كما طالبت بترميم الاثار التى تعرضت للنسف الاسرائيلى •

ان اسرائيل فضلا عن كونها اعلى مراحل الاستعمار لا تحترم دينا من الاديان غير دينها فلا هى تحترم المسيحية ولا هى تحترم الاسلام بدليل البدء فى البحث عن هيكل سليمان الذى ازاله الرومان داخل المسجد الاقصى

توطئة لاقامة الهيكل مكانه رغم أن المسجد الأقصى ثالث الحرمين المقدسين لدى المسلمين •

ولا هى تحترم قرارات الامم المتحدة أو مجلس الامن أو هيئة التحكيم فى عصبة الامم •

اننى ارى ان مشكلة المسجد الاقصى مشكلة اسلامية •

ومشكلة فلسطين مشكلة عسكرية لا يحلها غير السيف •

السيف اصدق انباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب

إفساد بني إسرائيل

لجنة التعريف بالإسلام

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة الاسراء :

« وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ، فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار وكان وعـدا مفعولا ، ثم رددنا لكم الكرة عليهم ، وامددناكم بأموال وبنين وجعلنـاكم أكثر نفيرا ، ان احسنتم احسنتم لأنفسكم وان اسأتم فلها ، فاذا جاء وعد الآخرة ليسـوءوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ، عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ، ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا » الآيات ٤ ـــ ٩ .

لقد كثر حديث الناس فى العصر الحاضر عن هذه الآيات ، بسبب اغتصاب اليهود لأرض فلسطين العربية الاسلامية ، واقامتهم دولة اسرائيل فيها ، مع اعتدائهم الشرس المتكرر على الاراضى العربية ومع ان جميع المفسرين قد ذكروا ان مرتى الافساد المذكورتين فى هذه الآيات قد وقعتا قبـــل الاسلام وقبل بعثة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فقد حاول بعض الكاتبين أن يربط بين هـــذا الافساد وبين المرات الكثيرة من الافســاد التى قام بها اليهود ومازالوا يقومون بها فى الوطن العربى الى الآن .

ولعله من الخير والانصاف للحق والتاريخ أن نستعرض ما يمكن فهمه من جو هذه الآيات ومعناها العام ، ويحسن أن نعرف لمحة تاريخيـــة عن علاقة اليهود بأرض فلسطين فى غابر الأزمان ، فنحن نعرف من حديث القرآن الكريم فى سورة البقرة ان الله تعالى اختار « طالوت » ملكا لبنى اسرائيل ، وأن « طالوت » ـــ استطاع أن يحرز لهم النصر على « جالوت »

الذى قهر بنى اسرائيل من قبل ذلك ولقى جالوت مصرعه على يد داود ، وتنظر فى ذلك الآيات الكريمة فى سورة البقرة من الآية رقم ٢٤٦ الى الآية رقم ٢٥١ ٠

واستمر طالوت ملكا على بنى اسرائيل سنين ، ثم مات سنة ١٠٥٥ ق٠م ، وتولى الملك بعده داود قرابة أربعين سنة ، ثم جاء بعد داود ابنه سليمان الذى توفى سنة ٩٧٥ ق٠م وفى عهد داود وسليمان قوى شأن بنى اسرائيل، وكثرت أموالهم وأولادهم ، وجاء بعد سليمان ابنه « رحبعام » الذى كثرت فى عهده الاضطرابات والفتن ، كما أدى الى انقسام المملكة الى شطرين : الأولى مملكة يهوذا وعاصمتها « أورشليم » وملكها هو « رحبعام » والاخرى هى مملكة اسرائيل ، وعاصمتها السامرة ، وملكها « يربعام » أخو « رحبعام » ٠

وقد قضى « بختنصر » على مملكة يهوذا سنة ٥٨٨ ق٠م ، كما قضى « سرجون » ملك آشور على مملكة اسرائيل سنة ٧٢١ ق٠م ، ولكن حدث أن حارب « قورش » ملك الفرس « بختنصر » ملك بابل ، وبعد انتصار قورش اذن لليهود بالعودة الى اورشليم ولكن قسما منهم لم يعد ٠

وجاء الاسكندر المقدونى سنة ٣٣٣ ق٠م ، وازال حكم الفرس ، وحينما مات الاسكندر بعد ذلك بعام قسمت مملكته بين قواده ، فصارت أورشليم من نصيب بطليموس ملك مصر ٠

وفى سنة ٦٣ م استولى الرومان على أورشليم ، وظلت حتى سنة ٦١٤ حيث استولى عليها الفرس ثم عادت الى الرومان سنة ٦٢٨ ، ثم فتحها الاسلام فى عهد عمر بن الخطاب فى السنة الخامسة عشرة للهجرة (سنة ٦٣٦ م) ٠

وبعد هذه اللمحة التاريخية نستعرض تفسير الآيات بلا اعتساف :

١ ــ يقول الله تعالى : « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا » .

والمعنى قضينا الى بنى اسرائيل فى كتابنا « التوراة » المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام ، والذى اشارت اليه السورة فى الآية السابقة فقالت : « وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا » واعلمناهم أنهم سيقع منهم افساد كبير فى أرض الشام مرتين ، وانهم سيعصون الله تعالى ، ويخالفون امره ، ويتكبرون على طاعته ، وافساد اليهود متعدد الالوان والجوانب ، فهم عصوا موسى ، وحرفوا التوراة ، وقتلوا الانبياء مثل زكريا ، ونشروا الرذائل بينهم ، ولم يتناهوا عن منكر فعلوه ،ومجموع هذه الجرائم يسهل القول بأنه المراد بالمرة الأولى للافساد .

ولعل هذا الاخبار من الله تعالى كان اشعارا بأن الله سيعاقبهم على افسادهم ، وبذلك يحذر العقلاء أن يقدموا على الافساد ، ويحذر أهل العظة والعبرة أن يفسدوا كما أفسد هؤلاء ، وفى هذا الاخبار أيضا تعريض لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولمن يأتى بعدهم ، انهم ان استمروا فى الافساد ــ كشأن أجدادهم ــ فسيصيبهم ما أصاب اسلافهم من عقاب الهى رادع عادل .

٢ ــ ثم يقول الله تعالى : « فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا » .

والمعنى انه اذا حل موعد عقابكم ايها المفسدون من بنى اسرائيل على مرة الافساد الأولى سلط الله عليكم عبادا من عباده ــ وكل الناس عباد الله ــ فيهم قوة وفيهم بطش ، فيدخل هؤلاء العباد على بنى اسرائيل . ويترددون بين مساكنهم وديارهم ، ينتقمون منهم ويخربون ديارهم ، ويؤدبونهم التأديب الرادع ، لأن كلمة « جاسوا » معناها : ترددوا أى قتلوا ذاهبين وعائدين ، وكأنهم فى ترددهم يبحثون ويتأكدون : هل

تركوا احدا دون قتل أو عقاب . وقيل ان كلمة « جاسوا » معناها : قتلوا ، وعلى هذا القول فالمعنى واضح صريح .

والراجح ان المراد بهؤلاء العباد الأقوياء الأشداء الباطشين هم جالوت وجنوده الذين اشار اليهم القرآن الكريم فى سورة البقرة ، ولا يقال ان كلمة « عباد » تفيد أنهم مؤمنون صالحون ، لأن كلمة « العباد » فى لغة القرآن تطلق على البر والفاجر ، وعلى المؤمن والكافر ، ومن اطلاقها على غير الصالحين قول الله تعالى فى سورة يس : « ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون » الآية ٣٠ . وقوله فى سورة النساء : « وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا » الآية ١١٨ . وقوله فى سورة الاسراء : « وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا » الآية ١٧ . وقوله فى سورة الفرقان : « وكفى به بذنوب عباده خبيرا » الآية ٥٨ .

وهناك نص تاريخى ثابت يدل على ان هؤلاء الذين جاسوا خلال الديار كانوا قبل الاسلام ، وهذا النص وارد فى وصية عمر بن الخطاب لقائده سعد بن ابى وقاص ومن معه من الاجناد ، ففى هذه الوصية يقول عمر :

« ولا تقولوا : ان عدونا شر منا ، فلن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى اسرائيل ــ لما عملوا بمساخط الله ــ كفار المجوس ، فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا » .

٣ ــ ثم يقول الله تعالى : « ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا » .

والمعنى أن بنى اسرائيل ارتدعوا بعد هذا وندموا ، ونفذوا الاوامر التى وجهت اليهم وكان ذلك بتوفيق من الله تعالى وفضل منه عليهم ، فأعاد الله اليهم القوة والغلبة ، ووهبهم الأموال والبنين ، وجعلهم أكثر عددا من ذى قبل .

ويظهر أن هذا كان فى عهد داود وسليمان ، والقرآن يشير الى هذا فى سورة البقرة حين يقول : « ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ

علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت ، وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين » الآيتان ٢٥٠ و ٢٥١ .

ولقد كان الواجب على بنى اسرائيل امام هذا الفضل الالهى المتكرر أن يستمسكوا بالحق وان يظلوا على الوفاء ، ولكن هيهات .. وكان الواجب ايضا على سلالتهم فى عصر سيدنا ورسولنا محمد عليه الصلاة والسلام أن يؤمنوا بهذا الرسول الكريم الذى جعله الله خاتما للنبيين ، وأرسله كافة للناس بشيرا ونذيرا ، وجعله رحمة الله للعالمين ، ولكن هيهات . .

٤ ــ ثم يقول الله تعالى : « ان احسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وان أسأتم فلها ، فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، وليتبروا ما علوا تتبيرا » :

والمعنى هو أن الله تبارك وتعالى يقرر ويخبر بأن من استمسك بالاحسان فى الاعتقاد والعمل والقول كان ثواب ذلك عائدا الى نفسه ومفيدا له ، ومن أساء فعليه عقاب اساءته ، وهذا تذكير وتبشير من جهة ، وتخويف وتحذير من جهة أخرى .

ولكن بنى اسرائيل لم يحفظوا العهد ، ولم يقدروا النعمة ، فعادوا الى الاساءة والافساد مرة أخرى ، ومن مظاهر هذا الافساد استحلالهم محارم الله ، وأكلهم الربا وارتكابهم المخازى والآثام ، فسلط الله عليهم عدوا يذلهم ، حتى ظهرت آثار هذا الاذلال على وجوههم ، ويدخل هذا العدو المعبد « وهو المسجد الأقصى فيما بعد » فاتحا قاهرا لهم ، كما دخله أعداء بنى أسرائيل من قبل ، ويدمر هذا العدو ما يصل اليه ويسيطر عليه تدميرا قويا شديدا .

وهذا العدو الذى سلطه الله عليهم هذه المرة هو فيما يبدو « بختنصر البابلى وقد غزاهم بختنصر وجنوده ثلاث مرات ، فى السنوات ٦٠٦ ــ ٥٩٩ ٥٨٨ ق م ولكنه فى المرة الأخيرة أشاع فيهم التقتيل والأسر والتدمير .

ويروى فى بعض كتب التقرير أن «صحابين» أو «سنحاريب» ملك النبط اشترك مع بختنصر فى هذا الغزو • ويجوز أن يكون العدو الذى سلط عليهم هذه المرة هو « تيطوس » وجنوده من الرومان • وليس هناك ما يمنع أن يكون الأعداء الذين سلطهم الله على بنى اسرائيل بعد افسادهم الثانى هم البابليين والرومان معا ، وان تفاوتت مراحل الانتقام وازمانها •

٥ ــ ثم يقول الله تعالى « عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » : ــ

وكلمة « عسى » هنا يقول عنها المفسرون أنها للرجاء ، والرجاء هنا ليس معناه رجوع الدولة اليهم وانما هو لبيان ان رحمة الله تعالى تدرك الطائعين المستقيمين التائبين الصادقين من عباده •

والمعنى : لعل ربكم يرحمكم يا بنى اسرائيل ويعفو عنكم ، ان تبتم وأخلصتم الطاعة ، وتركتم الافساد والانحــراف والتحريف ، فالذنب يستدعى البلاء ، والمغفرة ترفع النقمة ، وان عدتم الى الافساد والعصيان وارتكاب السيئات ، عاد الله اليكم بمن يذلكم ويسومكم سوء العــذاب « وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » •

ولا شك ان بنى اسرائيل قد عادوا الى الافساد ثم عادوا • الم يكذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ ألم يدبروا ضده وضد المسلمين المؤامرات والمكائد ؟ ألم يتآمروا مع أعدائه ؟ ألم يقاتلوه ويناصبوه العــداء ، مما استوجب تأديبهم وتطهير الأرض الطيبة منهم ، حين كتب الله عليهم الجلاء وبذلك صدق القرآن ، فقد عادوا الى الضلال والبهتان فسلط الله تعالى عليهم المسلمين للتأديب والعقاب •

وختمت الآية بذلك الوعيد الصريح الواضح : « وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » أى جعلنا النار بساطا وفراشا لهؤلاء اليهود الذين واصلوا كفرهم وبغيهم •• وستحصرهم النار ، وتحيط بهم فلا يستطيعون منها فرارا •

٦ ـــ ثم يقول الله تعالى : « ان هذا القرآن يهدى التى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا كبيرا » :

وكأن هذه الآية تقول لبنى اسرائيل فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ومن بعدهم : لاتكونوا كأسلافكم وأجدادكم حين كفروا وافسدوا ، بل استجيبوا لله ورسوله ، وآمنوا بالقرآن وشريعته ، فان الدين الذى جاء به محمد من عند ربه هو أقوم الدعوات وأعدل الطرق ، والذين يؤمنون به ويقرنون ايمانهم بالفعل الطيب الصالح هم الذين سيفوزون من الله بالثواب الجليل ، وفى هذا تأكيد لأن هؤلاء اليهود سيظلون فى ضلال وبهتان ، مالم يؤمنوا برسول الله عليه الصلاة والسلام : وبدعوة الاسلام ، وبكتاب الاسلام وهو القرآن الكريم .

المسلمون وفلسطين

الدكتور أحمد الشرباصى

نشرت مجلة « جويش أوبزرفر » فى ١٤ يولية سنة ١٩٦٧ مقالا بعنوان « القدس والاسلام » وهذه المجلة تصدر فى لندن ، وهى اللسان الرسمى الناطق باسم وكالة الصهيونية العالمية ، والمقال المذكور يهدف الى أغراض صهيونية خبيثة ، وهو جزء من حملة تضليلية كبرى للرأى العام الغربى ، وفيه من التزييف للتاريخ ، والتحريف للحقائق ، والتهجم على القرآن الكريم ، والطعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا يجرؤ عليه الا صهيونى يريد مع أمثاله تبرئة اجرامهم الشنيع وعدوانهم الأثيم على أولى القبلتين وثالث الحرمين : فى فلسطين .

ومن أضاليل هذا المقال أنه يزعم أن عناية المسلمين بالقدس (وهى بيت المقدس) لم تظهر الا أخيرا ، بعد التنافس بين المسلمين واليهود فى فلسطين ، وهذا تزوير للتاريخ ، فالمسلمون يعنون بالقدس وبفلسطين كلها منذ بزغت شمس الاسلام ، ومنذ قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » .

والقدس عند المسلمين — منذ أربعة عشر قرنا — فيها أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ولقد ظل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه والمسلمون من ورائه يتجهون فى صلواتهم الى المسجد الأقصى فى بيت المقدس (وهو القدس) سبعة عشر شهرا ، وصار للقدس مكانة جليلة فى نظر المسلمين ، لأن فيها المسجد الأقصى ، وهو أحد مسجدين اثنين اقتصر القرآن على التصريح باسمهما ، وهما المسجد الحرام وفيه الكعبة ، والمسجد الأقصى ، واليه اسراء الرسول ومنه كان معراجه ، واليه كانت

نهاية العودة من المعراج ، ومنه كانت بداية العودة من الاسراء ، وجـاء فى ذلك قول الله تبارك وتعالى فى مفتتح سورة الاسراء : « سـبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » .

وألقى الاسلام رداء الهيبة والكرامة والقداسة على المسجد الأقصى ، فجاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن الصـلاة فى المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة فى غيره من المساجد ، باستثناء المسجد الحرام ومسجد الرسول بالمدينة عليه الصلاة والسلام ، وروى أن الصلاة فى المسجد الأقصى بألف صلاة وروى بأكثر .

وجاء فى الحديث النبوى : « من مات فى بيت المقـدس فكأنما مات فى السـماء » وهو يقصد بطبيعة الحال من مـات على الاسلام طائعا ربه ونبيه .

وجاء فى الفقه الاسلامى أنه يستحب الاهلال بالحج والعمرة من بيت المقدس للحديث الذى يقول : « من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وعن أنس بن مالك : « ان الجنة تحن شوقا الى بيت المقدس » ، وبيت المقدس هو القـدس ، كما ذكر ذلك ياقوت الحمـوى فى معجم البـلدان وكمـا ذكره غيره . كمـا أن بيت المقـدس يسـمى « ايليـاء » ، وقيل ان معنى الكلمة هو (بيت المقدس) وقد سمى بيت المقـدس ايلياء بقول الفرزدق :

وبيتان بيت الله نحن ولاته وقصر بأعلى ايلياء مشرف

وقيل سميت ايلياء باسم بانيها وهو ايليـاء بن ارم بن سـام بن نـوح عليه السـلام .

كما أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد قال : « صليت ليلة أسرى بى الى بيت المقدس عن يمين الصـخرة . وقصة الاسراء الاسلامية تقص

علينا أن رسول الله محمدا صلوات الله وسلامه عليه قد صلى اماما بالأنبياء والمرسلين فى المسجد الأقصى ليلة الاسراء •

فهذه النصوص والأخبار وغيرها تكذب زعم هذا المقال ، وتبين أن المسلمين ينظرون الى القدس بعين الاجلال والاكبار منذ بزغت شمس الاســـلام •

ومن مظاهر عناية المسلمين القديمة الموصولة بالقدس وبالمسجد الأقصى وبفلسطين كلها هذه المؤلفات والكتب الضخمة التى ألفها علماء الاسلام ومؤرخوه منذ قرون فى فضائل القدس والمسجد الأقصى ، ونذكر منها كتاب « فضائل القدس » لابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ــ ١٢٠٠ م ، أى منذ أكثر من سبعمائة وستين عاما ، وكتاب « الأنس فى فضائل القدس » لابن هبة الله الشافعى وهو من رجال القرن السابع الهجرى ، ونحن الآن فى أواخر القرن الرابـــع عشر الهجرى ، وكتاب : « مثير الغرام بفضائل القدس والشام » لابن سرور المقدسى المتوفى سنة ٧٦٥ هـ ــ ١٣٦٣ م وكتاب « الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » لمجير الدين الحنبلى القاضى المتوفى سنة ٩٢٧ هـ ــ ١٥٢٠ م وكتاب « الجامع المستقصى فى فضائل المسجد الأقصى » لابن عساكر المتوفى سنة ٩٤٨ هـ ــ ١٥٤١ م وكتاب « فضائل القدس » للشريف عز الدين حمزة المتوفى سنة ٨٧٤ هـ ــ ١٤٦٩ م • وكتاب « باعث النفوس الى زيارة القدس المحروس » لابن قاضى الصلت المتوفى سنة ٧٢٩ هـ ــ ١٣٢٨ م وكتاب « فضائل القدس » لأبى المعالى المشرف بن المرجى • وغير ذلك من الكتب والأسفار •

ويستمر تأليف الكتب عن فضائل القدس وفضائل المسجد الأقصى ومكانة فلسطين عند المسلمين ، حتى العصر الحاضر حيث نجد كتابى « تاريخ الحرم القدسى » و « المفصل فى تاريخ القدس » لعارف العارف الذى مازال حيا ومقيما فى القدس المحتلة الى اليوم •

ويقول المقال الزاعم الآثم ان الشعور بأن « القدس » مكان مقدس لم يقو عند المسلمين الا فى عهد الانتداب البريطانى ، وهذا كذب وزور ،

لأن المسلمين خلال العصور والدهور ظلوا يشدون رحالهم الى بيت المقدس لزيارة المسجد الأقصى باسم الاسلام وبتوجيه من رسول الاسلام عليه الصلاة والسـلام •

ولو جاز أن يقال : ان مزيدا من العناية والاهتمام قد بدأ من المسلمين فى القرن العشرين بشأن القدس وشأن فلسطين لكان من الواجب أن نفسر ذلك التفسير الحقيقى الواقعى ، فنعلله بأن الاغتصاب البريطانى لفلسطين ، مع تواطؤ انجلترا والصهيونية العالمية ، ومن خلفها أمريكا ، لتهويد فلسطين هو الذى فجر ما كان مطويا فى صدور العرب والمسلمين منذ مئات السنين من حرص على فلسـطين وخوف لمصيرها المؤلم على أيدى الصهيونيـة والاسـتعمار •

ويحاول المقال الآثم الزاعم أن يوهم بأن المسلمين ليس لهم مقدسـات فى فلسطين ولا فى القدس ، وهذا كذب وزور ، فللمسلمين فى فلسطين — وفى القدس بالذات — المسجد الأقصى الذى صرح القرآن باسمه ، ونص على البركات من حوله ،وفى القدس « الصخرة » المباركة التى يقول فيها عبد الله بن عباس « صخرة بيت المقدس منصخور الجنة » ويقول على بن أبى طالب : « سيد البقاع بيت المقدس ، وسيدة الصخور صخرة بيت المقدس » •

وفى القدس من المقدسات الاسلامية « قبة المعراج »و « محراب النبى » و « حائط البراق » و « مسجد عمر » الذى بنى سنة ١٤ هـ — ٦٣٥ م •

* * *

ويوهم المقال الآثم الزاعم بأن لليهود كثيرا من المقدسات فى القدس ، مع أنهم أنفسهم يركزون عنايتهم واهتمامهم على « حائط المبكى » الذى يزعمون أنه جزء من سور القدس القديمة يوم كان هيكل سليمان موجودا ، ولقد كانت هناك بعض المقدسات اليهودية فى القـدس ، ولكن الرومان قضوا عليها حين دمروا القدس (أورشليم) سنة سبعين للميلاد على يد « تيطوس » ، وحين دمروه مرة ثانية سنة خمس وثلاثين ومائة على يد « أدريانوس » •

والمقال يناقض نفسه بنفسه ، ففى جزء منه يقول ان المسلمين لم يبدوا عناية بفلسطين الا فى حقبة متأخرة ، ومع ذلك يقول فى جــزء آخر ان المسلمين يعدون قبة الصخرة فى المرتبة الثانية بعد الكعبة ، ويضيف أيضا أن النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ كان يصر على أن يتوجه أتباعه فى صلواتهم الى جهة بيت المقدس ..

ومن جهل كاتب المقال بالتـــاريخ زعمه بأن الذى بنى قبـــة الصخرة هو عبد الله المـــأمون ، لأن الذى بنى قبة الصخرة هو عبد الملك بن مروان الأموى ، والمأمون خليفة عباسى ،وقد بدأ عبد الملك البناء سنة ٦٦ هـ ـــ ٦٨٥ م وتم البناء سنة ٧٢ هـ ـــ ٦٩١ م . وقد رصد عبد الملك لبناء مسجد الصخرة خراج مصر لمدة سبع سنوات ، ومن اللطائف التى تروى أنه لمـــا أراد عبد الملك أن يهب رجاء بن حيوة الكندى ويزيدبن سلام مائةألف دينار مقابل ادارتهما للعمل فى البنـــاء قالا : « نحن أولى بأن نزيده من حلى نسائنا ، فضلا عن أموالنا ، فاصرفها فى أحب الأشياء اليك » .

ويزعم المقال أن الاسراء « كان مجرد زيارة ليلية قام بها محمد الى مكان ليس بصحيح ، لأن الموجود قبة فوق الصخرة .

ويزعم المقال أن الاسراء « كان مجرد زيارة ليلية قام بها محمد الى مكان لم تذكر له تسمية ولا تحـــديد » . ويتجاهل المقال عامدا متعمدا النص القرآنى الصريح الواضح المحدد للمكان فى البداية وفى النهاية ، وهو قوله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ». فهنا ذكر للزمان فى كلمة « ليلا » وذكر لمكان الابتداء فى قوله « من المســـجد الحرام » . وذكر لمكان الانتهاء فى قوله « الى المسجد الأقصى » .

ويفترى الكاتب الصهيونى افتراء عجبـــا حين يزعـــم أن المفسرين الاسلاميين الأوائل قد قالوا ان المسجد الأقصى هو المسجد الموجود فى المدينة . وهذا كذب عميق الجذور فى التزوير ، فهذا هو ابن جرير الطبرى شيخ المفسرين المتوفى سنة ٣١٠ هـ يقول : « المسجد الأقصى : يعنى بيت

المقدس ، وقيل له الأقصى لأنه أبعد المساجد التى تزار » • بل هذا هو التفسير المنسوب الى عبد الله بن عباس فهو يقول ان المسجد الأقصى يعنى مسجد بيت المقدس •

وهذا هو تفسير القرطبى يقول : « سمى الأقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام ، وكان أبعد مسجد عن أهل مكة فى الأرض يعظم بالزيارة » ثم يقول : « وبهذا جعله مقدسا » ويشير الى أنه فى أرض الشام ، وفلسطين كانت فى أغلب مراحل التاريخ تعد الجزء الجنوبى من الشام •

ويذكر تفسير الرازى أن المفسرين قد اتفقوا على أن المراد بالمسجد الأقصى مسجد بيت المقدس •

فلننظر كيف يأبى هذا الصهيونى المحرف الا أن يكتم الحقيقة ، ويزخرف ضدها فيزعم أن المفسرين الأوائل قالوا ان المسجد الأقصى هو مسجد المدينة •

بل يضاف الى ذلك أنه لم يكن بالمدينة مسجد قبل الاسراء والمعراج ، فان مسجدالنبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة قد بنى بعد الهجرة ، ومعجزة الاسراء والمعراج كانت قبل الهجرة •

ويورد الكاتب الصهيونى خلال حديثه عبارات توهم أن النبى عليه الصلاة والسلام هو الذى صنع القرآن ، فتارة يقول : ان محمدا لم يحدد فى القرآن كذا ••• وتارة يقول : يشير محمد فى القرآن الى كذا ••• الخ •

وهذه فرية رددها المشركون والكافرون والمجرمون من قبل ، وتكفل القرآن الكريم بالرد الصريح عليها ، وتحدى العالمين أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، وصدق الله العلى الكبير اذ قال : « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من‌مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ، • فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » •

ويقول المقال الصهيونى الحقود : « وكان محمد يحسد اليهود على الدوام » • وخير ما يرد به على هذه الفرية ، هو المثل العربى القديم : « رمتنى بدائها وانسلت » فان الرسول عليه الصلاة والسلام قد أمن اليهود عقب الهجرة على أرواحهم وأموالهم وشعائرهم وحريتهم ، وأعطاهم عهدا بذلك ما استقاموا ، فنقضوا العهد ، وخانوا وغدروا ، حسدا من عند أنفسهم للاسلام ونبى الاسلام والمسلمين ، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك فى أكثر من موطن ، كقوله فى سورة النساء عن اليهود : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » • وقوله فى سورة البقرة : « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » •

والمضحك أن هذا الكاتب يعود فيناقض نفسه ، فبعد أن يقول ان محمدا كان يحسد اليهود على الدوام ، يعود فيقول ان محمدا كان يطمع بعد الهجرة فى دعم اليهودية ، فكيف يتفق هذا مع ذاك ؟ •

ويصف المقال القذر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمة « دجال » ، وليس هذا بمستغرب من سلالة اليهود الذين اتهموا مريم البتول العذراء بالفاحشة الكبرى ، واتهموا ابنها عيسى الذى قال عنه القرآن انه روح الله وكلمته ، اتهموه بأنه ابن الخطيئة وأنه وثنى ، وأنه سيخلد فى العذاب بين القار والنار ، كما جاء ذلك فى « التلمود » •

وينتهى الكاتب الخبيث فى آخر مقاله الى فكرته الصهيونية الخبيثة ، فيقول ان هناك اعتقادا شعبيا فى الشرق الأوسط بأن تزاوجا سيتم بين الأماكن المقدسة لكافة الأديان ، ويومها يحل السلام العالمى •

وهذا خلط مقصود بين الفكرة الدينية والنكبة الاستعمارية ، فالمسلمون لا يأبون أن تكون بينهم وبين أهل الأرض جميعا روابط تعاون وسلام ، ولكن بشرط أساسى لابد منه ، هو أن لا يكون ذلك على حساب اغتصاب فلسطين ، واخراج أهلها منها ، واقامة وطن يهودى دخيل فيها ، وانتهاك الصهيونية لكل مقومات العدالة والأخلاق •

وينبغى أن يتنبه كل عاقل فى الشرق والغرب الى أن اليهود ــ ومنهم كاتب المقال ــ يحاولون الآن التقرب من المسيحية ، ويوهمون الناس ان بين اليهودية والمسيحية تعاونا وانسجاما ، وهذا مالا يمكن أن يكون بحال من الأحوال ، لأن الخـــلاف بين اليهـــود والمسيحيين جوهرى أساسى ، فاليهود ينكرون رسالة عيسى عليه السلام ، وقد كفروا به من قبل ، وهم لا يقرون بقداسة الأماكن المتصلة بعيسى التى يقدسها المسيحيون .

ولقـــد تآمر اليهود قديما ضد عيسى ، وحرضـــوا الحاكم الرومانى « بيلاطس » عليه ، وما من مسيحى يعتز بمسيحيته الا وهو يعتقد أن اليهود هم قتلة المسيح . ولقد توسع اليهود توسعا فاحشا فى الانتقام من المسيحيين ، فطاردوهم واعتدوا عليهم ، وشربوا دماءهم ، واعترفوا بذلك فى كتبهم ،مثل كتاب« سدر حادوروث » . وقد ذكر هذا الدكتور روهلنج فى كتابه الذى عربه الدكتور يوسف نصر اللـــه سنة ١٨٩٩ م بعنـــوان « الكنز المرصود فى قواعد التلمود » .

وحتى اليوم مازالت اليهودية فى أمريكا تصور السيد المسيح عليه السلام بصورة لا تليق بانسان ، وهـــذا هو كتاب« التجربة الأخيرة للمسيح » الذى أصدرته دار « سيمون وشوستر » فى نيويورك ، فيه من القذارة ما فيه ، فهو يصف المسيح بأنه انسان متهالك على أجساد النساء ومعاشرتهن فأين هذا الافتراء الوضيع منحديث القرآن الكريم عن عيسى عليه السلام منذ قرابة ألف وأربعمائة سنة مثل قوله تعالى عن مريم وولدها : « فأشارت اليه قالوا كيف نكلم منكان فى المهد صبيا ، قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا ، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شـــقيا ، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » ؟ ! .

وقوله : « اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اســـمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيـــا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين ، قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ، ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل » ... الخ .

ولقد جاء فى كتاب « سفريوكاسين » المطبوع سنة ١٧١٧ م فى امستردام تصوير مرعب لفظائع القتل بالجملة التى قام بها اليهود فى المسيحيين ، وذكر مئات الألوف التى قام بقتلها اليهود من المسيحيين فى روما وليبيا وقبرص وغيرهما •

وينبغى أن يتذكر هؤلاء وأولئك أن فلسطين كانت تعد خلال عصور التاريخ الجزء الجنوبى من بلاد الشام العربية وهى (سوريا ــ لبنان ــ الأردن ــ فلسطين) • والعرب موجودون فى فلسطين منذ سنة ألفين وخمسمائة قبل الميلاد ، وكانوا يعرفون باسم الكنعانيين وظل هؤلاء الكنعانيون يحكمون فلسطين ألفا وخمسمائة سنة ، ولقد فتح المسلمون فلسطين سنة خمس عشرة للهجرة (٦٣٦ م) ومنذ ذلك الوقت حتى نكبة التهويد ظلت فلسطين عربية اسلامية ، ولم تزد نسبة اليهود فى فلسطين حتى نكبة الانتداب عقب الحرب العالمية الأولى عن سبعة فى المائة ، ثم فتحت بريطانيا بحكم احتلالها وسلطانها الأبواب المنظورة والمستورة للهجرة اليهودية حتى تحقق وعد بلفور المشئوم •

ولقد ظل العرب والمسلمون فى فلسطين يحسنون معاملة من كان بينهم من اليهود ، ولم تفسد العلاقة بين العرب واليهود الا حينما تنمر الاستعمار ، وتواطأ مع الصهيونية العالمية لاغتصاب فلسطين من أهليها ، واقامة وطن قومى لليهود فيها ، وبعد أن ارتكب اليهود فى فلسطين ما ارتكبوا من الجرائم والفظائع •

واذا كان هناك اضطهاد قد وقع على اليهود ، فذلك لم يكن على أيدى العرب ، بل كان على أيدى الأوربيين الذى حملوا الأمة العربية ظلما وعدوانا تبعة اضطهادهم ، مما يذكرنا بالمثل العربى القديم :

غيرى جنى وأنا المعاقب فيكم   فكأننى سبابة المتندم

ولقد عاش المسلمون والمسيحيون فى فلسطين متعاونين متفاهمين ، وهذا مثلا هو كتاب « تاريخ القدس » تأليف خليل طوطح وبولس

شحادة ــ وهما مسيحيان ــ يبين بوضوح أن المسيحيين تمتعوا بكامل حريتهم فى ظل العرب المسلمين بفلسطين .

واليهود يزعمون أن فلسطين هى أرض الميعاد ، ويزعمون أنها أرضهم وانهم آحق بها من العرب ، وما ذلك الا لأنهم طرأوا على فلسطين منخارجها وأقاموا فيها مدة قصيرة من الزمن لأن حكم داود وسليمان لم يتجاوز قرنا من الزمان ، ثم جاء « تيطوس» وشتت شمل اليهود ، وهدم هيكلهم ، وأباد كل آثاره سنة سبعين ميلادية ، فاذا كان احتلال اليهود لفلسطين فترة من الزمن يسوغ لهم اغتصابها وطرد أهلها فان من حق الفرس اذن أن يطالبوا بفلسطين لأنهم كانوا قد احتلوها قبل الميلاد بقرون ، ومن حق اليونان أيضا أن يطالبوا بها لأنهم كانوا قد احتلوها فى القرن الرابع قبل الميــلاد ...

ان اليهود كشعب قد انقطعت صــلتهم الواقعية بفلسطين منــذ قرون وقرون ، بعد أن كتب الله عليهم الشتات بسبب جرائمهم وآثامهم ، ولكن الأطماع الاستعمارية جرأتهم على أن يحاولوا العودة اليها ، وفى سنة ١٩٠١ حاول اليهود اغراء السلطان عبد الحميد ، لكى يفتح لهم الباب أمام سكناهم فلسطين ، وعرضوا عليه الأموال والمساعدات ، ومنها :

١ ــ انشاء اسطول عثمانى بحرى .

٢ ــ انشاء جامعة عثمانية فى بيت المقدس .

٣ ــ قرض مالى لتنفيذ المشروعات العمرانية فى الدولة العثمانية .

٤ ــ تسديد ديون الدولة العثمانية .

٥ ــ اتاوة سنوية تساعد على تنمية الاقتصاد .

ولكن السلطان عبد الحميــد رفض كل هــذا ، وجاء فى رده : « انى لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أراضى فلسطين ، فهى ليست ملكا لى ، بل ملك شعبى ، لقد ناضل فى سبيل هذه الأرض ، ورواها بدمــه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم ، واذا مزقت امبراطوريتى يوما فانهم يستطيعون

آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ، أما وأنا حى فان عمل المبضع فى بدنى لأهون على من أن أرى فلسطين قد بترت من امبراطوريتى ، وهذا أمر لن يكون ، فانى لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحيــاة » •

وفى سنة ١٩٠٧ أراد « كامبل بانرمان » رئيس وزراء بريطانيا أن يفصل الجناح الأفريقى من النسر العربى عن الجناح الآســيوى ، فاهتدى مع خبرائه الى فكرة « وضع جسم بشرى غريب » بين الجزء الأفريقى من العالم العربى (مصر ــ ليبيا ــ تونس ــ الجــزائر ــ مراكش) وبين الجزء الآسيوى منه المتمثل فى بلاد الشام ودول الجزيرة العربية ، وسارع اليهود يقدمون أنفسهم جسما بشريا غريبا ليحدث شرخا فى كيان الوطن العربى الكبير ، واحتضنت انجلترا الفكرة اللعينة ، وأعطت وعد بلفور فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ ، ثم عملت بمكرها وكيدها ، وبصك الانتداب ودستور فلسطين على تهويد الأرض العربية وتهيئتها لقمة سائغة قدمتها غنيمة باردة لليهود فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ •

ثم جاءت أمريكا بعد انجلترا ، تؤيد الوطن القومى لليهود فى فلسطين على حساب تشريد أبناء فلسطين الشرعيين فى كل مكان، وقادت أمريكا سياسة الاستعمار الجديد ومن أكبر أغراضه فرض اسرائيل على الأمة العربية لتكون نقطة ارتكاز للاستعمار الغاشم فى الوطن العربى •

ولكن الأمة العربية أبت وتأبى ذلك ، وهى مصممة على تحرير أرضها من المحيط الى الخليج •

فهرست

نص رسالة الرئيس جمال عبد الناصر الى القوات المسلحة فى يوم الغضب الجارف والحزن العميق لحريق المسجد الأقصى ٢٣ أغسطس ١٩٦٩

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٦٩ / ٣٨٢٢

مطابع الاهـــرام التجارية

مطابع الأهــرام التجارية

